١٠ قروش

كتابي



حلمي مراد

«روميو وجولييت» لوحة للرسام الانجليزي «فرانك ديكسي»



« هرقل » وعشيقته « أومفال » : لوحة من روائع معروضات متحف اللـوفر بباريس ، من رسم الفنان « لوموين » (١٧٠٤ ـ ١٧٧٨)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار الكتاب

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب التاسع والثلاثون (السنة الرابعة) : يونيه ١٩٥٥

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة: اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦ و ٦٥٦٠٨

عزيزى القارىء ..

أبادر فأعتذر اليك عن تأخر صدور هذا العدد أياما ، لسبب خارج عن ارادتى . .فقد نتج عن حرصى على تقديم الترجمة « الكاملة » لقصة (حياة امرأة) ، ان اضطررت الى اصدارها فى جزءين ، كى أجنبك المضايقة والنفور « النفسى » الذى قدرت انه لابد مصيبك فيما لو رأيت أمامك قصة طويلة فى جزء واحد من ٣٢٠ صفحة كاملة ، الامر الذى كان خليقا فى رأيى بأن ينفرك من قراءتها ، سيما بعد أن ألفت طيلة السنوات الماضية أن تقرأ الطبعات الاخرى للروايات الطويلة ، التى تقدم اليك فى صفحات محدودة لا تتغير - بغض النظر عن حجم الرواية فى لغتها الاصلية - ومن هنا رأيت ، تيسيرا لك فى القراءة - (وفى الثمن ، الذى كان لابد أن يتضاعف بحكم تضاعف عدد الصفحات) - وسعيا الى بلوغ هدفى الذى أحلم به منذ سنوات طويلة ، وهو ترغيب القارىء العربى فى قراءة النص الامين الكامل لشوامخ الكتب العالمية ، القصصية وغير القصصية .. أقول اننى ، لكل هذه الاسباب مجتمعة ، آثرت أن أقدم اليك (حياة امرأة) فى جزءين متتابعين ، بحيث لا تتجاوز الفترة بينهما أياما قلائل تكون خلالها قد فرغت على وجه التقريب من مطالعة الجزء الاول وتطلعت الى اكمال القصة دون ابطاء ..

وقد ترتب على طول القصة المذكورة ، وعدد الصفحات التى شغلتها ، فى جزءيها ، ان استهلك طبعها الجزء الاكبر من الورق الذى كان معدا لاصدار هذا العدد من كتابى - وهو ورق « ساتينيه » من نوع خاص ومقاس خاص يستورده لك كتابى من الخارج - ثم جاء اقبالك على (حياة امرأة) فائقا لكل حد توقعته ، فطبعت من جزءى القصة بعد صدورهما بأيام كميات اضافية ، أجهزت على البقية الباقية من ورق هذا العدد .. فى الوقت الذى تأخر فيه وصول الرسالة الجديدة من الورق المعد لبضعة الاعداد القادمة .. فكان ان وجدتنى عاجزا ، أمام هذه العقبات مجتمعة ، عن اصدار هذا العدد فى موعده .. فمعذرة

وعلى ذكر « حياة امرأة » ، فقد تلقيت رسالة طريفة - وان تكن ظالمة - من السيد (منير يعقوب - الأنواء الجوية ، بغداد) ، يحاسبنى فيها بشدة على « زعمى » - كذا - ان قصة « حياة امرأة » لم تترجم الى العربية من قبل - فيما أعلم - ويقول انها سبق أن ترجمت بمعرفة « دار اليقظة العربية بدمشق » ونشرت منذ أكثر من عام .. الامر الذى تسبب فى اصابته « بخسارة مالية » وخيبة أمل ، وفزع ، نتيجة شرائه الجزء الاول من القصة وهو يجهل انه قرأها من قبل !.. ثم يخلص كاتب الرسالة من ذلك الى اتهامى « بِخداع

الجمهور» و «التشدق بخدمة القراء»!٠٠ بل ويطالب بمحاكمتى أمام العدالة !!٠٠ كأنى مطالب بأن « أشم على ظهر يدى » أو « أشتغل بالتنجيم » ، فأقف على نبأ كل كتاب يصدر من كل مطبعة فى كل بلد من البلدان العربية ، حتى لو لم تصل نسخة منه الى يدى ، أو فى القليل يظهر له أثر فى أسواق مصر ـ التى أعيش فيها ـ أو فى أقل القليل ، ينشر عنه اعلان فى الصحف !

ولعل خير رد على رسالة السيد الفاضل « منير يعقوب » ، أن أحتكم بشأنها هنا الى بقية القراء !

وتقبل أطيب تحياتى

حلمى مراد

« كتابى » يشترى الاعداد الستة الاولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لايبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة ٠٠ فقد رأت ادارة **«كتابى» أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عددمن نسخ الاعداد الستة الاولى ، تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة ٠ فالرجاء الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل ٠**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ **ترسل** جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ٠ وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن الخ ٠٠) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٣٠ قرشا (عن سنة) و ٧٠ قرشا (عن نصف سنة) ٠وفى الحجاز قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة)

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الاولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

أعداد توجد نسخ منها بالادارة

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم**» ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون « **ترويض النمرة !** » ، والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **سالومى** » ، والسادس والثلاثون ، والسابع والثلاثون ، والثامن والثلاثون

◆ **وتطلب** من ادارة كتابى : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) ، وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجر البريد (المسجل) ماعدا الاعداد ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات كتابى

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين — **٢ ـ ذات الثوب الابيض**

٣ ـ الخالدون — **٤ ـ الخاطئة**

٥ ـ حياة امرأة (الجزء الاول) — **٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)**

وثمن كل من الاول والرابع عشرون قرشا خالصا أجر البريد المسجل (نظرا لوشك نفادهما) ، والثانى ١٢ قرشا ، والثالث ١٠ قروش ، والخامس والسادس ثمانية قروش



نافذة "كتابي" تطل على العالم :

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

من عاصمة التيرول .. الى عاصمة النمسا

◆ مضينا معا فى الفصل السابق نطوى اقليم « التيرول » منذ خلفنا بلدة (كورتينا) الساحرة حتى دخلنا مدينة (اينزبروك) ، فبدأنا بزيارة ضاحيتها الجبلية الهادئة (ايجلز) ، ومنها تسلقنا قمم جبال الألب بالمصعد الطائر الى (باتشركوفل) .. ثم طفنا بأنحاء اينزبروك حتى انتهينا الى المبنى التذكارى لمعركة « جبل ايزل » ، التى خاضها فلاحو التيرول ضد جيوش نابليون حين هاجم عاصمتهم ..

وفيما يلى نواصل جولتنا بزيارة جبل ايزل ، ثم نغادر اينزبروك الى (سالزبورج) .. ومنها الى (فيينا)

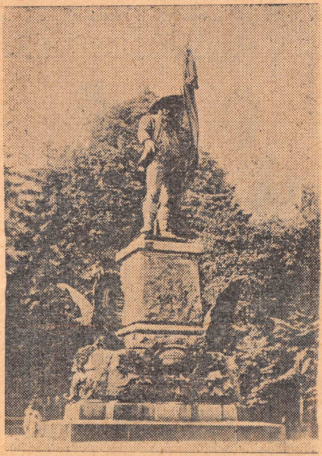
قصة بطولة .. وكيف خلدوها ؟

◆ **يقع** « جبل ايزل » على مسيرة دقائق من نهاية خط ترام رقم ١ - فى اطراف المدينة - ويبلغ ارتفاع قمته٢٤٧٥ قدما .. وقد خلدته المعركة التى خاضها اهل الاقليم على سفوحه ، فى صراعهم الرهيب ضد جيوش نابليون .. ففى سنة ١٨٠٩ أوفد بونابرت القائد الفرنسى الماريشال « لوفيبفر » على رأس جيش جرار لغزو اقليم التيرول ، فاحتل الغزاة قلعة (فيلتين) القديمة ، وتأهبوا لمواصلة التقدم ، بينما تفرقت القوات التيرولية لتحصين مراكزها الدفاعية على القناطر ، وضفاف الانهار ، واقاموا المتاريس فى الغابات .. **وهب الشعب عن بكرة ابيه يستميت فى الدفاع عن الوطن المهدد ، فاشترك فى القتال - جنبا الى جنب - الفلاحون والنبلاء ، والمجندون والمدنيون .. حتى رجال الدين ساهموا فى القتال !.. وانتهت المعركة الاولى باندحار الغزاة ، فاضطر الماريشال « لوفيبفر » الى الانسحاب من اينزبروك فى اتجاه بافاريا . ودخل قائد جيش الفلاحين البطل « اندريا هوفر » اينزبروك ظافرا ، واحتل القصر الامبراطورى (هوفبورج) !**

غير ان تضحيات اهل التيرول البواسل ذهبت سدى ٠٠ اذ لم تلبث المعركة الرابعة والاخيرة من معارك « جبل ايزل » ان اسفرت عن تفوق العدو فى العدد والعدة ، وهزيمة الوطنيين ٠٠ واردفت هذه الهزيمة باعلان ضم التيرول الى اقليم بافاريا ، واضطر البطل « اندريا هوفر » الى الفرار ٠٠ غير ان مكان اختفائه لم يلبث ان عرف ، على أثر وشاية دنيئة ، فاعتقل واقتيد الى (مانتوا) حيث اعدم رميا بالرصاص فى ٢٠ فبراير سنة ١٨١٠ !

على انه لم تمض ثلاث سنوات ، حتى رد اقليم التيرول الى الامبراطورية النمسوية على أثر تغير الميزان الدولى نتيجة لمعركة (ليبزج) فى عام ١٨١٣

تلك هى قصة البطولة التيرولية فى معارك جبل ايزل ٠٠ بقى ان يسجل الزائر لتلك البقاع ، بالتقدير والاعجاب ، جهود أبناء الاقليم ـ شعبا وحكومة ـ فى سبيل تخليد تلك البطولة ، بشتى صور التخليد ، وتذكير الابناء والاحفاد فى كل مناسبة باستبسال أجدادهم فى الذود عن حياض وطنهم الحبيب ٠٠ وقد إتخذ ذلك التخليد أساليب عدة :



تمثال البطل التيرولى « أندريا هوفر » ، قائد معركة (جبل ايزل) ضد جيوش نابليون

ففى مكان المعارك التى دارت على سفح جبل ايزل ، اقيم تمثال رائع من البرونز للبطل «اندريا هوفر» ٠٠ وبالقرب منه

انشىء متحف لمخلفات تلك المعارك الخالدة ، من اسلحة وخلافها ، كما يضم المتحف « سجل الشرف التيرولى » وهو عبارة عن ١٥٦ مجلدا فاخرا سجلت فيه ـ بخط اليد ـ اسماء جميع الذين استشهدوا فى مختلف المعارك دفاعا عن وطنهم .. كما حليت صفحات السجل بأبيات من الشعر الوطني لأشهر شعراء الاقليم ، وزينت برسوم ولوحات لاشهر الرسامين المحليين !

على ان أروع آيات تخليد تلك البطولة التاريخية ، هو ذلك المبنى الدائرى الذى حدثتك عنه فى العدد الماضى ، والذى شيد خصيصا لترسم على جدرانه من الداخل ، اللوحة الفريدة فى نوعها فى العالم ـ التى تبلغ مساحتها اكثر من الف متر مربع ـ والتى تسجل مختلف مراحل معارك « جبل ايزل » ، وقد اقترح فكرتها الاديب التيرولى « بلاتر » فى عام ١٨٩٣ ، ووضع تصميم البناء ونفذه بعد عامين من ذلك التاريخ ، المهندس المعمارى « نيدر هوفر » ـ من مهندسي ميونيخ) ـ وأخيرا رسم اللوحة خمسة من كبار الرسامين ، على رأسهم الفنان البروفيسور « زينو ديمر »



تمثالان من البرونز بمقبرة مكسمليان المشهورة بمدينة اينزبروك : احدهما (الى اليسار) للملك ارثر ملك انجلترا ، والثانى لملك الغوط «تيودوريك»

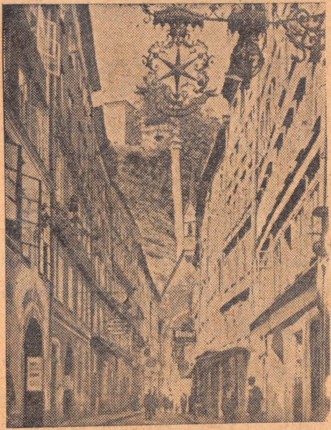
جولة بين معالم العاصمة التيرولية

◆ **وقبل** ان نغادر مدينة (اينزبروك) ، تعال نقم بجولة أخيرة لزيارة ما بقى من معالمها الهامة :

قبر مكسمليان : وهو تحفة من تحف فن المعمار ، أقيم قبوه

على عشرة اعمدة من الرخام الاحمر ، انتشر بينها ٢٨ تمثالا هائلا من البرونز ـ اكبر من الحجم الطبيعي ـ لكثير من الشخصيات النمسوية والاجنبية ، من بينها : الامبراطور مكسمليان مؤسس المقبرة ، و « رودلف » مؤسس اسرة « هابسبورج » المشهورة التى حكمت النمسا قرونا ٠٠ و « تيودوريك » ملك الغوط ٠٠ والملك « أرثر » ملك انجلترا القديم الذى تنسب اليه فروسية خيالية ٠٠ و « فيليب » ملك برغنديا ٠٠ و « وجودفروى » ملك أورشليم وقائد الحملة الصليبية الاولى ٠٠ وكثيرون غيرهم ٠

وتعتبر تلك التماثيل البرونزية من التحف ذات الشهرة العالمية ، لفخامتها ودقة صنعها فى آن معا ٠ ومن آيات هذه الدقة انها تتخذ مرجعا فى تصوير ازياء الملابس التى كانت سائدة فى عصور أصحابها ، بكافة تفصيلاتها ودقائقها ٠٠

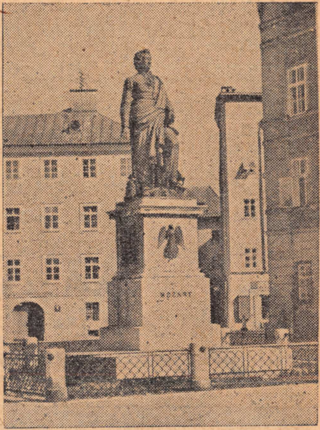


شارع ضيق من شوارع الحى القديم بسالزبورج ، يعطيك فكرة عن طابعها العتيق

ويتوسط المقبرة تمثال مؤسسها « مكسمليان » ويمثله راكعا فوق تابوته أمام المذبح بثياب التتويج الامبراطورية وقد ضم يديه يصلى فى ابتهال ٠٠ كما زينت جوانب تابوته بأربع وعشرين لوحة من الرخام المحفور نحتتها يد أشهر فنانى القرن السادس عشر ٠

القصر الامبراطورى

(هوفبورج) : بدىء فى تشييده فى عام ١٤٠٠ ٠ وفى القرن الخامس عشر قام مكسمليان بتوسيعه وأضافة أقسام جديدة



تمثال للموسيقى « موزار » بأحد الميادين ، وقد كتب عليه : ولد فى سالزبورج عام ١٧٥٦ ، ومات ١٧٩١ ، شابا ، عظيما ، لم يقدر حق قدره الا متأخرا ، ولم يبلغ مرتبته أحد بعده !

اليه ، مع اضفاء الطابع القوطى على زينته ونقوشه ٠٠ لكن كوارث الحرائق والزلازل تتابعت عليه فدمرته أكثر من مرة ، الى ان جاءت الامبراطورة « ماريا تيريزا » فأعادت تشييده من جديد ، واستغرق ذلك التشييد ٢٣ عاما كاملة (١٧٥٤–١٧٧٧) ٠٠ والقصر مفتوح الآن للزائرين كل يوم ابتداء من الساعة التاسعة صباحا ، مقابل رسم زهيد ٠٠ واشهر قاعاته « قاعة العمالقة »

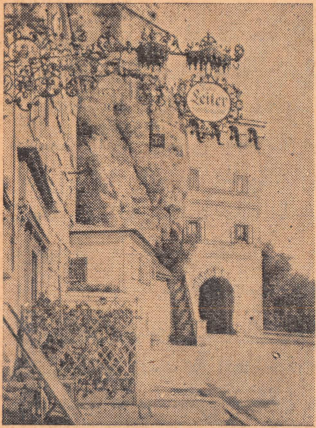
قوس النصر : وقد شيد لمناسبة الاحتفال فى اينزبروك بزواج ابن الامبراطورة « ماريا تيريزا » ـ الذى صار فيما بعد الامبراطور « ليوبولد الثانى » ـ وهكذا لا تكاد تخلو عاصمة فى اوربا من قوس للنصر شيد فى مناسبة من المناسبات الهامة البهيجة ٠٠

دار البرلمان (لاند هاوس) : وقد اكمل تشييدها فى عام ١٧٣٠ ، وواجهتها تسترعى الانتباه بصفة خاصة ، ذات طابع فنى رائع اشرف على تصميمه اشهر معمارى فى عصره ، وهى غنية بزخارفها الرائعة ٠٠ اما قاعة الاجتماع الداخلية فهى تحفة من أجمل ما تقع عليه العين فى عاصمة التيرول ، اذ تبارى فى تزيينها ، بالنقوش ، واللوحات ، والتماثيل ، أبرع نوابغ ذلك العصر فى شتى هذه الفنون ٠٠

الحانة التى كان يقطنها « جيته » !

◆ **وتعداد** سكان ايزبروك اليوم نحو مائة ألف نسمة ،أى أربعة اضعاف ما كان عليه منذ خمسة وستين عاما ٠٠ فى حين ان مساحتها تضاعفت خلال هذه المدة عينها ، ثلاثين ضعفا !

وطقس المدينة اميل الى الدفء مما يقضى موقعها الجغرافى ، نظرا لان الجبال تحوطها وتحميها من البرودة الى حد ما، فتجد درجة الحرارة فيها مساوية للبلاد التى تبعد عنها مائة ميل الى الجنوب!٠٠ واصلح أشهر السنة لزيارة اينزبروك، المدة من آخر أغسطس الى اكتوبر ، ثم المدة من منتصف فبراير الى ابريل ٠ والفترة الاخيرة تمتاز عن الاولى بانها تسمح بمزاولة رياضة الشتاء فوق القمم العالية ، كما تزدهر خلالها الحركة الثقافية ومواسم المسارح والمحاضرات ٠٠ الخ



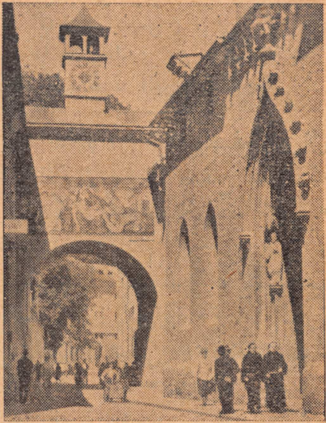
بوابة (كلاوس) ، فى مواجهة حانوت تقليدى من حوانيت الصناعات اليدوية القديمة

واذا اردت ان تأكل الاطعمة التيرولية التقليدية ، فلتذهب الى احد مطاعمها الخاصة المعروفة باسم « شتوبيرل »٠٠ اما البيرة الممتازة فتقدم فى « كهوف » يطلق عليها « كيللر »٠٠واما النبيذ التيرولى الخاص ، فأشهر مكان تجده فيه هو حانة « جولدنر ادلر » ـ التى تجمع بين الحانة والفندق ـ وهى من اشهر حانات المدينة ، لا سيما خلال القرنين الماضيين ، وقد كان يقطنها فى فترة ما شاعر المانيا العظيم « جيته » ، وغيره من الشخصيات البارزة فى شتى العصور ٠٠

واعلى مبانى المدينة هو البيت العالى (هوخ هاوس) ، وتشغله مكاتب البلدية • وقد اصابته القنابل بأضرار جسيمة فى اثناء الحرب ، فلما اعيد تشييده اضيف اليه طابق تاسع خصص لمقهى انيق يشرف منه الزائر على اروع منظر للمدينة وضواحيها والجبال المحيطة بها •• وبالقرب منه تقع (حمامات البخار) التى تديرها البلدية ، وهى اشهر حمامات طبية من نوعها فى النمسا كلها ••

العاصمة التى تنام مبكرة !

◆ **اما** « سهرات » اينزبروك فهى متواضعة للغاية ،واكثرها ينتهى نحو الساعة العاشرة مساء ، بحيث تقفر الشوارع بعد تلك الساعة ــ حتى ليتعذر عليك لو تسكعت قليلا فى الشوارع أن تجد « بوفيه » تتناول فيه شطيرة « ساندوتش » •• فيما عدا « كشكا » صغيرا أنيقا يقع فى منتصف شارع « ماريا تيريزا » بجوار الفندق والملهى البارزين فيه • وفى داخل الكشك المذكور عامل نظيف المظهر والثياب، يقدم لكشطائر « السجق » النمسوى المشهور ــ أو « الكلاب الساخنة » كما يطلق عليها الامريكيون ! ــ ويقدم لك معها طبقا شهيا من المسطردة ••

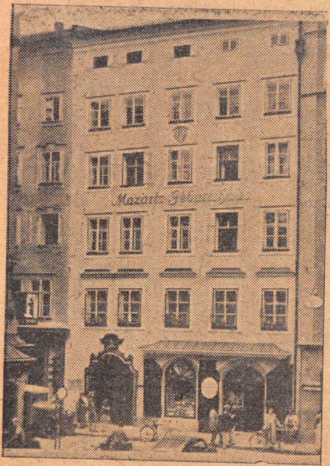


مدخل كنيسة «الفرنسسكان» ، وترى لوحة دينية قد رسمت من الخارج على قنطرة فوق الشارع

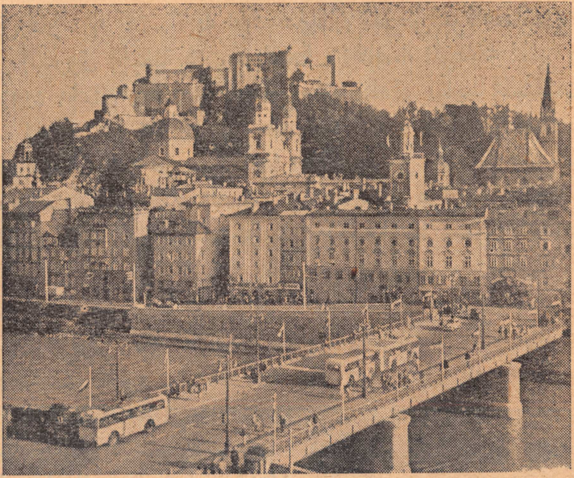
واشهر ملهى فى المدينة هو ذلك المسرح التيرولى المجاور

لفندق ماريا تيريزا ، وبه فرقة ممتازة تعرض برنامجا منوعا من اغانى التيرول الجبلية ذات « البحة » الخاصة المرتفعة التى ينادى بها رواد الجبال بعضهم البعض حين تطول بينهم المسافات فلا يسمع احدهم الآخر الا بواسطة هذا النداء التقليدى الذى تردد الجبال صداه اكثر من مرة كلما اطلقه تيرولى خبير ، حتى ليخيل اليك وانت تسمع ذلك الصدى يتردد ثلاث مرات أو أربعا ، على التوالى ، كانه عدة نداءات وليس نداء واحدا يتكرر صداه !

وأخص ما يتميز به ذلك البرنامج التيرولى ، والخلق التيرولى بوجه عام ، هو روح المرح التى تغلب على القوم هناك ٠٠ بل ان النمسويين جميعا شعب مرح ، رغم الفقر والكوارث التى جرتها عليهم الحروب الكثيرة التى خاضوها فى تاريخهم العريق ٠٠ وللقوم فى تعليل هذا المرح فلسفة جميلة ، فهم يقولون : **« النمسا بلد سعيد ، ونحن النمسويين قوم سعداء ٠٠ وان لنا لأسبابا كثيرة تدعونا لذلك : فلقد وهبتنا أمنا « الطبيعة » وطنا رائع الجمال ، فى جباله ، وغاباته ، وبحيراته ، وأنهاره ٠ ونحن نحرص على هذا الجمال كما نحرص على الكنوز ، ونحاول ان نجعل من بلادنا وطنا للجمال الخرافى الذى يأخذ بالألباب** ٠٠ فنحيل مدننا الكبيرة والصغيرة على السواء الى قطع من الفن ، تجد فيها ما يندر ان تجده فى مكان آخر من هذا



المنزل الذى ولد فيه موزار ، وأخرج منه انتاجه الموسيقى الباكر !



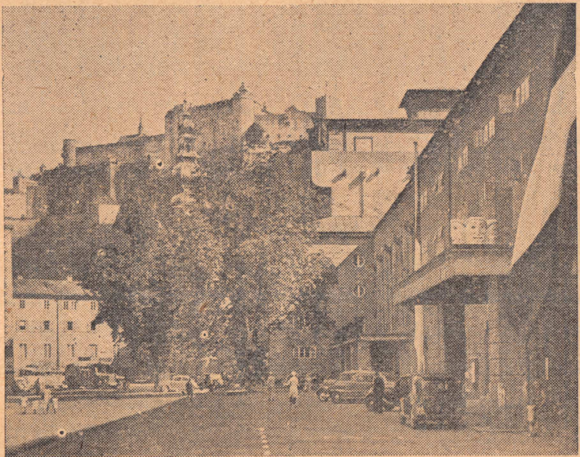
اتوبيس « مزدوج » من عربتين ، يسير فوق « قنطرة الدولة » بسالزبورج ، وخلفها الحى القديم من المدينة

العالم العصرى ، تجـــد فيها«التناسق» ، أو «الهارمونى» !٠
نعم ، ان لدينا الكفاية من أسباب السعادة ، لكن قوام السعادة هو القابلية لاقتسامها مع الآخرين ٠٠ لذلك يشـعر زائرونا الاجانب بأنهم « أصـدقاء » لنا ، فبالنسبة لنا لا يوجـد « أجانب ! »

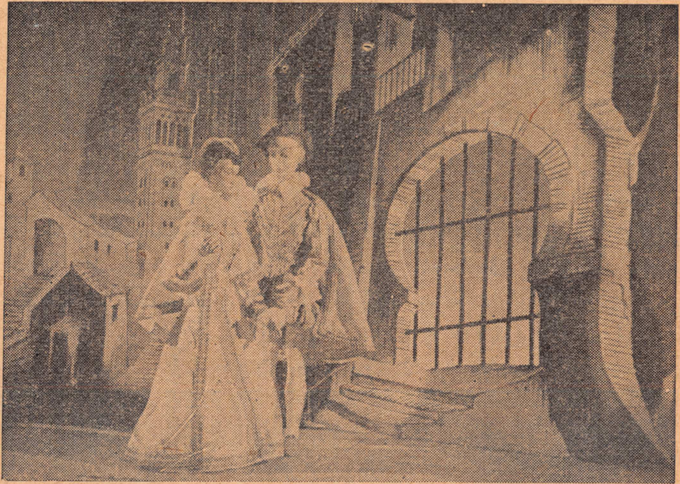
كيف يعيشون ٠٠ وكيف « لا » نعيش نحن !

◆ **والآن** ، هيا بنا نستقل قطار الظهر من محطة اينزبروك ، فى طريقنا الى (سالزبورج) – التى يبلغها قبيل الغروب – وطيلة الطريق ، لا تمل العين النظر الى مجالى ذلك الجمال الفريد الذى أغدقتـه الطبيعة على النمسا بسخاء عجيب ٠٠ وتشـاء المصـادفة ان ألتقى فى (الديوان) ذاته باسرة مصرية من (هليوبوليس) ، مؤلفة من سـيدة وابنتها الآنسة ، فى

طريقهما للحاق بالأب الذى سبقهما الى (فيينا) ٠ ويمر القطار ببحيرة من أجمل البحيرات التى يمكن ان تقع عليها العين ٠٠ ثم يتوقف عن السير فى محطة « زيلام زى » ، فتقول الفتاة انها ولدت فى تلك البلدة ، أثناء اصطياف والديها فيها ذات صيف !٠٠ وتأخذ الام والابنة فى رواية ذكرياتهما عن البلاد ، وعن العاصمة (فيينا) ، وافهم من حديثهما انهما تزوران أوربا كلما سنحت لرب الاسرة الفرصة ، رغم ان مواردهم المالية محدودة ، **فلا املك نفسى من الشعور بالاكبار لهذه العقلية الراقية التى ترى فى الحياة شيئا غير الطعام والدسم يستحق ان ينفق فيه المال !٠٠ وامتزج باكبارى لتلك الاسرة شعور بالاسى لحال الاكثرية الساحقة من الاسرات المصرية —**



مدخل المسرح الذى تقام فيه مهرجانات الموسيقى العالمية التى يتهافت عليها الزائرون من كافة أركان الارض



منظر من أوبرا « الناى السحرى » لموزار ، كما تمثل على مسرح الدمى (الماريونيت) العالمى الفريد من نوعه فى العالم ، وتحرك الدمى بواسطة خيوط يمسك بها اخصائيون يجلسون فى الطابق العلوى فوق خشبة المسرح !

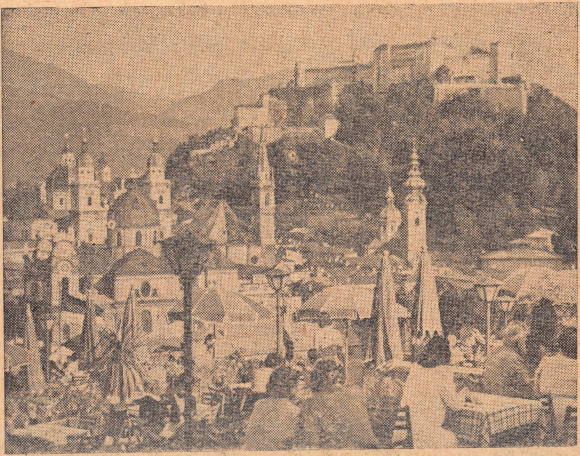
المقتدرة ماليا ـ التى تحرم نفسها وأفرادها من شتى المتع الحسية والذهنية ـ بل والصحية ـ التى يتيحها السفر والسياحة ، كى تقصر همها الوحيد على ادخار المال ، واقتناء المزيد من (الاطيان) ، والانفاق على « المسمنات » والمشهيات من الاطعمة « القتالة » التى تفتك بالكبد والامعاء فى قيظ بلادنا الخانق .. فى حين تعمد الاسرة الاوربية ـ الرقيقة الحال ! ـ الى تنظيم ميزانيتها على أساس الاعتدال السليم فى نفقات الطعام واللباس ، والاقتصاد فى نفقات المظاهر « الكاذبة » الجوفاء ـ التى نشغف نحن بها ـ كى يتوفر لها فى

نهاية العام مبلغ متواضع تنفقه فى السفر والرحلات ، وامتاع النفس والحس بثقافة التجوال فى بلاد الله الواسعة !

أعرف اسرة أوربية تقيم فى مصر ، مؤلفة من الوالدين وابنهما الصبى ، تعيش ، بغير خادم ، فى بيت بسيط الاثاث — على الطريقة الاجنبية — لا يوجد به أثاث لغرفة الطعام — وانما يتناول أفرادها وجباتهم على منضدة مربعة متوسطة الحجم ! — ومع ذلك فان هذه الاسرة تسافر الى الخارج فى كل صيف ، على « سطح » باخرة من البواخر ، فى العراء ، وتستأجر فى البلد الذى تذهب اليه غرفة متواضعة فى « بنسيون » ، وفى كل صباح تطهو الزوجة طعام اليوم فى الغرفة على موقد صغير متنقل حملته معها ضمن متاعها .. حتى اذا حانت الساعة العاشرة من الصباح ، على الاكثر ، خرجت



منظر ثان من مناظر أوبرا « الناى السحرى » التى تمثل على مسرح الدمى بسالزبورج



شرفة مقهى « وينكلر » المشهور ، المشيد فوق صخرة شاهقة ٠٠ وقد شق المصعد الموصل اليه فى قلب الجبل !

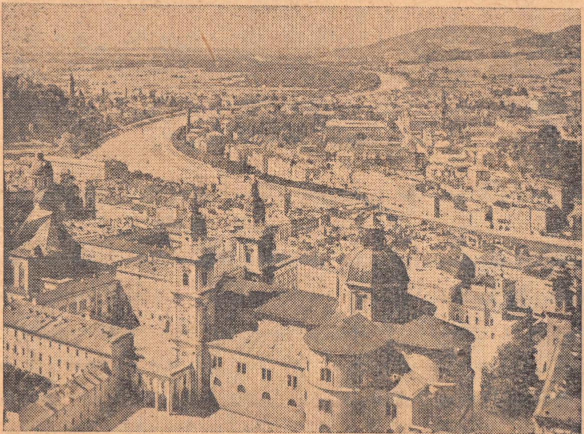
الاسرة لتقوم بجولاتها الممتعة فى أنحاء روما أو باريس أو لندن ٠٠ فاذا حان المساء اتسعت ميزانية الوالدين لقضاء السهرة فى مقعدين « بأعلى التياترو » ، فى المسرح أو الاوبرا ، أو فى مقعدين من مقاعد « البار » الرخيصة فى الكازينو أو الكباريه !

مثل هذه الاسرة التى زارت أجمل بلاد العالم ، وعواصمه وجباله ، بتلك الميزانية المحدودة ، لو كانت لها عقلية «شرقية» لبقيت فى عقر دارها ، قانعة بأن يكون مسكنها مؤثثا بصالون « مذهب » ، وغرفة طعام ذات ١٢ مقعدا ـ للضيوف الذين يدخلونها مرة كل عام ! ـ وبأن يكون فى البيت خادم ، يتيح لربة البيت ان تتغيب نصف النهار فى بيوت الصديقات ، أو تتسكع بين المحلات التجارية !٠٠ وحتى لو كانت ممن يلزمن

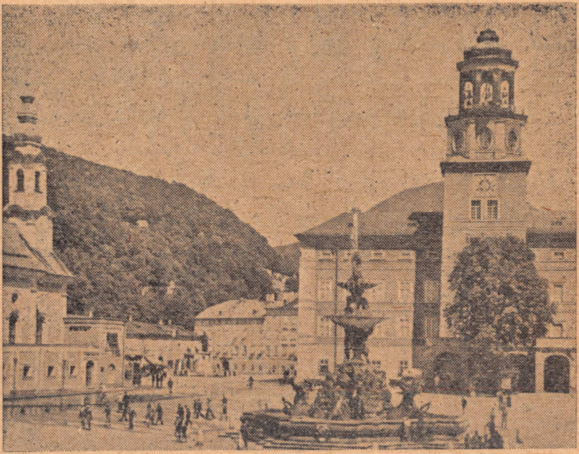
دارهن ، وكانت تعرف الطهـو ، وتستمتع بحمد الله بالصحة والعافية ، فحسبها ان تحتفظ « بمظهر » الاسرة التى تستطيع ان « تقتنى » خادما !

اريد أن أقول اننا لم نتعلم بعد كيف نعيش ، وكيف ننفق المال فى الوجوه الصحيحة لانفاقه !

٠٠ ولنعد من هذا الاستطراد الى الاسرة المصرية التى قابلتها فى القطار بين اينزبروك وسالزبورج ، والى الفتاة المصرية التى ولدت فى (زيلام زى) منذ نحو عشرين عاما !٠٠ فقد انفقنا الوقت نتحدث فى هذه المعانى وغيرها ، ونتملى من جمال الطبيعة الذى يتتابع أمام أنظارنا خارج نوافذ القطار ٠٠ حتى اقتربنا من « مدينة الملح » ـ وهى الترجمة الحرفية لاسم « سالزبورج » ، ربما بحكم وجود مناجم لبعض أنواع الاملاح فى جبالها ٠٠



منظر عام لمدينة سالزبورج ، ترى فيه مبانيها ذات الابراج والقباب العتيقة ، ويشقها النهر فى وسطها ٠٠ وقد التقطت هذه الصورة من قمة قلعة المدينة



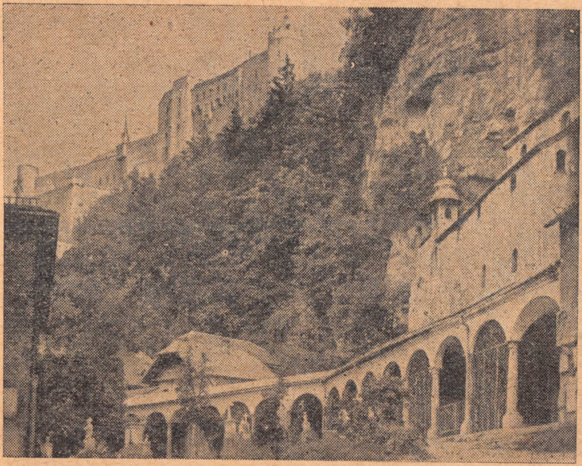
احد ميادين سالزبورج ، وتتوسطه نافورة « بئر البلاط » الجميلة التى تضاء ليـــلا .. والى اليمين « برج الاجـــراس »

حيرة السائح الاجنبى !

◆ **وكان** أول مالفت انتبــاهى فى عاصمة المهــرجانات الموسيقية ، التى يؤمها آلاف السياح كل صيف ، ان أهلها وجميع المشرفين على مختلف المرافق فيها ، لايعرفون كلمـــة واحدة من أية لغة غير الالمانية !.. **بحيث يصعب على السائح الذى يجهل هذه اللغة أن يتفاهم مع أى انسان ، أو يعرف طريقه في المدينة .. اللهم الا اذا أسعفه الحظ وصادف سائحا أجنبيا آخر يعرف المدينة بحيث يستطيع ارشاده الى معالمها !.. حتى مكاتب شركات السياحة ــ مثل شركة كوك ــ التى تتخذ لها فروعا فى ميدان المحطة ، كان موظفوها يجهلون كل لغة عدا الالمانية !**

كانت هذه هى المفاجأة الاولى لى فى سالزبورج ٠٠وساعتئذ ندمت لأنى أهملت المبادىء التى تعلمتها من هذه اللغة أثناء دراستى الثانوية - من مدرس ألمانى كان يحضر الى المدرسة التى تلقيت فيها دراستى تلك - وقد تقدمت فى هذه اللغة يومئذ الى الدرجة التى حصلت معها على شهادة بدرجة جيد جدا كان موقعا عليها من « البارون فون شتورر » سفير المانيا فى مصر يومئذ ٠٠ فكيف يؤدى عدم ممارستى لغة تعلمتها طيلة عام كامل ، الى نسيانها نسيانا تاما على هذا النحو الذى تبينته وأنا واقف فى محطة سالزبورج ، حائرا ، أحاول التفاهم « بالاشارات» كالاخرى ٠٠ أو كالاطرش وسط الزفة؟!

وأسلمت أمرى الى الله ، وتقدمت نحو أول « أتوبيس » وجدته أمامى ٠٠ **والاتوبيسات فى سالزبورج - دون سائر بلاد أوربا الاخرى - تتألف من « عربتين » ٠٠ عربتين**



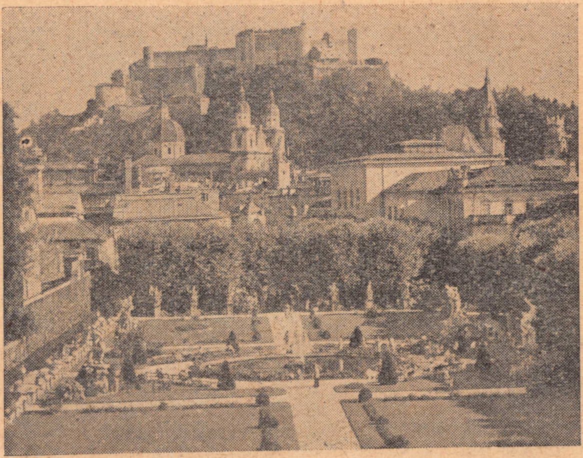
« دير السلام » أو دير القديس بطرس ، بسالزبورج

مستقلتين تربط بينهما « وصلة » من القماش أو الجلد الاسود شبيهة بما يوجد فى آلة التصوير - « المنفاخ » - التى تستطيل وتقصر حسب الطلب .. الامر الذى يسمح للعربتين بقدر كاف من المرونة عند دورانهما فى المنعطفات ..

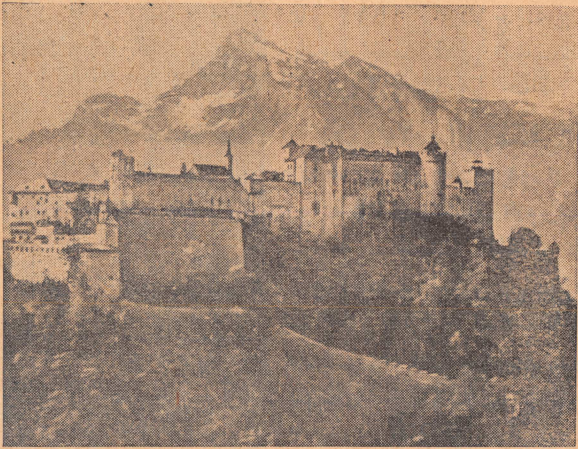
ولحسن الحظ ، التقيت فى السيارة بمجند أمريكى ، أنهى أزمة اللغة التى كنت أعانى منها حتى تلك اللحظة ، وكتب لى ترجمة كاملة لاسماء معالم المدينة الهامة التى كنت معتزما زيارتها ..

مدينة « موزار »

◆ **وسالزبورج** مدينة ذات طابع « كلاسيكى » عتيق ، وشوارع أكثرها ضيق نسبيا .. فقد أسست عام ٦٩٠ ، على أنقاض بلدة رومانية ، وكان مؤسسها رجل من رجال الدين يدعى « القديس روبرت » . وفى القرون التالية ساهم حكام



حدائق « ميرابيل » الخلابة ، تشرف عليها القلعة والقبة (الدوم)



أحد قصور سالزبورج القديمة ، وقد شيد فوق قمة شاهقة من قمم الجبال المشرفة عليها ، يبلـــغ ارتفاعها ١٨٠١ مترا

المدينة فى تحسينها وتوسيعها ، حتى جاء أحدهم فى القرن السادس عشر فاعتزم ان يجعل منها (روما) أخرى ، وفى سبيل بلوغ هذه الغاية « اجتث » شوارع بأكملها من الاحياء العتيقة ، وأنشأ بدلا منها الميادين والشوارع الفسيحة . بل يقال انه أشعل – سرا – الحريق الذى دمر كنيسة القديس بطرس ، كى ينشىء على أنقاضها كاتدرائية ضخمة تفوق مثيلتها المشهورة فى روما ! .. والى الحاكم المذكور يرجع الفضل فى اقامة أجمل مبانى المدينة ذات الهندســـة القوطية وهندسة عصر النهضـــة – وأكثر هـــذه المبانى باق حتى الآن – لكن أكثر مشروعات ذلك الحاكم لم تخـــرج مع ذلك الى حيز التنفيذ ، لسوء الحظ ، بسبب القاء القبض عليه بأمر البابا ،

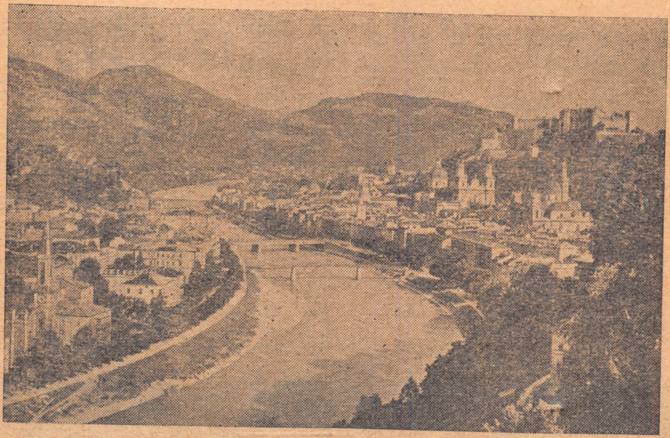


نافورة « بئر البلاط الملكى » ، وقد سلطت عليهاالاضواءالملونة ليلا

عام ١٦١٢ ، والزج بهفى قلعة المدينة حيث قضى السنوات الخمس الاخيرة من حياته ٠٠

وفى ٢٧ يناير سنة ١٧٥٦ رزقت « آن مارى موزار » ، زوجة عازف الكمان الاول بجوقة المدينة ، طفلا أطلقت عليه « وولفجانج اماديوس موزار » - الذى تعتز به النمسا الآن بصفته أعظم من أنجبته في تاريخها على الاطلاق! - ومنذ سنة ١٩١٧ ، يقام فى سالزبورج فى شهر أغسطس من كل عام ، مهرجان موسيقي لتخليد ذكرى العبقرى الذى قل أن يجود الدهر بمثله ٠٠ فيتقاطر على المدينة فى الشهر المذكور مئات الالوف من عشاق الموسيقى من جميع البلاد ، تحقيقا للمبدأ الذى اعتنقه موزار فى حياته ، والذى تعبر عنه موسيقاه الخالدة ، وهو « جمع المواطنين » من العالم بأسره حول هدف واحد ، هو حب كل ماهو جميل ! »

وفى سالزبورج ثلاثة أماكن يتجه اليها تدفق الزائرين فى مهرجانات موزار : أولها المسرح العالمى الذى تعزف فيه موسيقاه بوساطة جوقة من أشهر الجوقات المتخصصة فى عزفها ٠ ويبلغ من تهافت زائرى المدينة على حضور تلك الحفلات ان تذاكر حفلات الشهر بأكمله تكاد تحجز مقدما قبل موعدها بأسابيع ،



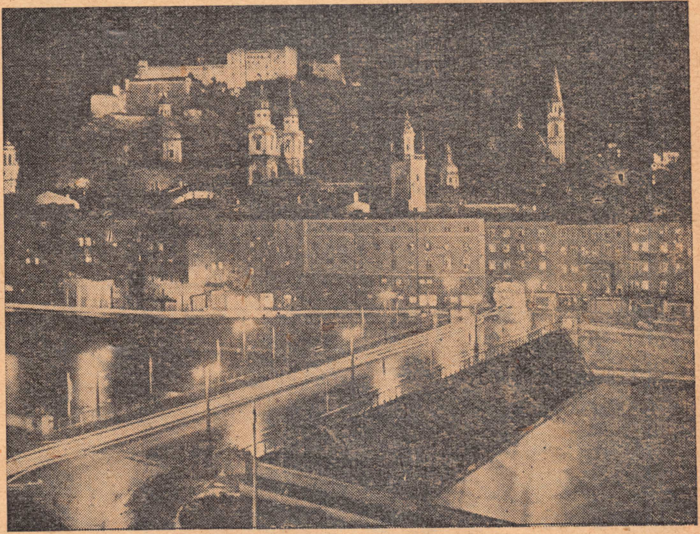
منظر عام لجانب من مدينة (سالزبورج)

بل شهور !٠٠ وبالفعل ، عجزت خلال اليومين اللذين قضيتهما فى المدينة عن الحصول على تذكرة واحدة تتيح لى حضور حفلة بالمسرح المذكور !

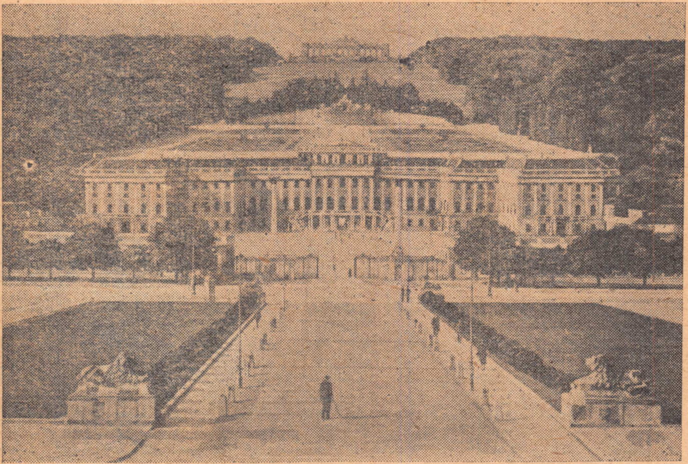
والهدف الثانى لعشاق موزار من زائرى المدينة هو « متحف موزار » ، أو البيت الذى ولد فيه الموسيقى الخالد وعاش فيه فترة شبابة الباكر ، وأنتج فيه الكثير من مقطوعاته المشهورة٠

أما الهدف الثالث لتزاحم السائحين فى أيام المهرجان ، فهو مسرح « الماريونيت » – أى الدمى التى من قش – وهو أجدر الجهات الثلاث بالرؤية ، لانه الوحيد من نوعه فى العالم ٠٠ فأنت تشهد فيه أوبرا كاملة من الاوبرات الغنائية المشهورة – وقد كانت الاوبرا التى حضرتها فيه هى أوبرا «الناى السحرى» التى لحن موسيقاها موزار – ويخيل اليك لاول وهلة ان أبطال الرواية الذين يتحركون على المسرح ويرفعون عقيرتهم بالغناء هم بشر مثل سائر ممثلى الاوبرا فى العالم ٠٠ لكنك

اذا دققت النظر اليهم لحظت في حركات أيديهم وسيقانهم بين الحين والآخر اندفاعات سريعة غير طبيعية ٠٠ ولحظت فى الهواء فوق رؤوسهم خيوطا رفيعة ترتفع الى سقف المسرح ٠٠ ذلك ان جميع أولئك الممثلين ماهم الا « دمى » من القش ، بحجم البشر الطبيعى ، قد البست ثياب ابطال الرواية وأجرى لها « الماكياج » والزينة اللازمين كى تبدو فى اشكال الابطال الحقيقيين ٠٠ لكن أصعب مراحل الموضوع انما هى فى طريقة تحريك تلك الدمى على المسرح بحيث تسير ، وتقف ،وتنهض، وتجلس ، وتحرك فمها ورأسها ، بصورة تلائم الاصوات المنبعثة من المغنين المختفين وراء الكواليس !



احد أحياء سالزبورج الجديدة كما يبدو أثناء الليل ، يشقه النهر وتتلألأ فوقه القنطرة بالانوار

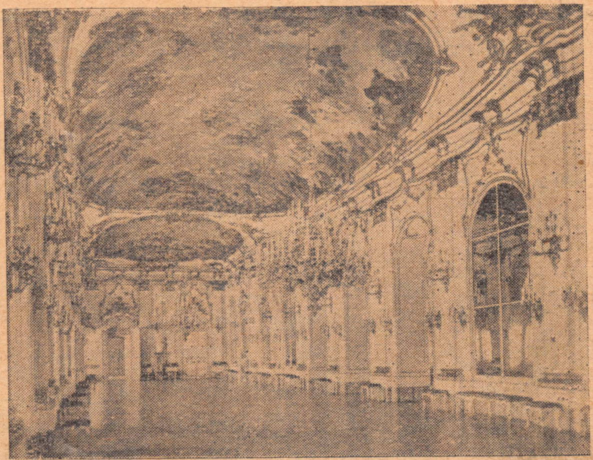


منظر عام لقصر « شونبرون » الامبراطورى بفيينا ، تحيط به حدائقه التى لا تدانيها سوى حدائق قصر فرساى بباريس

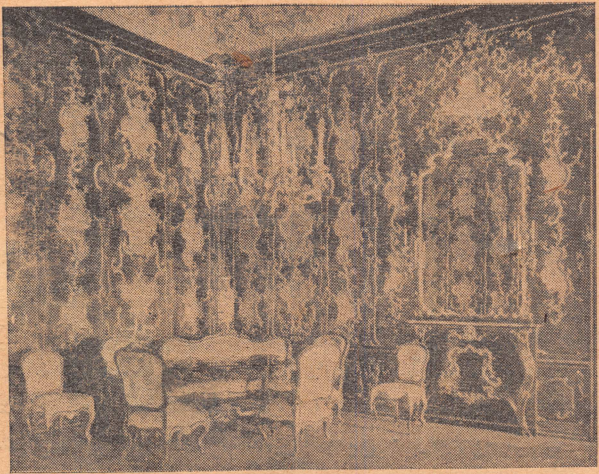
وطريقة تحريك هذه الدمى هى العجب العجاب حقا ، فهى آية من آيات الفن والدقة ٠٠ والصبر !٠٠ والا فيكفي أن تتصور ان كل دمية منها ترتفع منها عشرة خيوط ربط كل خيط منها بأصبع من أصابع يدى « المحرك » الرابض فى الطابق الاعلى فوق خشبة المسرح ٠٠ ومن « مخبئه » ذاك يحرك كل شخص من هؤلاء أصابعه العشرة بكل دقة ، وفق صوت الغناء المفروض أن ينبعث من حنجرة الدمية الموكل بها ، فيرفع رقبة الدمية ، وهى « تغنى » ، ويحرك ذراعها وهى تشير بيدها فى نفس الوقت ٠٠ ثم يحرك قدمها فتسير وتذهب وتجىء اثناء الغناء ٠٠ كل ذلك فى وقت واحد ، وبتوقيت لو أبطأ أو تعجل ثانية أو جزءا من الثانية فى غير موعده ، لانفضح الزيف وفسد التمثيل !

حقا انها لآية من آيات الفن الرفيع ، جديرة بتخليد ذكرى موزار !

ولتكوين فرقة الدمى المذكورة قصة طريفة : فقد أنشأها النحات « انطون ايخر » فى عام ١٩١٣ ، مستغلا معلوماته فى تركيب الجنس البشرى ـ بوصفه فنانا مشتغلا بصنع التماثيل ـ كى يجعل من صناعة تلك الدمى « فنا » يراعى فيه تناسب أعضاء الجسم ، ومرونة حركة الخصر ، واستجابة الاطراف لأبسط جذبة من الخيط الذى يحركها ٠٠ الى غير ذلك من المشكلات ٠ وحين بلغ ابن صاحب المشروع ، ويدعى هرمان ، الثالثة والعشرين من عمره ، أشركه أبوه فى ادارة مشروعه المبتكر ، فأدخل عليه بدوره الكثير من التحسينات ، مدفوعا بحماسة الشباب وايمانه بأفكاره ٠٠ حتى بلغ المشروع الآن هذا الشأو العظيم ، والسمعة العالمية ، اللذين ظفر بهما ،



بهو الرقص بقصر « شونبرون »



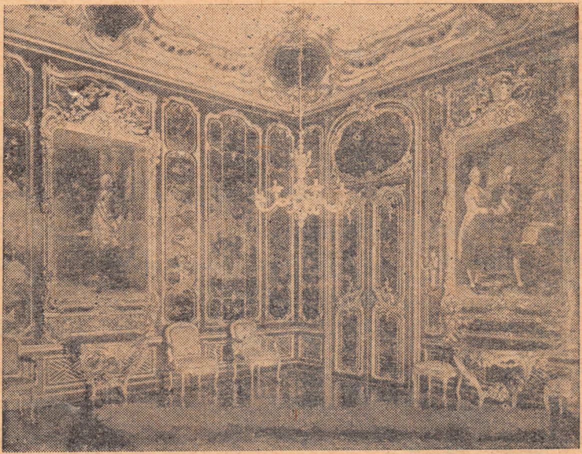
« قاعة المليون » بقصر « شونبرون » ، التى تكلفت زينتها مليون جنيه كاملة ! (وقد فكت زخارف جدرانها وأرضها قطعة قطعة أثناء الحرب وأخفيت فى قبو ، خوفا من الغارات الجوية !)

سواء فى وطنه أو فى سائر أقطار العالم التى زارتها الفرقة الفريدة فى نوعها ـ **ومن بين هذه الاقطار : الولايات المتحدة، أمريكا الجنوبية والوسطى ، كنــدا ، انجلترا ، فرنسا ، سويسرا ، ألمانيا ، هولندا ، ايطاليا ، تركيا ، اسكندناوة ، و١٢ دولة أخرى .. كما جابت الفرقة أنحاء القارة الامريكية من أقصاها الى أقصاها ثلاث مرات !.. وبلغ عدد الاميال التى قطعتها فى رحلاتها المختلفة مايوازى خمسة أضعاف الجولة حول العالم .. وزارت خلال هذه الرحلات ستمائة مدينة ، أقامت فيها ثلاثة آلاف حفلة ، حضرها أكثر من مليونى شخص .. هذا فضلا عن ال ٧٨٣٣ حفلة التى أقامتها فى سالزبورج**

ذاتها خلال موسم المهرجان طيلة هذه الاعوام ، وقد حضرها نحو مليونين ونصف مليون آخرين •

ورغم الزهو الذى يستحق أن يحسه « هرمان ايخر » الابن ـ المدير الحالى للفرقة ـ فانه لايدع فرصة الا وينتهزها للاشادة بمدى المساعدة التى تقدمها له فى عمله زوجته « الفريدا » ، المغنية التى تقوم ببعض أدوار الغناء فى أوبرات الفرقة ، والتى اضطلعت الى جانب ذلك بتصميم وصنع أزياء أكثر الدمى « السبعمائة » التى تتكون منها الفرقة !

والى جانب الزوجين ، تتولى ابنتاهما « فريك » و « جريتل» أعمالا أخرى هامة بالفرقة ، كالادارة الفنية للمسرح ،والاضاءة، والاشراف على مطبخ المسرح ، وتوفير اسباب الراحة لجميع المشتركين فى هذا العمل الفنى الجليل • ومما يذكر ان الفرقة



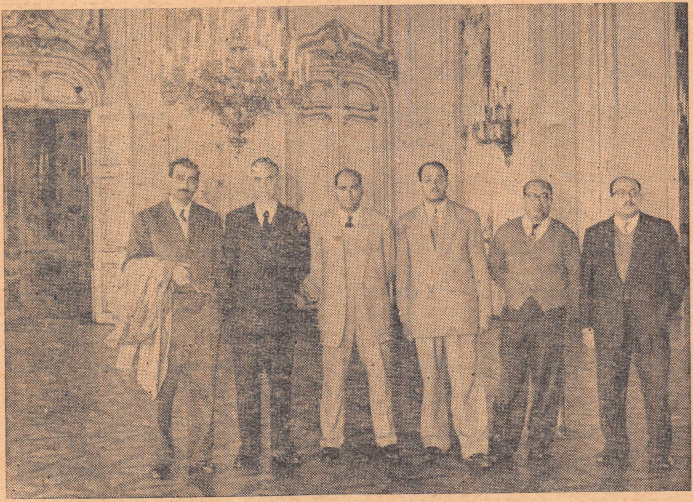
قاعة أخرى فاخرة من قاعات القصر الامبراطورى

قد نالت الجائزة الاولى للفن المسرحى فى معرض باريس الدولى سنة ١٩٣٧

ترى هل نأمل أن نرى هذه الفرقة ذات الشهرة العالمية تعرض فنها الرفيع على مسرح دار الاوبرا بالقاهرة .. ذات شتاء ؟

الملهى « المنحوت » فى قلب الجبل !

◆ **فاذا** خرجنا من « مسرح الدمى » وقد اشبعنا وجداننا من هذه الموسيقى السماوية ، فتعال نختم ليلتنا الاولى فى المدينة بجولة بين ملاهيها وسهراتها المختلفة – فعلى العكس



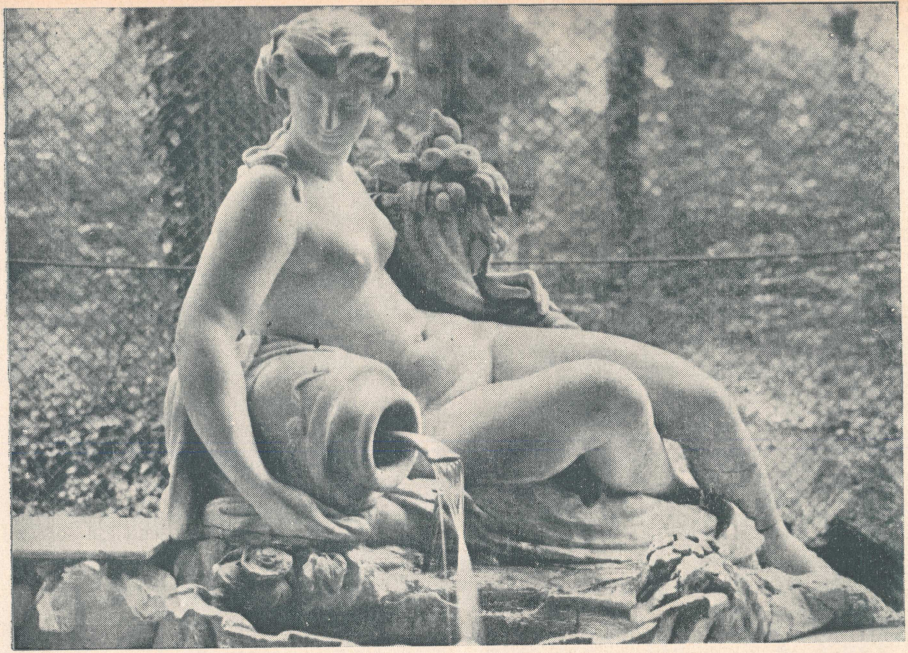
المحرر (فى أقصى اليسار) ، فى احدى قاعات قصر « شونبرون » بفيينا ، مع عدد من السائحين القادمين من القاهرة ، وهم من اليسار : مسيو كاتافاجو ، الاستاذ محمد مصطفى المنفلوطى ، الاستاذ محفوظ القاضى ، الدكتور خليل ميخائيل ، المهندس رأفت غبريال

من اينزبروك ، تحفل « مدينة الملح » بالسهرات ودور اللهو التى لاتنام قبل الساعات الاولى من الصباح ٠٠!

وأشهر ملهى من ملاهى سالزبورج هو ملهى « وينكلر » الفاخر ، الذى ينفرد بطابع غريب لا مثيل له الا فى مقر «هتلر» الجبلى المعروف بوكر النسر فى (برخستجادن) : فبينما انت فى أحد ميادين سالزبورج ، ترى أمامك ، كضلع من اضلاع الميدان ، حائطا « طبيعيا » شاهقا لا يكاد يدرك البصر قمته ، هو سفح « عمودى » - رغم التناقض الواضح بين اللفظين ! - لجبل شامخ ٠ والعجيب فى أمر هذا الجبل انه يقوم فى وسط الميدان على شكل جدار قائم الزاوية تماما ، كما لو كان واجهة لعمارة ملساء الجدران ، ليس فيها بروز أو صخرة ناتئة ٠٠ وفى أسفل الجبل مدخل منحوت فى قلبه على هيئة مدخل عمارة ، تدخله فاذا انت بين مصعدين يحملان الزائرين - فى قلب الجبل - الى قمته ، حيث شيد ملهى هائل جعل جزء منه صيفيا على شكل مدرج أنيق يشرف على منظر ساحر للمدينة الراقدة تحت أقدام الجبل ٠٠ والجزء الثانى من الملهى صالات مسقوفة متعددة الاغراض : فهذا مطعم مزدحم بالطاعمين ، وتلك صالة للرقص ، بها بار ٠٠ وهذه قاعة ثالثة للموسيقى ٠٠ الخ

فاذا أرضينا فضولنا بحضور جانب من برنامج كل قاعة ، فتعال نهبط بالمصعد الى الشارع ٠٠ ماهذه ؟ عربة (حنطور)، هنا ؟ ٠٠ اذن فلنستقلها الى الملهى التالى فى الاهمية ، وهو « ملهى كازانوفا » ٠٠ لكنه لا يزيد عن أى « كباريه » أنيق من كباريهات (القاهرة) !٠٠ اذن فلنغادره الى سواه ٠٠ هذا « كهف » ذو طابع تقليدى مرح ، تعزف فيه موسيقى الغجر الهنغارية ٠٠ وتلك حانة يصطخب فيها الرقص على أنغام « الفالس » الارستقراطية ٠٠ الخ

وفى العدد القادم ، نمضى معا الى (فيينا) مدينة الفن والجمال



تمثال من بدائع فن النحت النمسوى ، يزين – مع عشرات من أمثاله – حدائق قصر « شونبرون » الامبراطورى بمدينة فيينا



احد احياء مدينة(سالزبورج) النمسوية - عاصمة المهرجانات الموسيقية - كما يبدو متلألئا بالانوار أثناء الليل ..

أقنعة الحب السبعة

غرام "مدام بوفاري"

للكاتب الفرنسي الخالد: جوستاف فلوبير

تلخيص وتعليق:

اندريه موروا



القناع السادس ••

◆ تدرج بنا الكاتب المحلل « أندريه موروا » وهو يستعرض أطوار الحب وألوانه ، فى هذه الفصول الشائقة ، من حب « مدام دى كليف » المنطوى على « الفروسية » والشهامة •• الى حب جوليا – (هيلويز الجديدة) – الرومانتيكى الطاهر •• الى الحب الفاجر كما تصوره قصة العلاقات الخطرة •• الى الحب « ذى الوجهين » ، الذى يمتزج فيه الطهر بالفجور ، كما أبدع فى وصفه « ستندال » فى قصته « الاحمر والاسود » •• وأخيرا رأينا القناع الخامس من أقنعة الحب فى قصة « بلزاك » الخالدة « زنبقة الوادى »

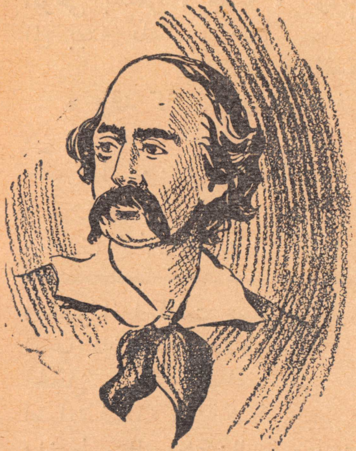
واليوم يقدم لنا « موروا » سادس ألوان الحب ، وهو الحب الذى يوحى به « الضجر » •• والرغبة فى الفرار من الواقع !

١ – « فلوبير » •• الانسان

◆ **كان** أبوه جراحا شهيرا فى مدينة (روان) ، فنشأ الابن بين جدران مستشفى ابيه ، وكان أول ماتفتحت عليه عيناه فى دنياه ، العراك مع الموت ! •• أو على حد وصفه : « كان مدرج المستشفى يشرف على حديقتنا ، وكم من مرة تسلقنا – اخواتى وأنا – تكعيبة الكروم ، كى نتأمل الجثث الممددة تحتنا ، والشمس تحرقها بنارها ، والذباب ينهشها فى غير رحمة •• نفس الذباب الذى يحوم حولنا نحن ويطن فوق هام الازهار • ! »

ويؤثر المنظر فى عقل « فلوبير » الباطن •• حتى يكبر ويغدو رجلا ، فيكتب الى خليلته « لويز كوليه » يوما رسالة يقول فيها : « ان منظر المرأة العارية يجعلنى أتخيل هيكلها العظمى ! »

ويشغف فلوبير منذ صباه بالتعمق الى باطن « النفوس » البشرية أيضا – لا الاجسام وحدها – والى تأمل « الهيكل العظمى » للأفكار الشريرة التى تختبىء فى أعماق أنقى الناس سيرة فى الظاهر ! • • فاذا الخطاب الاول الذى يكتبه الصبى



وهو فى سن التاسعة الى أحد أصدقائه يتضمن هذه العبارات : « ياصديقى ، انك محق فى ملاحظتك سخف الاحتفال برأس السنة ٠٠ أن أكثر تصرفات الناس تبدو لى سخيفة غبية! »

٠٠ وحياة فلوبير هى ثورة عنيفة طويلة الامد ضد غباء بنى البشر !٠٠ فقد شب ساخطا حانقا على أولئك الرجال «الذين تملأ حياتهم عاطفتان : جمع المال ، والحياة من أجل ذواتهم فقط ! »

٠٠ وأولع منذ يفاعته بقراءة «هوجو» و«شكسبير» و «بيرون» و « روسو » ٠٠ لكن «هوجو» كان أحبهم اليه ، وحين قدر له يوما أن يزوره فى بيته ، كتب يقول: **« لقد استمتعت برؤيته عن قرب ، فحدقت فيه مشدوها كما أحدق فى اناء مملوء بملايين الجواهر الكريمة، متأملا كل صغيرة وكبيرة تصدر عن هذا الرجل الذى جلس بجوارى على مقعد صغير ، مدققا النظر فى يده اليمنى التى كتبت كل تلك الروائع الجميلة، قائلا لنفسى : « هذا هو الرجل الذى جعل قلبى ينبض أشد نبض عرفته منذ ولدت ، والذى أحببته أكثر من جميع من لم أعرف ! »**

والكاتب الثانى الذى كان له تأثير أدبى كبير على فلوبير هو « جيته » ، فقد قرأ قصته «فاوست» فى شارع (كورلارين) الجميل بمدينة روان ، الذى تحف به الاشجار العالية من جانب، ويحف به من الجانب الآخر نهر السين ٠٠ وفى مواجهته على الضفة الاخرى تدق أجراس الكنائس التى يختلط رنينها فى

الوعى بشعر « جيته » الرائع .. فكان رأسه يدور ويعود الى بيته كالمأخوذ ..!

العاشق الخجول

◆ **وقد** كانت أول امرأة فى حياة « فلوبير » فتاةانجليزية من صديقات اخواته ، كان يرتبك ويعتريه الاضطراب فى حضرتها !.. وحين بلغ الخامسة عشرة ـ وكان فى مدينة (تروفيل) ـ التقى بزوجة احد كبار رجال الاعمال ، وتدعى « مارى شليزنجر » ، **فكانت ذكرى حبه اياها هى التىأوحت له بشخصية « مدام ارنو » بطلة قصته « التربية العاطفية »** .

ويظهر انها كانت جميلة ، تكبره بثلاث عشرة سنة ، ولكنحبه اياها كان حبا « افلاطونيا » عزريا ـ فقد كان يغلب على طبيعته الخجل ، الذى ضاعف من حدته مرض عصبى لم يلبث أن أصابه فمنعه طيلة شطر كبير من حياته من أن يختلط بالناس، واضطره الى الاعتزال فى بيت صغير بضاحية « كرواسيه »

لكن حياته فيما بعد لم تخل من خليلة ، واحدة على الاقل ، هى « لويز كوليه » .. ويالها من خليلة !.. كانت لويز امرأة رائعة ، كرست جسدها الوردى وشعرها الاشقر وعينيهـــا الجميلتين للترفيه عن الادباء ، فتنقلت بين أحضان « فكتور هوجو » ، و « ألفريد دى موسيه » ، و « ألفريد دى فينى » .. وفى سنة ١٨٤٦ التقت بفلوبير ، الذى كان فى الخامسة والعشرين ، فلم يمض شهران حتى صارت خليلته !

.. ويبدو أنه أحبها حبا مفرطا ، يفضحه خطابه الاولاليها: **« منذ اثنتى عشرة ساعة كنا مانزال معا .. ومع ذلك ، فلكم يبدو ذلك الآن ، ماضيا سحيقا ! .. الليل من حولى دافىء ناعم ، وانى لأسمع تحت نافذتى حفيف أشجار الخزامىيعبث بها الهواء ، وأرى القمر منعكسا على صفحة النهر .. لكنى وحيد !.. لقد وضعت خطابيك اللذينأرسلتهما الى فىحافظة أوراقى المطرزة ، ولسوف أعيد قراءتهما حين أفرغ من كتابة**

هذا الخطاب . انك المرأة الوحيدة التى أحببتها ، باستثناءامرأة أحببتها من سن الرابعة عشرة الى سن العشرين ، دون أن أفاتحها أو ألمسها !.. لكنك الوحيدة التى أحيت فى قلبى الامل فى أن أحظى باعجابها .. بل لعلك الوحيدة التى حظيت باعجابها فعلا .. فشكرا ثم شكرا ! »

وقد سخر فلوبير فيما بعد من هذه العبارات آلتى كتبها ، فانه سرعان ماتمالك نفسه فزهد فيها .. وبدأت صلتهما تفسد تدريجا .. حتى كتب لها ذات يوم يقول : « يبدو انك لاتفهميننى على حقيقتى ، فأنت أحيانا ترفعيننى الى مرتبة أسمى منى ، وأحيانا أخرى تهبطين بى الى درك أدنى مما أستحق .. وهذا هو داء النساء منذ القدم : فهن لايعرفن الاعتدال ، ولا يردن أن يفهمن المخلوقات المعقدة ، التى هى الغالبية العظمى بين البشر !.. ولقد تبينت منذ زمن أن من يريد أن يعيش حياة هادئة لا بد أن يعيش وحيداً ، ويحكم اغلاق نوافذه لئلا يتسرب اليه هواء المجتمع !.. وهذا هو السبب فى انى عشت سنوات عديدة أتجنب رفقة النساء ! »

ولقد كان فلوبير فى حبه ، كما فى صداقته ، قاسيا ،سريع الغضب ، فريسة للانفعالات والتقلبات العنيفة .. أو كما وصفته « لويز » ـ وبحق ـ بعد انفصالهما : « ان شخصيته الوحشية كانت دائمة السخط والحنق فى أوقات وحدته ! » .. لكنها رغم ذلك اعترفت بأن صلابته وشدته وكبرياءه قد منحته سيطرة عليها لا تقاوم !

على أن لويز قد أمدت فلوبير ولا شك ببعض العناصر التى استخدمها فيما بعد فى كتـــابة قصته العظمى : « مدام بوفارى » ، التى كان شروعه فى كتابتها ـ فى سنة ١٨٥١ ، وهو فى سن الثلاثين ـ خاتمة لحياته كعاشق .. فمنذ ذلك الحين حتى نهاية عمره تنحصر قصة حياته فى قصة عمله دون سواه !

وقد اقتبس فلوبير حوادث القصة وشخصياتها من قصة واقعية بطلها طبيب من تلاميذ فلوبير الاب يدعى « ديلامار »، كان يعمل طبيبا لقرية (رى) حين ماتت زوجته ، فتزوج من فتاة تدعى « ديفلين كوتورييه » نشأت فى مدرسة (روان) الداخلية للبنات ٠٠ الخ

ولكن ٠٠ فلتنتقل من القصة الواقعية الى القصة الروائية ، قبل أن يفسد السياق حوادثها ومفاجآتها ٠٠!

٢ ـ مدام بوفارى

• « شارل بوفارى » طبيب من أطباء الريف ، أرمل ٠٠ يستدعى ذات يوم لعيادة فلاح نورمندى مسن يدعى «روال» ٠٠ وهناك يرى الى جوار فراش المريض ابنته « ايما » ، فيدهشة بياض أظافرها « المشرقة الرقيقة ، الأكثر لمعانا من العاج ٠٠ وان كان جمالها الحقيقى يكمن فى عينيها السمراوين اللتين تبدوان ، من فرط غزارة أهدابها الفاحمة ، سوداوين ٠٠ ونظرتها الصريحة الجريئة ٠٠ ورقبتها القائمة فوق ياقة ثوبها البيضاء ٠٠ وشعرها الاسود الناعم ، الذى يشقه من الوسط جدول رفيع أبيض ٠٠ » ٠٠ الخ

ويعرب الطبيب عن رغبته فى الزواج منها ، ويوافق والدها ٠٠ وكذلك تفعل هى ، فانها قد ضاقت ذرعا بالريف ٠ ومن يدرى ؟ لعل هذا الطبيب الريفى يكون فتى أحلامها !؟٠٠ وفى ليلة الزفاف تتمنى « ايما » لو تزف فى منتصف الليل على ضوء المشاعل الباهرة ، لكن والدها الشيخ لا يستطيع أن يقدر هذه النزوة التى تشف عن حس مرهف !

على أن « شارل بوفارى » يخيب رجاء عروسه ذات الخيال ، والحس المرهف : « لقد حسبت قبل الزواج انها تحبه ٠ ولكن حين لم تواتها السعادة التى تعقب الحب عادة ، بدأت تستنتج

انها لا بد كانت مخدوعة فى عواطفها !٠٠ وحاولت « ايما » ان تتصور ماذا يقصد الناس بالضبط بكلمات : « الهناءة » و « النشوة » و « العواطف الملتهبة » ، التى تبدو جميلة فى الكتب !

نعم ، فى الكتب ! ٠٠ فان أبرز صفات مدام بوفارى انها قد كونت عقائدها عن الحياة من الكتب ! « كانت قد قرأت (بول وفرجينى) ، وحلمت بالعش الجميل الصغير ،والخادم الزنجى « دومنجو » ، والكلب الامين ، وقبل كل شىءبالصداقة العذبة مع الاخ الغالى الذى يتسلق الاشجار كى يقطف لك منها الثمار الحمراء ، أو يجرى على الرمال حافى القدمين كى يحلب لك عش عصفور ٠٠»

٠٠ فأين من هذا ريف نورماندى حيث تعيش ، وحيث لا شىء يذكى الوجدان ؟٠٠ « كانت لا ترى غير قطعان الماشية، والمحراث ، وحظائر الابقار التى تدر اللبن ، فملت هذه المظاهر الهادئة للحياة ٠٠ وتاقت الى مظاهرها الصاخبة ٠ أحبت البحر من أجل عواصفه وحدها ، والحقول الخضراء حين تبدو فقط بين الاطلال ٠٠ ونبذت كل مالايحقق لقلبها رغباته المباشرة ٠٠ كانت تبحث عن الانفعالات ، لا مناظر الطبيعة ! ٠٠ ولم تكن تحرك قلبها غير حياة الهوى كما تصفها القصص والروايات ، حيث العشاق والعشيقات ، وأنين القلوب الولهانة، ووعود الغرام ، والتأوهات ، والدموع والقبلات ٠٠ والزوارق التى تمر تحت ضوء القمر ، والبلابل التى تغرد فوق الافنان فى الغابات ٠٠ والرجال الشجعان كالاسود ، الرقيقون كالحملان ٠ الخ ٠٠ وكان جو المؤسسة التى درست فيها قد ساهم فى اذكاء وجدانها ٠٠ لم يكن فى الصور التى تزين غرفة الموسيقى بها ، والمقطوعات التى كانت « ايما » تغنيها ، غير « الملائكة الصغار ذوى الاجنحة الذهبية ، والعذارى

الساحرات ، والملاحين الذين يغنون فى زوارق الجندول وهى تشق أمواج البحيرات » •• الخ

•• وكانت شغوفة بتأمل الصور واللوحات الجميلة التى **تقع عليها عيناها : فهذه شرفة قصر عتيق يقف فيها شاب ذو معطف قصير ، وبين ذراعيه فتاة ترتدى ثوبا ابيض •• وهؤلاء نسوة انجليزيات بشعورهن المجعدة ، ينظرن اليك بعيونهن البراقة من تحت قبعاتهن •• وهؤلاء سلاطين من الشرق ، مسترخين تحت مظلات بساتينهم ، يدخنون غلايينهم الطويلة •• وفى أحضانهم محظياتهم !** ••وهذه أشجار نخيل، وتلك معاطف فراء ، ونمور وأسود ، ومنارة فى الافق ،وأطلال رومانية ، وابل تعبر الصحراء ، وغابات عذراء ، وغدران وجداول ترقص على صدرها أشعة الشمس ، ويسبح فيها البط •• الخ

تلك كانت عوامل تكوين نفسية « ايما روال » قبل الزواج •• فلما التقت بشارل ــ الرجل الوحيد الذى كانت تستطيع أن تراه كثيرا وبلا حرج فى بيت أبيها ، بحكم أنه طبيبه ــ أيقظ وجود هذا الغريب فضولها ، وهيأ لها انها قد عثرت آخر الامر على العالم العاطفى السحرى الذى طالما رأته فى الصور ، وقرأت عنه فى الكتب وحلمت به وهى تنصت للموسيقى !•• فلما تم الزواج لم تستطع اقناع نفسها بأن حياتها الهادئة مع شارل هى الجنة التى طالما حلمت بها !

وعندئذ ، بدلا من أن تعيش فى الواقع ، استمرت تحلم •• تحلم بالرحلات •• بالفرار فى عربة مقفلة تغطى نوافذها الستائر الحريرية الزرقاء !•• وتحلم بصوت أجراس الاغنام، وشلالات الجبال ، والخلجان التى يشم المرء على شواطئهاأريج أشجار الليمون !•• ولو استطاع شارل أن يتيح لها بعض الرحلات من وقت الى آخر ، أو حتى يصفها لها ، لربما كانت قنعت بذلك ، ووجدت فيه سعادتها المنشودة •• لكنأحاديث

شارل كانت تافهة مملة ، وهواياته معدومة : فهو لايمارس الصيد ، ولا السباحة ، ولا المبارزة بالسيف !٠٠ بينما الرجل فى رأيها يجب أن يشغل نفسه بأوجه نشاط متنوعة ، ويكون قدوة للمرأة فى تجربة الانفعالات المختلفة ٠٠

وهكذا خاب ظن « ايما بوفارى » فى زوجها ٠٠ فان الحب الذى كان حقيقا بارضاء نزعتها هو الحب الدخيل الغريب الذى قرأت عنه فى الكتب ٠٠ أو هو الحب الذى حلم به فلوبير نفسه ـ مؤلف القصة ـ فى سنوات مراهقته ، والذى لم يطفىء جذوته غير رحيله الى الشرق وتقلبه بين أحضان غانيات مصر بوجه خاص ! وهكذا تسائل ايما نفسها : « لماذا بحق السماء **تزوجت ؟٠٠ وهل يوجد سبيل الى الالتقاء برجل آخر ؟ لايمكن أن يكون الرجال جميعا مثل هذا الرجل ٠٠ ولكن ، ترى هل يوجد فى الدنيا حب ؟٠٠ وما وصفه ٠٠ وكيف يكون ؟** »

وبغير أن تشعر ، تتلفت « ايما » حولها فتعثر أول الامر على موظف خجول مراهق يدعى «ليون» ، مرهف الحس مثلها٠٠ فاذا آراء كل منهما وأحاديثه أشبه بصدى لآراء الآخر وأحاديثه !٠٠ فهى حين تسائله : « هل تذهب للنزهة فى المناطق المجاورة ؟ يجيبها بأنه يذهب كى يرقب غروب الشمس ٠٠ فتردف معلقة :

ـ أوه ، لا شىء أجمل من ساعة الغروب ٠٠ وخاصة على شاطىء البحر

ـ لكم أحب البحر !

ـ ألا تشعر بأن الفكر يطير طليقا من كل قيد فوق تلك المساحة الشاسعة من الماء ، التى يسمو التأمل فيها بالروح ويعطيك فكرة عن اللانهاية ، وعن الامور المثالية ؟٠٠

ـ بالضبط ٠٠ وكذلك الحال فوق الجبال ٠٠

وهكذا يحسان بتجاوب روحى بينهما ، ويغلبهما العجب من وجود مثل هذه اللذة التى كانا يجهلانها ٠٠ لكنهما

لا يفكران فى التحدث عن هذا الشعور الطارىء أو فى البحث عن سببه ٠٠ وانما هما يتركان هذا « السم » العذب يسرى فى نفسيهما ، دون أن يفكرا لحظة فيما وراء الافق الممتد أمامهما !

٠٠ وتنتهى « ايما » الى أن «ليون» هو العشيق المنشود الذى تلجأ اليه اذا لزم الامر !٠٠ لكنه يغادر البلدة ، الى غير رجعة ، دون أن يجرؤ على تحقيق حلمها !

★ ★ ★

◆ **وتعقد** « ايما » أملها الثانى بعد ذلك على « رودلف » ، وهو رجل ذو حيوية وطباع « وحشية » ، تمرس بالنساء طويلا حتى صار قديرا على أن يحكم عليهن من النظرة الاولى حكم خبير !٠٠ وبالفعل تروق مدام بوفارى فى عينيه ،فيعتزم الظفر بها ٠٠ وينتهز فرصة المعرض الزراعى الذى يعقد فى البلدة كى ينفرد بها على مرأى ومسمع من الناس جميعا !٠٠ وفيما ينشغل الرسميون بتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزين ، يهمس رودلف فى أذن ايما بالعبارات القديمة المألوفة التى طالما مكنت الرجال من غزو قلوب النساء ٠٠مثلما تمكن خطط حربية معينة من كسب المعركة دائما !



وتترك مدام بوفارى نفسها تستجيب لغزله بسهولة ، كما هو منتظر ٠٠ وبينما يسلك هو معها ـ فى بساطة ـ مسلك الواقعى ، تحاول هى أن تضفى على المغامرة جوا روائيا ٠٠

فحين يلتقيان فى حديقتها ، بناء على موعد مضروب ، ويسمع هو حفيفا قريبا ٠٠ تسأله هى :

ـ هل أحضرت معك غدارتيك ؟

ـ لم ؟

ـ لكى تدافع عن نفسك !

وتظل تكرر لنفسها فى غبطة : « لقد صار لى عشيق ٠٠ صار لى عشيق ! » ٠٠ « وهكذا تتذوق أخيرا مباهج الحب ـ تلك الحمى من السعادة التى كان قد أدركها اليأس من تذوقها ـ فأحست انها تدخل عالما رائعا ليس فيه غير العواطف الحارة ، والنشوة ، والهذيان ! ٠٠ وترامى أمام خيالها أفق لازوردى لانهائى ٠٠ والتمعت فى تصوراتها قمم جبال من الانفعالات الحادة ٠٠ ولم تعد ترى الحياة العادية الباردة الا على بعد سحيق ، فى الظلال المعتمة المنزوية بين تلك القمم العالية ٠٠ ثم استدعت الى ذهنها بطلات الكتب والقصص التى قرأتها ، وبدأت أغانى وأهازيج أولئك الزانيات تتردد فى أذنيها الحالمتين ٠٠ »

وكما يحدث عادة ، لم تكد « ايما » تقع فى هوى صاحبنا ، حتى حلمت بالسفر والرحلات ٠٠ رأت نفسها محمولة مع « رودلف » فى عربة تعدو بها أربعة جياد ، نحو وطن جديد ٠٠ « يلمحان آنا من فوق قمة جبل مدينة رائعة بقبابها ومناظرها ، والسفن الراسية فى مينائها ، وغابات الليمون المتكاثفة خارج تخومها ٠٠ وكنائسها ذات الابراج الرخامية البيضاء التى تبنى الطيور أعشاشها فوق أطرافها المدببة ٠٠ وحين يبلغانها تخرج اليهما بائعات الزهور فى ثيابهن الحمراء ، كى يبعن طاقة منها للعاشقين ٠ وذات ليلة يقف ركبهما عند قرية من قرى صيد السمك ، حيث الشباك منشورة على الصخور وبين الاكواخ كى تجف فى الهواء ٠ وهناك يقع اختيارهما على منزل صغير من طابق واحد ، تظلله شجرة نخيل فى قلب

الخليج المشرف على البحر ، كى يقضيا فيه أياما ، تتخللها نزهات للتجديف فى قوارب الجندول •• وخلوات بين أحضان الأراجيح الشبكية » •• الخ

وتحاول « ايما » جاهدة أن تجعل من « رودلف » البطل الذى أحبته بالخيال •• ويحاول هو من جهته أن يكون عند ظنها ، مستعينا على اتقان الدور الذى تسنده اليه ببعض قراءاته القصصية ، على قلتها •• لكن الامر الذى يعجز عنه حقا هو تحمل عنف عاطفتها طويلا !•• ولعل « فلوبير » حين صور « رودلف » قد استلهم مسلكه هو الشخصى بازاء خليلته « لويز كوليه » •• وخاصة حين تبكى « ايما » نائحة : « **انك انت الذى أحبه •• أحبك الى درجة انى لاأستطيع الحياة بدونك ، أتفهم ؟•• وانه لتمر بى أوقات أحس فيها شوقا جارفا اليك ، بحيث يكاد الحب يمزقنى •• فأسائل نفسى : « أين هو الآن ؟•• لعله مع نساء أخريات ، يتحدث اليهن •• ويبتسمن له ! •• أواه ، ان الامر ليس كذلك • أم لعله كذلك ؟ تكلم ! صارحنى • ألا تجذبك امرأة أخرى ؟ أعترف أن هناك من هن أجمل منى ، لكننى افوقهن قدرة على الحب • •انى خادمتك ومحظيتك •• وانت مليكى ومعبودى •• انك طيب ، وأنيق ، وذكى ، وقوى ! »**

فماذا يكون رد الفعل من جانب رودلف ؟

انه قد سمع هذه العبارات من قبل ، وليست « آيما » غير خليلة مثل سائر الخليلات ! •• وأما جاذبية الشىء الجديد فتسقط تدريجا فى وعيه كما يسقط الثوب عن الجسد ! تاركة الملل العاطفى المألوف عاريا لايحجبه شىء !•• ذلك ان « رودلف » لا يستطيع ان يفهم ان وراء كلمات « ايما » التافهة وعباراتها المألوفة تكمن عاطفة صادقة ملتهبة • وحين تعرض عليه ان يحيل الحلم الى حقيقة ويفر معها ، يكون ذهنه منشغلا بالتفكير فى الانفصال عنها !•• وهكذا يعتذر اليها متعللا بما

يقتضيه الفرار من نفقات وانزعاج لا يقدم عليهما غير الاغبياء! ٠٠ وينفصلان !

★ ★ ★

◆ **ويحدث** الانفصال أخطر أزمة نفسية فى حياة « ايما بوفارى » ٠٠ فحتى هذه اللحظة كانت هى تأمل أن يكون للحب الشاعرى وجود ، بل كانت تؤمن به ايمانا وطيدا ٠٠ فلما انهار ، بدأت المرأة الحالمة التى فشلت فى غرامها ، والتى ماتزال تحتفظ بفزعها ورعبها من الواقع ، تحاول اغراق آلامها فى الملذات ، وفى اذكاء حدة حواسها ، واشباعها ٠٠ ـ وهذا مايصفه القسم الثانى من القصة بالتفصيل ـ ولكن بين القسمين فترة انتقال ، تمرض فيها ايما ٠٠ والمرض وسيلة نفسية رائعة للفرار من مآزق الواقع المرير !

وحين تبل ايما من مرضها ، تحاول انقاذ نفسها بالعودة الى حب زوجها ، باذلة أقصى مافى وسعها كى تروض قلبها على قبول هذا الحب ، مستعينة على ذلك بمحاولة ان تخلق منه رجلا عظيما ، يستحق هذا الحب ٠٠ فلعلها لو احست نحوه بشعور من التقدير ، تستطيع ان تحبه ! ٠٠ وفعلا تحين لها الفرصة المنشودة حين يجرى زوجها جراحة خطيرة لغلام الفندق ، وهى جراحة لو نجحت لجعلت من الدكتور بوفارى جراحا شهيرا !٠٠ لكن الجراحة تفشل ، فتدمر حياة بوفارى ومستقبله ، وتدخل الاضطراب على عمله ٠٠ **ومنذ تلك اللحظة تنزلق « ايما » ، وتهوى من حالق !**

بمن تستطيع أن تتعلق وتتشبث ؟ ٠٠ من من رجال القرية تستطيع أن تحب ؟٠٠ الصيدلى «أوميه» ؟ لكنه رجل وقور ، وثرثار لا يحسن غير الكلام ! ٠٠ أم القسيس «لورنيزيان» ؟ انه متبذل دنىء ، لا يعرف الاخلاص ٠٠

وهنا ، أثناء رحلة الى (روان) ، تلتقى بالشاب الذى ترك القرية غير مجترىء أن يفاتحها بحبه : « ليون » !

وتصير خليلته !

ولكن رغم استسلامها لهذه المغامرة فى استهتار طائش ، لا يخالطه شيء من التحفظ ، فانها ـ مرة أخرى ـ تصاب بخيبة أمل : « كانا قد اعتادا تدريجا أن يتحدثا فى أمور لا تمت بصلة الى حبهما ٠٠ وفى الخطابات التى صارت ايما تكتبها اليه ، تحدثت عن الازهار ، والشعر ، والقمر ، والنجوم ٠٠ وغيرها من الوسائل الخارجية الساذجة التى تستنجد بها العاطفة حين توشك أن تنطفىء ٠٠ كى تبقى على قيد الحياة !٠٠ وكانت ايما لا تفتأ تمنى نفسها بالسعادة المطلقة فى الخلوة التالية ٠٠ ثم تضطر الى الاعتراف لنفسها بأنها لم تحس جديدا !٠٠ ولكن سرعان ماكانت هذه الخيبة تخلى السبيل أمام أمل جديد ، فتعود ايما الى عشيقها أكثر انفعالا ، وأحد عاطفة ، منها فى أى لقاء سابق ! »

وبين الحقيقة والحلم ، كان التفاوت يزداد كل يوم اتساعا ـ رغم تجربة ايما لجميع ظروف اللقاء التى وصفها الشعراء ! ـ وكانت أكثر خلواتهما الغرامية تتم فى (روان) ، فى غرفة بأحد الفنادق تسدل عليها الستائر التركية الحمراء ٠٠ وهناك تعرفت ايما ذات مرة بالتاجر « لورو » ، الذى أوقعها فى قبضته عن طريق اقراضها مالا مقابل كمبيالات مدمرة !

وهكذا صارت الزوجة شبه غانية متلافة ٠٠ تغرق نفسها وحواسها فى طوفان من الملذات ، والعطور ، والزهور ، والطعام ، والخمور ٠٠ وتنفق ساعات امام مرآتها تمشط شعرها الطويل المتهدل على كتفيها ، وهى تستشعر فى ذلك لذة عارمة ٠٠ وأمدها يأسها من العثور على العشيق المثالى ، بشغف مضاعف بأسباب الترف !٠٠ ونمت فى أعماقها حاسة الولع بالكذب ٠٠ ثم صارت تستولى على أموال المرضى من زوجها بانتظام ، وتشترى حوائجها من التجار بالنسيئة

ـ التقسيط ـ وترهق ليون بالمطالب ، فهى لاتحبه من أجل نفسه ، بل ارضاء لنفسها هى ٠٠

٠٠ وتتراكم عليها الديون ، الى درجة الدمار !٠٠ وتتزايد حاجتها الى المال ٠٠ ويمطرها دائنوها بالفواتير و«الكمبيالات» ٠٠ فتدركها الحيرة وتستنفد كل حيلة ٠٠ وفى غمرةارتباكها، تفكر فى الالتجاء الى عشيقها الاول « رودلف » !

لكنه يردها فى جفاء ٠٠ فتمضى يائسة الى مراب شيخ ، يبدى استعداده لان يقرضها ، اذا ٠٠ ؟

لكن العاشقة الحالمة ليست « للبيع » !٠٠ وأثناء سيرها تمر على صيدلية « أوميه » ، فتدخل ٠٠ وتسرق جرعة من الزرنيخ ٠٠ وتشربها !

وتموت « ايما » ميتة رهيبة !

ترى هل قتلها الحب ؟

كلا ٠٠ بل قتلتها رغبتها فى أن تعيش دائما ٠٠ فى حلم !

ثقافة الأديان



أصحاب العقائد والرسالات

عزيزى القارىء :

لما كانت رسالة « كتابى » تستهدف تعميم الثقافة الرفيعة بجميع ألوانها ، وفى جميع مجالاتها وميادينها .. ولما كانت الثقافة الدينية من أول أسس الحضارة البشرية والتاريخ الانسانى ، فقد رأيت أن أقدم لك فى هذا الباب الجديد ، دراسات شاملة لسير أصحاب الوحى من دعاة العقائد والاديان ، ثم لسير أنبياء الصف الثانى فى الديانات السماوية الثلاث .. على أن أتبعها فى فرصة قريبة بمجموعة مكملة لها من القصص الانسانية التى وردت فى كتب الاديان نفسها ، أى من قصص التوراة والانجيل والقرآن ..

وقد قدمت لك فى هذا الباب ، فى الاعداد السابقة ، قصة حياة موسى ، ثم الجزء الأول والجزء الثانى من قصة حياة المسيح . واليوم ، أقدم لك الجزء الأول من قصة حياة محمد ، يتلوه فى العدد القادم الجزء الثانى والأخير منها ، ثم سير الانبياء والرسل : ابراهيم ، اسحاق ، اسماعيل ، يعقوب يوسف ، شعيب ، داود ، سليمان ، أيوب ، يونس ، زكريا ، يحيى ، أشعياء ، يوحنا ، بولس ، أبى بكر الصديق ، عمر بن الخطاب ، عثمان ابن عفان ، على بن أبى طالب .. ثم من الأئمة والمصلحين الدينيين : أبى حنيفة ابن حنبل ، مالك ، الشافعى .. مارتن لوثر ، كالفن .. الخ .



حياة محمد

لخصها عن أهم المصادر الافرنجية والعربية

الاستاذ محمد بدر الدين خليل

هــذه السيرة ..

◆ قدمت لك من هــذه السلسلة الثقافيــة فى الاعداد الماضيــة ، بالتتابع : حياة بوذا (مؤسس الديانة البوذية) .. فحياة موسى (مؤسس الديانة اليهودية ، أو الموسوية) .. ثم حيــاة المسيح (مؤسس الديانة المسيحية)

واليوم أقدم لك فيما يلى حياة « محمد » (صلعم) مؤسس أحدث الديانات السماوية الثلاث ، مستقاة من عشرة مصادر ومراجع هامة، بعضها أفرنجى ــ وما أكثر ما كتب عن « محمد » باللغات الاجنبية المختلفة ــ وبعضها الآخر عربى (وفى كل عام تزدان المكتبة العربية بالجديد من الكتب والمؤلفات فى سيرة نبى الاسلام الكريم) .. وفى مقدمة هذه المراجع والمصادر التى استقى منها هذا البحث كتاب الزعيم الهندى والمسلم الكبير « مولاى محمد على » ، وقد كتبه بالانجليزية، ولم يترجم الى العربية ــ فيما أعلم ــ قبل اليوم .. وفيما يلى قائمة المصادر الاخرى للبحث :

النبى محمد	مولاى محمد على
حياة محمد	سير وليم موير
محمــد	هنرى توماس
حياة محمد	واشنطن ايرفينج
محمد (الابطال وعبادة البطولة)	توماس كارليل
آمنة بنت وهب	الدكتورة بنت الشاطىء
قصص من القرآن	الاستاذ ابراهيم جلال
حياة محمد	الدكتور محمد حسين هيكل
عبقرية محمد	الاستاذ عباس محمود العقاد
محمد الثائر	الاستاذ فتحى رضوان

◆ فى يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول ، أحد الشهور القمرية فى حساب عرب الجاهلية ، فى العام المقابل لسنة ٥٧١ بعد مولد المسيح ــ وقيل فى بعض الروايات ٥٧٠ ــ ولد محمد عليه الصلاة والسلام ..

وفى ١٢ ربيع الاول من العام الثالث عشر لبدء الدعــوة الاسلامية ــ ٢٨ يونية سنة ٦٢٢ ميلادية ــ بلغ محمد «المدينة»

مهاجرا ككل صاحب رسالة خشى على رسالته من قومه ٠٠وقوم العبقرى الحكيم هم آخر من يقدرون عبقريته وحكمته !

وفى يوم الاثنين ١٢ ربيع الاول من العام العاشر للهجرة ـ وكان يقابل ٧ ، وقيل ٨ يونيه سنة ٦٣٢ ـ توفى محمد ٠٠

وهكذا حدد يوم « ١٢ ربيع الاول » معالم ثلاث مراحل رئيسية فى حياة هذا الثائر الذى كان يدعو الى الطاعةوالنظام، والمحارب الذى كان يدعو الى السلام ! وبين التواريخ الثلاثة أحداث وحياة ٠٠

١٢ ربيع الاول : المولد

◆ **كانت** اليهودية قد فقدت موطن انبثاقها ، وموطن نمائها ، وتشتت نفوذها ٠٠

وكانت قد خرجت من كفاحها وجهادها منتصرة ، ولكنه كان انتصارا أفسح المجال للفرقة ، ودس عليها من ألوان الخلاف والتعصب ماجعلها فى شبه انحلال ٠٠

وفقد العالم قوة الايمان ، وصفاء العقيدة ، وأسباب الطمأنينة ، فاستبد به جفاف محرق أورث الناس ظمأ قاسيا ٠٠ ظمأ الى الايمان ، والحكمة ، والاستقرار ٠٠

وكان مقدرا أن ينبثق للبشرية نبع جديد ، اذ كانت العناية الالهية ارحم دائما من أن تدع البشر فى جحيم الجفاف والظمأ٠ وقد اعتادت ينابيع الاديان ان تنبثق فى أكثر البقاع ظمأوجفافا ٠٠ وكانت شبه الجزيرة العربية هى البقعة المختارة فى هذه المرة ، اذ كانت قد تردت فى أعماق مهاوى الجهالة والوثنية ، فتداعت الاخلاق تحت وطأة الرذيلة ٠٠ وتفشى الفجور ، والجهل ، والخمر ، والميسر ، والفرقة ٠٠

وفى هذه البقعة ، وهذه الحال ، ولد محمد ٠٠ ولد فى بيت من أكرم بيوت أرقى قبائلها ، وان لم يكن من بيوت الغنى فيها ٠٠ فلقد أوتى بيت « عبد المطلب » بدلا من المال غنى

النفس وثراء الروح ، فكان لابنائه من ذلك ماهو خير من المال وأبقى ، اذ علت بفضله أقدارهم بين (قريش) ..

كان عبد المطلب قد نذر لئن عاش له عشرة من البنين ليذبحن أحدهم عند الكعبة .. ووقعت القــرعة من نصيب أصغر هؤلاء الابناء « عبد الله » ، فضجت قريش ، اذ كان هذا الابن زينة شباب مكة ، وحملت الاب على أن يستشير فى الامر عرافة بالمدينة ، فأفتت بأن يفتدى الابن بعشرة ابل، تجرى القرعة بينه وبينها فى الكعبة ، وتزاد كلما خرجت القرعة على الفتى حتى يرضي الرب .. وفعلوا .. وزيدت الابل مرارا حتى بلغت المائة ، قبل أن تنقلب الآية ، ويؤذن لعبد المطلب بأن يتحلل من نذره ، ويتصدق بلحوم الابل وجلودها .

وكانت قريش فى قلق حتى تم ذلك .. وكانت نساؤها يتسللن الى الكعبة يتعلقن بأستارها مبتهلات ، متوسلات من أجل زين الشباب ..

وفى بيت « وهب » ـ سيد « بنى زهرة » ـ كانت ثمة نفس استبد بها القلق حتى بلغ مبلغ الهلع .. فلقد كان « عبد الله » ابن عم عزيز ، أثير ، وكان يذكى اللهفة عليه فضول قاس ، اذ حرم على صاحبة هذه النفس أن تسعى مع الساعين والساعيات الى الكعبة ترقب مايجرى ..

وفيما كانت « آمنة » بنت « وهب » موزعة النفس ، اذا بجماعة من وجوه القوم تصل الى دار أبيها .. وكان عبدالمطلب على رأسهم والى يمينه .. عبد الله !

ولم تلبث الفتاة ان تبينت ان الفرحة الطاغية التى فاضت فى أعماقها اذ رأت الشاب سليما ، كانت نوعا من الالهام الروحى يغشى النفس سباقا على أنباء الخير .. فقد كان فى نجاة عبد الله من الذبح خير لآمنة ، اذ رأى أبوه أن يعوض القلق والهلع بفرحتين .. فرحة النجاة .. وفرحة خطوبة

زهرة قريش «آمنة» ، الى آلناجى ·· زين شباب قريش : « عبد الله » !

وكانت « آمنة » خليقة بأن تشعر بسعادة كاد صدرها ان لايحتملها ·· فلقد كان « عبد الله » فارس احلام فتيات قريش ، بل كان مطمع كل انثى ·· **حتى لقد قيل ان «رقية بنت نوفل » استوقفته وهو فى طريقه مع ابيه لخطوبة « آمنة » وقالت له : « لك مثل الابل التى نحرت عنك ، ان قبلت أن أهب لك نفسى الساعة » ، فأعرض وأبى !**

والواقع ان الشاب كان جميلا ، قويا ، ذا فتنة تستهوى قلوب الاناث ·· ولكن الروايات تقول ان وسامته لم تكن كل ما أغرى بعض اللاتى عرضن عليه أنفسهن على الجرى وراءه ·· وقيل ان « رقية بنت نوفل » لقيته غداة زفافه فأعرضت عنه ، فلما سألها سر اعراضها قالت : « فارقك النور الذى كان معك بالامس ، فليس لى اليوم بك حاجة » ·· كما قيل ان عروسه استيقظت عند دنو الصباح فى أعقاب أول ليلة ضمهما فيها فراش واحد ، فرأت كأن شعاعا من نور ينبثق من كيانها فيضىء الكون حولها ·· وسمعت هاتفا يبشرها بأنها حملت بسيد أمتها ··

ذلك كان نور النبوة الذى تواترت الروايات عن انه كان يتنقل فى أصلاب سلالة النبى ابراهيم ، حتى آل الى بنى قصى ــ الجد الرابع للنبى محمد ــ فانحدر الى عبد الله الذى أودعه عروسه ليلة عرسهما !

على أن سعادة « آمنة » بزوجها لم تطل ، اذ لم يلبث أن خرج فى تجارة الى الشام ، وتركها فى شجن ولهفة لم يخفف من وطأتهما سوى شعورها بأولى بوادر الحمل ·· وسوى أحلام الهناءة بعودة الزوج الحبيب الغائب ·· ولكنه لم يعد !·· اذ انه لم يكد يبلغ (يثرب) ــ المدينة ــ فى رحلة العودة حتى وقع مريضا ، فنقل الى دار أخوال له هناك ، حيث مات بها ··

ومحمد جنين ابن شهرين فى بطن أمه !

وولد « محمد » فى أحضان اليتم ٠٠ وفى غمرة الفقر ،حتى ان « حليمة السعدية » ـ المرضعة ـ لم تقبل احتضانه وارضاعه الا خوفا على لبن ثديها ان يشح ، واشفاقا من أن تعيرها زميلاتها المرضعات اذا عادت الى حيها دون طفل تقوم على حضانته ٠٠

ومن عجب انها لم تكد تلقمه ثديها حتى جرى لبنها غزيرا ٠٠ ولم تكد تحمله الى دارها ، حتى هبط عليها الخير ألوانا ٠٠ مما أغراها على استبقائه بعد عامى الرضاع ، فلم ترجعه الى أمه الا فى العام الخامس من عمره ٠٠ واذ ذاك كفله جده « عبد المطلب » وقربه اليه

على أن محمدا كان على موعد مع اليتم ٠٠ فعنـــدما بلغ السادسة ، صحبته أمه الى المدينة حيث أرته الدار التى مات فيها أبوه ٠٠ ولعل الحنين الى مثوى هذا الزوج الحبيب ، كان الهاما روحيا آخر ٠٠ كان نداء من العالم الآخر ٠٠ فلم تكد آمنة تبعد عن المدينة بثلاثة وعشرين ميلا ـ فى عودتها ـ حتى ماتت !

وعاد محمد وحيدا ، فازداد عبد المطلب اغداقا عليه من حنانه، وكأنما أراد أن يعوضه عما فقد من حب الأبوين ٠٠ بيد ان اليتم كان يأبى الا أن يطارد محمدا ، فلم يكد يبلغ الثامنة من عمره حتى مات جده !

وخفف من تعاسة الصغير ان كفله عمه « آبو طالب » ، فأكرمه حتى كان يقدمه على أبنائه ٠٠

نبوءة الراهب « بحيرى »

◆ **واذ** بلغ محمد الثانية عشرة من عمره ، ذهب مع عمه فى تجارة الى الشام ٠٠ حتى اذا بلغ الركب مدينة « بصرى » فى جنوب الشام ـ وهى فى موقع « جوران » ـ استضافهم راهب يدعى « بحيرى » ، وكان من علماء النصارى المتعمقين

فى أسرار الدين ٠٠ وقدم الراهب للضيوف طعاما ، وأصر على أن لايتخلف عن مائدته أحد ، ومن ثم اصطحب أبو طالب ابن أخيه الصغير ، **فلم يكد « بحيرى » يراه ، حتى أنعم البصر فيه ، وأقبل على عمه يسأله : « ماهذا الغلام بابنك ، وما ينبغى ان يكون أبوه حيا »٠٠واذ أصدقه أبو طالب نبأ الفتى، قال : « صدقت ، فارجع به الى بلده ، وأحفظه من اليهود ، فانهم ان عرفوه فتكوا به ، وسيكون لهذا الغلام شأن عظيم »**

وهكذا أخذ أبو طالب يحوط اليتيم برعاية خاصة،ويصونه من أوشاب الجاهلية ٠٠

على أن الرحلة لم تمر دون أثر فى نفس محمد ، فقد تجلت الصحراء له بجمالها وحكمتها ، وشرعت أسرارها تجتذبه ٠ كما وقف على طرف من أخبار الرومان وأنباء الفرس ، ومناوأة مجوسية هؤلاء لمسيحية أولئك ٠٠

وأخذت السنون تزيد فكره تفتحا ٠٠ فاستوعب بلاغة العرب فى (عكاظ) والاسواق المجاورة ، وأنصت فى شغف الى خطباء اليهود والمسيحيين وهم يتحدثون عن كتب موسى وعيسى ٠٠ وعلى الرغم من أميته ، فان عقله أخذ ينشط فى التفكير والتأمل ٠٠ وأذكى من هذا النشاط ، طول خلوه الى نفسه حين كان يخرج لرعى الغنم

واجتمع تشبثه بالاخلاق والرجولة وأمانة النفس ،معمافطر عليه من نفور من الوثنية وملاهى شباب مكة وعبثهم ، على صونه عن المباذل وعن الشوائب ، فأجمع قومه على تلقيبه بـ « الامين » !

لقاؤه بخديجة ٠٠

◆ **على** أن أبا طالب كان قليل المال ، كثير العيال ، فلما أعدت قريش قوافل تجارتها وآن خروجها الى الشام ، اقترح على ابن أخيه أن يخرج مع تجارة امرأة من قريباتهما كانت ذات شرف ومال ٠٠ تلك هى « خديجة » بنت « خويلد » ٠٠

وكانت قد تزوجت مرتين وترملت ، واستثمرت مالها فى التجارة حتى غدت من أغنى أهل مكة ..

وكانت خديجة قد سمعت سيرة محمد وصفاته ، فلم تتردد حين سألها أبو طالب أن تستأجره لقاء أربعة جمال ، وبادرت قائلة : « لو انك سألت هذا لبعيد غريب لأجبنا ، فكيف وانت تطلبه لابن العشيرة ، القريب منا ، الاثير علينا ؟ »

وكان غلام « خديجة » ـ ويدعى « ميسرة » ـ مع القافلة ، فأخذ بما شاهد من خلق « محمد » ، وعفته ، وحسن معاشرته ، وميل الناس اليه ، وثقتهم فيه .. فلم يكد يعود الى مولاته حتى حدثها بكل هذا ..

وكانت « خديجة » سيدة خبرت الحياة وعركتها ، فأدركت كيف تقدر الرجال .. وقد استعرضت ما أحدثته بلاغته فى نفسها من سحر ، وماسمعته من « ميسرة » عنه ، وما فتنها من مظاهر رجولته .. فقد كان شديد سواد الشعر ، مبسوط الجبين ، واسع العينين أدعجهما ، طويل الاهداب حالكها ، عريض الصدر ، ربعة القوام ، لا هو بالطويل ، ولا هو بالقصير ..

استعرضت ابنة الاربعين سنة كل هذه الخلال فى « الامين » ابن الخامسة والعشرين ، فتمنت لو انها اتخذته زوجا يرعى ثروتها ويؤنس وحشتها ، مع انها طالما رفضت الخطاب خشية أن يكونوا طامعين فى مالها ..

وتحدثت « خديجة » فى هذا الى من ذهبت الى « محمد » تستشف شعوره نحوها ، فلما اطمأنت الى ميله ، صارحته بأنها تستطيع أن تقنع « خديجة » ، واذ ذاك أكد لها قبوله الزواج .

وتزوج « محمد » من « خديجة » .. وهو فى الخامسة والعشرين من عمره ، وهى فى الاربعين .. ومع فارق السن الا انه كان زواجا سعيدا موفقا ، دام تسعا وعشرين سنة لم يفكر

فيها « محمد » فيما اعتاد أنداده اذ ذاك أن يفكروا فيه من تعدد الزوجات ٠٠ وكان زواجا مثمرا ، اذ أنجب ولدين ـ ماتا فى طفولتهما ـ وأربع بنات ٠٠ واذا كان محمد قد حزن أشد الحزن على ولديه ، الا انه وجد عزاء فى بناته ـ فى وقت جرت فيه قريش على وأد البنات ـ وفى « على » ابن عمه أبى طالب ، الذى ضمه اليه وهو فى الخامسة من عمره ، ليخفف عن عمه بعض عبئه ، ويرد اليه بعض صنيعه معه ٠٠ وكأنما لم يستنفد كل هؤلاء ماكان يعمر به قلب محمد من حب ، فاذا هو يعتق عبدا لزوجته يدعى « زيد بن حارثة » ٠٠ ويتبناه !

طابت الحياة لمحمد بزواجه وأبوته ، فلم يعكرها سوى وفاة ولديه ٠٠ وليس من شك فى أن ثراء خديجة مهد له شيئا من الراحة والطمأنينة والدعة ، وأضاف الى ماكان له فى نفوس قريش من مكانة لخلقه ونسبه ٠٠ ومن ثم زاد جاها بين قومه ٠٠ وبدأت حكمته ورجاحة عقله تتكشف اذ ذاك فى المسائل القومية ، كما تكشفت فى المسائل الشخصية من قبل ٠٠ ولعل حادث اعادة بناء الكعبة كان خير مظهر لذلك ، اذ حدث أن صدع السيل جدران الكعبة ، فاستشار أهل قريش آلهتهم ، ثم أجمعوا على هدمها ، واقتسموا جوانب البيت بحيث غدت كل قبيلة من قبائلهم الاربع مسئولة عن هدم أحد الجوانب وبنائه ، حتى اذا بلغوا فى البناء موضع الحجر الاسود ، تنافست القبائل الاربع على شرف رفعه وكاد ان ينشب بينهم قتال ، لولا ان اغراهم حكيم فيهم على أن يحكموا بينهم أول قادم من باب عينه هو باب « الصفا » ٠٠ **وشاء القدر أن يكون محمد «الامين» هو هذا القادم ، فلما أدرك الموقف ، دعا بثوب فوضع الحجر فيه وأقام شيخ كل قبيلة على أحد أطرافه ، ثم دعاهم فرفعوا الثوب ـ والحجر فيه ـ حتى حاذوا به مكانه من البنيان فتقدم محمد ورفعه بيده وأقره فى موضعه ، وبذلك حسم النزاع ٠٠**

وفى هذه الحياة المطمئنة ، الوادعة ، وجد محمد مجالا أفسح من ذى قبل للاسترسال فى افكاره وتأملاته ٠٠ وكانت قريش قد بدأت تحس نوعا من التململ والاضطراب ألم بأفكار الناس ونفوسهم ، وحبب الى بعضهم الاجتراء على تدبر أمر تلك الارباب التى كانوا يعبدونها وماهى غير أحجار لاتسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع !٠٠ كما طمأن اليهود والمسيحيين الى أن يتخلوا عن السلبية التى كانوا ينهجونها فيعلنون عن آرائهم فى الأصنام بتحرر ٠٠ وأخذت قداسة الاوثان تضعف فى نفوس عرب مكة ، ولعلهم ماكانوا يتشبثون بهاالا لأسباب سياسية واقتصادية ، فقد كانت أوثان الكعبة تجتذب العرب فى المواسم ، وتجعل لمكة مركزا مرموقا فى شبه الجزيرة العربية ٠٠

نزول الوحى

◆ **ووجد** محمد فى كل هذا مادة للتفكير ، والتأمل٠٠وكان يقصد فى شهر رمضان من كل عام الى غار فى أعلى جبل حراء ، فيعتزل الناس ، ويخلو الى تأملاته والى لون من التعبد الروحى ٠٠ وكما فعل « ابراهيم » ـعليه السلام ـمن قبل ، أدرك محمد أن الأوثان لم تكن بالآلهة الحقيقية التى تستحق أن تعبد ، فأخذ يبحث عن الحقيقة فى ظواهر الطبيعة ، ويقلب البصر فى السماء ، وفى الفضاء مسترسلا فى التفكير ٠٠ وشيئا فشيئا ، أخذت الحقيقة تتفتق فى ذهنه ، فأيقن ـ اذ اقترب من الاربعين من عمره ـ ان لابد من قوة فوق القوى ، ووراء كل مايرى من مظاهر الحياة والطبيعة ٠٠ قوة عليا ، مسيطرة ٠٠ وكان كلما أوغل فى هذه الاسرار ، أطال من الصوم والتجرد والعزلة ٠٠

وفيما هو فى الغار ذات يوم من أيام رمضان ، رأى ملكا يهبط من السماء حاملا صحيفة فى يده ، وقال له : «اقرأ !»٠٠ قال محمد : « ما أقرأ » ، فضغطه الملاك حتى أحس أنه يختنق ،

ثم أطلقه وأعاد عليه الأمر ، فكرر محمد الجواب ٠٠ وضغطه الملاك مرة ثانية حتى أوشك أن يختنق ، ثم أرسله وكرر الامر ، فتلقى نفس الجواب ٠٠ وعاد الملاك يضغطه مرة ثالثة ، ثم أرسله ، وقال له : « اقرأ ! » ، فقال محمد ليتقى الضغط المكرب : « ماذا أقرأ ؟ » ٠٠ قال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم ،الذىعلم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم »

فقرأها ، واذ ذاك انصرف الملك ٠ واذ أفاق محمد من غشيته ، أحس بأن الكلمات نقشت فى قلبه ٠٠ وتولاه خوف شديد ، فانطلق هائما فى شعاب الجبل ، واذا صوت يناديه من السماء ان : «يامحمد ! انت رسول الله وأنا جبريل ٠٠»

وعندما تمالك نفسه من الهلع ، أسرع عائدا الى أهله ، حتى أتى خديجة فحدثها بما رأى ٠٠ ولم توجس خديجة ، فقد كانت توقن فى قرارة نفسها ان محمدا لم يكن بالكاذب، ولا بالواهم ٠٠ وانه خلق لرسالة سامية،بدتبوادرهافى خلقه وشخصيته وترفعه على الاوثان ٠٠ وكانت تعلم من ابن عم لها يدعى « ورقة بن نوفل » ــ وكان من أهل التوراة والانجيل ــ ان الله باعث الى هذه الامة من ينقذها من الضلال ٠٠

لذلك بادرت فجمعت على محمد من الثياب ماخفف الرعدة التى تملكته ٠٠ ومالبث أن استغرق فى النوم ، فقامت لفورها الى « ورقة » وروت له حديث محمد ، فأطرق مليا ، ثم قال : **« قدوس ، قدوس ٠٠ والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتنى ياخديجة ، لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الامة ، فقولى له ليثبت ! »**

وأدرك محمد ان مسئولية كبرى قد ألقيت على عاتقيه ، فعاد الى الغار يتم شهر التعبد ، ثم انصرف الى الكعبة ٠٠ وفيما كان يطوف حولها ، التقى بورقة بن نوفل ٠٠ وأعاد عليه قصته ، فقال ورقة : « والذى نفس ورقة بيده انك لنبى هذه

الامة » وأنذره بأنه سيلاقى من قومه عنتا ، فلسوف يكذبونه، ويؤذونه ، ويخرجونه من مكة ، ويقاتلونه ، من أجل هذه الرسالة السامية

اسلام أبى بكر

◆ **وأحس** محمد بشىء من الحيرة والتردد ، ولكن «خديجة» كانت أول من آمن به ، فراحت تشد أزره ، وتؤكد له ان الله لن يخذله ٠٠ ويقول مولاى محمد على ــ الزعيم الهندى المسلم ــ فى هذا الصدد : « **كان محمد فى بادىء الامر فى ريب من قدرته على أداء المهمة الجليلة ، بيد ان قلقه لم يلبث أن تحول الى ايمان وطيد بأن الحق لابد منتصر فى النهاية ، فشرع يعمل بعزيمة قوية ، غير منثن عن غايته ، لم تزعزعه المعارضة القوية من قريش ٠٠** »

ولحق بخديجة فى الاسلام والايمان برسالة محمد ، أهل بيتهما ٠٠ وكان « على بن ابى طالب » اذ ذاك فى كنف محمد، فبادر الى الاسلام ، وتبعه « زيد » الذى كان النبى قد تبناه ٠٠ وبقى الاسلام محصورا فى بيت محمد ، الى أن توجه الرسول بدعوته الى أعز أصدقائه وأقربهم : « أبو بكر بن ابى قحافة » ٠٠ ولم يتردد أبوبكر فى أن يؤمن بالرسالة ، وأن يدعو اليها من كان يطمئن اليه من قومه ٠٠ ويعقب « سير وليم موير » على هذا فى كتابه : « حياة محمد » بقوله : « **من أشد مايعزز صدق محمد ، ان أول من اعتنقوا الاسلام لم يكونوا من ذوى الخلق المستقيم فحسب ، وانما كانوا أصدقاءه الحميمين وأهل بيته ، الذين كانوا مطلعين أوثق اطلاع على حياته الخاصة ، فلم يكن ليغيب عنهم أن يستبينوا أى تناقض مما يوجد عادة بين ادعاء وتظاهر المغررين من أهل الوهم والضلال فى سلوكهم بين الناس ، وبين مسلكهم فى دورهم ، لو كان فى حياة محمد شىء من هذا ٠٠** »

وأخذت قريش تسخر من محمد والثلة القليلة التى

استجابت له ، وتكيد لهم ، ولكن محمدا لم يهن ولم يتراجع ، بل خرج الى جبل « الصفا » وصاح يدعو قريش اليه ، فلما دنوا منه ، سألهم : « أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل ، أكنتم تصدقون ؟ »

قالوا فى ثقة الخبيرين المطمئنين : « نعم ! ٠٠ انت عندنا غير متهم ، وماجربنا عليك كذبا قط ! » ٠٠ قال:«اذن فاسمعوا ٠٠انى نذير لكم بين يدى عذاب شديد ٠٠ ان الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الاقربين ، وانى لا أملك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا ، الا أن تقولوا : لا اله الا الله ! » ٠٠ وكان أول من غضب عليه لهذا القول ، عمه « أبو لهب » ٠٠ ولكن غضبه وعداوة قريش لم يستطيعا أن يحولا دون انتشار الدعوة ٠٠ **وكان فى طليعة من أقبلوا عليها الزاهـدون فى الدنيا ، وأولئك الذين لم يجدوا من مجتمعهم انصافا ، كالعبيد والفقراء ، فقد راعهم ان يجدوا شخصا ينادى الى المساواة والحرية ، ويخلص الكرامة الانسانية من غضاضة الخضوع والتذلل لأحجار جامدة ، فلا يجعل على الانسان سلطانا الا سلطان الضمير الذى يسأل عن أعماله بين يدى الله !**

وسرعان ما أحست الطبقة العليا من قريش ، بأن فى دعوة محمد « مؤامرة » على سلطانها ، فشرعت تضطهد الرسول وأتباعه ٠٠ وكانت تسرف فى تعذيب العبيد ٠٠ ثم امتدت نار القسوة فأخذت تكوى من اسلموا من علية القوم ٠٠ بل أصابت محمدا نفسه ، حتى لقد كانت زوجة عمه ابى لهب تلقى النجس امام داره ٠٠ وكان « أبو جهل » يلقى عليه رحم شاة مذبوحة أثناء صلاته ٠٠ ولم يعد المسلمون يقوون على الاجتماع وعقد الصلوات علانية ٠ ومع ذلك فقد ظل محمد ماضيا فى دعوته ٠٠ وأخذت قريش تضغط على « أبى طالب » عمه ، لما كانت تعرفه من الحب المتبادل بينهما ، فهددته بأن تنازله وابن أخيه حتى يهلك أحد الفريقين ٠٠ ولكن محمدا

قال لعمه فى اعتداد : « **ياعم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ماتركته !** » ٠٠ وبهت العم العجوز لهذا اليقين فبسط على محمد حمايته ٠٠

النجاشى يحمى اللاجئين

◆ **واشتد** بطش قريش بالمسلمين حتى تجاوز التعذيب الى القتل ، مما أكرب محمدا وحمله على أن ينصح اتباعه بالهجرة ٠٠ واستجاب له احد عشر رجلا وامرأة ، خرجوا من مكة فى العام الخامس من الدعوة وسعوا الى الحبشة ، لائذين بملكها « النجاشى » ، فأرسلت قريش فى أثرهم وفدا يطلب الى الملك تسليم هؤلاء الهاربين ، **ولكن « النجاشى » لم يكد يستمع الى ماكان فيه أهل الجاهلية من التردى والانحطاط ، ومادعا اليه محمد من « صدق الحديث ، واداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء » ، ومانهى عنه من « الفواحش ، وقول الزور ، وأكـل مال اليتيـم ، وقذف المحصـنات » وما أمر به من عبادة الله لا يشركن به شيئا ، ومن صلاة وزكاة وصيام** ٠٠لم يكد «النجاشى» يستمع الى هذا حتى رغب فى أن يقرأ عليهشىء من القرآن ، فقرأ عليه جعفـر ابن أبى طالب شيئا من سورة مريم ، وبهت الرهبـان الذين كانوا حضورا ، اذ رأوا فيما جاء فى هذه السورة مصداقالما فى الانجيل ٠٠ وتبين النجاشى أن دعوة محمد منبعثة من نفس



النبع الذى انبثقت منه دعوة المسيح ، فآلى على نفسه أن يحمى اللاجئين المسلمين وينزلهم من بلاده منزلا كريما ..

وشهد العالم أول تعاون بين المسيحية والاسلام !

اسـلام عمر

◆ **أعيت الحيل « قريش »** ، فلم تلبث أن شرعت تجرب سلاحا جديدا : سلاح الاغراء بالمال والجاه ، ولكن قوة يقين محمد فلت هذا السلاح وأثلمته ، فاشتد الغيظ بالقرشيين ، حتى لقد أوشكوا مرة أن يقتلوا محمدا فى الكعبة .. ولكن لجاجهم فى العنف لم يكسب الاسلام الا أنصارا جددا من ذوى الجاه والبأس والسطوة فى قريش ذاتها ..

وكان من هؤلاء « عمر بن الخطاب » الذى دخل الاسلام بالحمية التى كان يحاربه بها ، فلم ترضه سياسة المسلمين السلبية ازاء خصومة قريش ، وخرج عنها الى سياسة ايجابية فيها الكثير من التحدى وعلانية الجهاد . ومن عجب ان القرشيين تحولوا ازاء هذا الى سياسة جديدة ، قامت على السلبية التى هجرها المسلمون .. فتعاقدوا على مقاطعة المسلمين ومعهم بنى هاشم وبنى عبد المطلب ـ أهل محمد وعشيرته ـ فلا يتزوجون منهم أو يزوجونهم من بينهم ، ولا يتعاملون معهم ببيع أو شراء .. ولم يؤد هذا الا الى استثارة العصبيـة القبلية ، فلجأ بنو هاشم مع المسلمين الى شعاب الجبال ، واذ ذاك ضربت عليهم قريش لونا من الحصار المدنى ، بغية تجويعهم .. بيد ان الحصار لم يلبث أن تفكك عن ثغرات تسرب منها الطعام الى المحاصرين .. وأخذت هذه الثغرات تتسع ، فلم تنقض ثلاثة أعوام ، حتى انهار الحصار ..ونزل المسلمون من « معتقلهم » الى مكة ثانية

وان هى الا أسابيع أربعة بعد هذا النزول ، حتى فجع النبى فى عمه ابى طالب ، الذى كان خير سند له ضد قريش

٠٠ وسرعان مالحقت به «خديجة» ففقد محمدبوفاتها الزوجة والشريكة التى كانت تشد أزره وتسرى عنه ٠٠

ووجد محمد نفسه وجها لوجه مع قريش المتحفزة ، التى لم تتوان بعد ذلك عن العودة الى سياسة العنف ، حتى لقد ألقى بعض سفهائها على رأس محمد وثيابه التراب ، وحتى لقد لقد اضطر محمد الى أن يخرج الى الطائف - جنوبى مكة - ينشد حماية قبيلة « ثقيف » ٠٠ ولكن سادة القبيلة لم يكتفوا برده ، بل أرسلوا عبيدهم وسفهاءهم يحفون بطريقه ، فلا يرفع قدما عن الارض أو يضعها الا دقوها بالحجارة ، حتى أدموا قدميه ، وأثاروا كربه ، وجعلوا الدنيا تضيق به فى بصره ، فرفع عينيه الى السماء ينادى صاحب الرسالة التى لاقى فى سبيلها كل هذا العناء : « **اللهم انى أشكو اليك ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين ٠٠ انت رب المستضعفين ، وانت ربى ٠٠ الى من تكلنى !؟** »

وفى مكة ، قابله عدوان قريش أشد عتوا من ذى قبل ، فولى وجهه شطر « يثرب » ، حيث كان قد أسلم نفر من « الخزرج » أنبأهم جيران لهم من اليهود بما ورد فى التوراة عن نبى العرب المرتقب ، فما لبثوا أن عادوا اليهم يبشرونهم بظهور هذا النبى ، ويدعون اخوانهم من أهل المدينة الى الدين الجديد ، فسرعان ما انتشر بين قبيلتى «الأوس» و «الخزرج» ٠

وأمر محمد أصحابه وأتباعه بالهجرة الى هناك فى العام الثالث عشر للدعوة ٠٠ وبقى هو بين أعدائه - الذين كانوا يزدادون كيدا وبطشا - ينتظر الاذن من السماء بالهجرة ، ويترقب الأنباء التى تطمئنه الى سلامة المهاجرين ٠٠ وبقى معه «أبو بكر» و«على» ٠٠

المعجزة التى أنقذت محمدا !

◆ **ثم** حانت اللحظة التى بلغت الازمة النفسية فيها بأعداء محمد أقصاها ، ولم يعودوا يفكرون فى غير ضربة قاضية

يوجهونها اليه فيتخلصون منه . ومن ثم عقدوا مؤتمرا انتهوا فيه الى انتخاب شاب قوى من كل قبيلة ، فيحيطون بمحمد وينقضون عليه بسيوفهم معا ، وفى آن واحد ، فيروح دمه هدرا ، اذ أن بنى هاشم لن يستطيعوا أن يثأروا له من القبائل جميعا ..

وألم محمد بخطتهم هذه ، وكان قد رسم هو الآخر خطته .. **ففى الليلة التى أمر فيها بالهجرة ، أوعز الى « على بن أبى طالب » أن ينام فى فراشه ، ثم تسلل خلسة رغم ان طالبى دمه كانوا يحيطون بداره على مألوف عادتهم منذ قرروا قتله .. واذ بلغ دار أبى بكر ، وجده فى انتظاره وقد أعد راحلتين، فاتجها فى جنح الليل نحو اليمن ، وهو اتجاه لم يكن ليخطر ببال الاعداء .. حتى اذا بلغا غار « ثور » لاذا به ، وأقاما ثلاثة أيام ، كان « عبد الله بن ابى بكر » يتردد عليهما خلالها فى الليل يحمل اليهما ماتجسسه من أخبار القوم ، وكان راعى ابى بكر يحمل اليهما اللحم واللبن ، وكلاهما حريص على أن يضيع آثار قدميه فى قدومه ورواحه ..**

ولقد حملت المطاردة فريقا من الاعداء الى الغار مرة ، فأدرك ابو بكر انهم ولا ريب كاشفو أمرهما ، ولكن محمدا كان لا يفتأ يطمئنه مرددا : « ماظنك باثنين الله ثالثهما ! » .. « لا تحزن ان الله معنا ! » .. وجزى الله عبده على ثقته به ، فاذا القوم يرون عند مدخل الغار شجرة تدلت فروعها عليه بحيث لاتدع سبيلا لداخل الا اذا قطعها .. ورأوا من نسيج العنكبوت على الفتحة ما لاينسج الا فى أمد طويل .. كما وجدوا حمامتين بريتين عند المدخل مطمئنتين .. وكل هذه الظواهر لم يكن لها من قبل وجود ، وانما هى معجزة الهية ولا شك ..

وكانت ثمة معجزة أخرى ، فان طامعا فى المكافآت التى رصدتها قريش لمن يأتيها بمحمد ، لم يلبث أن عاد الى الغار

ثانية ، فاستطاع أن يستبين آثار محمد وابى بكر اذ بارحاه ، فانطلق وراءهما ، حتى اذا أوشك أن يلحق بهما أخذ جواده يتعثر ، وكبا به مرتين .. ثم استحثه الطمع ، فعاد يحاول حتى اذا صار على مرمى السهم منهما ، كبا الجواد مرة ثالثة ، فتملكت الرهبة قلب الفارس ، فأمنهما ، وعاد ادراجه يضلل من كانوا يطاردونهما !

وبلغ النبى وصاحبه المدينة ، فألفيا فى استقبالهما ترحيبا خفف عنهما مالقياه فى رحلتهما ..

وكان وصولهما فى ٢٨ يونيو سنة ٦٢٢ ميلادية ،و :

١٢ ربيع الأول : المهجـر

◆ **وفى** هذا التاريخ ، بدأت المرحلة الثانية من تاريخ محمد ورسالته .. مرحلة التنظيم .. تنظيم الدولة الاسلامية ــ سياسيا واقتصاديا ــ وتنظيم المجتمع الاسلامى .. فعمد النبى الى توثيق عرى الاخوة بين المسلمين ، المهاجرين منهم وأهل المدينة ، أى « الانصار » .. وأنشأ فى ذلك نظاما للتعاون لم يشهد له التاريخ مثيلا الا فيما ندر ، اذ أقبل الانصار يشركون المهاجرين معهم مساكنهم ووطنهم وأموالهم ..

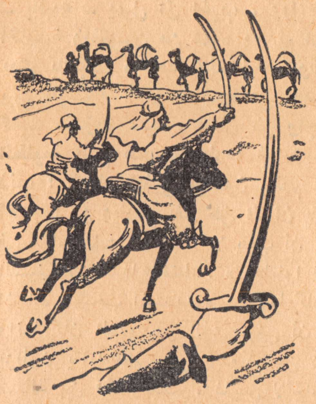
واذا كان محمد قد افتتح بالتعاون بين فريقى المسلمين الصفحة الاجتماعية فى تاريخ الدولة الاسلامية ، فانه افتتح الصفحة السياسية بمعاهدة تحالف وصداقة وتعاون بين المسلمين وقبائل المدينة التى كانت بينها ثلاث قبائل يهودية .. وقد قامت هذه المعاهدة على أسس تجعلها مثالا للسمو السياسى :

١ ــ **حرية العقيدة والرأى** .. فان « ذمة الله واحدة » و « لليهود دينهم . وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم الا من ظلم وأثم » ..

٢ ــ **اذا اعتدى طرف ثالث على أحد طرفى المعاهدة ، أو على الطرفين ،** فان كلا منهما يلتزم بأن يخف لمعونة حليفه فى رد العدوان .. وان عليهما أن يتعاونا فى الدفاع عن وطنهما المشترك : « المدينة » . وليس لاحد الطرفين أن يعقد صلحا مع عدو الا بعد استشارة الطرف الآخر ..

ولعل خير وصف لهذه الوثيقة التى وضعها محمد منذ ١٣٥٠ سنة ، هو ما كتبه الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه « حياة محمد » : « **هى فتح جديد فى الحياة السياسية والحياة المدنية فى عالم يومئذ** » .

على أنها فى الوقت ذاته « بينت » ــ كما يقول الزعيم الهندى المسلم « محمد على » ــ : « ان النبى كان يتوقع أن تعمد قريش اذ أحنقها فشلها فى القضاء



على حياته فى مكة ،الى مهاجمة «المدينة» .. اذ كيف كانوا يسكتون على ازدهار الاسلام فى « المدينة » وقد كانت من أهم محطات القوافل ومراكز التجارة على الطريق المفضى الى سوريا ؟

المعارك الاولى فى الاسلام

◆ واذ وطـد المسلمـون دعائم استقرارهم فى « المدينة »، استدرجتهم الظروف الى افتتاح صفحة ثالثة فى تاريخ الدولة الاسلامية: الصفحة العسكرية .. وقد بدأت ، بمهاجمة سرايا من المسلمين قوافل قريش وهى فى طريقها الى الشام بعد ستة شهور من استقرارهم ذاك . ويرى معظم المؤرخين ان المسلمين هم الذين بدأوا الحرب انتقاما من قريش ، والتماسا لتعويض بعض ما تركوه من أموالهم فى مكة عند هجرتهم .. **ويرجح الدكتور هيكل أن الغرض انما كان « افهام قريش ان مصلحتهم تقتضيهم التفاهم مع المسلمين ، تفاهما يقى الطرفين شر العداوة والبغضاء ويكفل للمسلمين حرية الدعوة الى الدين ، ولاهل مكة سلامة تجارتهم » .. وفى هذا التبرير تسليم ضمنى بأن المسلمين كانوا البادئين**

ويحاول « واشنطن ايرفينج » ـ فى كتابه « حياة محمد » ـ أن يلقى ضوءا من البغضاء الشخصية ، والنزوات البشرية ، فيزعم أن محمدا كان يحقد على القرشيين ما لاقى وأنصاره على أيديهم من أذى واضطهاد ، وان عصبيته ونعرته البشرية أوحت اليه أن كرامة أسرته قد مرغت فى الهوان بسكوته على ما كان يلاقى من عدوان .. وان هذه المشاعر البشرية أوحت اليه بأن يقنع نفسه ـ وقد وجد أن أتباعه ازدادوا حتى أصبحـوا قوة ـ بأن هذه القوة لم تتح له الا ليستخدمها فى بلوغ هدفه الاسمى ..

على أن الكثرة ممن تعرضوا لسيرة محمد رأوا فى كتاب « ايرفينج » من التحامل والمغالطات ما يجعله مصدرا ضعيفا ، أو مجرحا على الاقل !

وللزعيم الهندى « محمد على » رأى يتفق وما ورد فى القرآن ، وأجمعت عليه الكثرة من الكتاب والمحللين ، وقد أحسن عرضه فى كتابه عن « النبى محمد » اذ يقول ان محمدا أمر بالقتال لينقذ جماعة الاسلام من الدمار على أيدى عدو قوى عقد العزم على استئصال الاسلام من أرض العرب .. « **ولم يكن محمد**

ـ بطبعه ـ يميل الى الحرب ، وما حمل السيف فى قتال حقيقى قبل أن يبلغ الخامسة والخمسين من عمره ٠٠ ثم ان الاسلام ـ الذى دعا اليه ـ دين سلام ، يهتم بالعبادة وخدمة الانسانية ، وقد كلف أن يدعو الناس الى الدين ، وان يبلغ الرسالة لا أن يفرضها على أحد ـ « لا اكراه فى الدين » ـ ولكن الحرب كانت مقدورة عليه ، وكان من واجبه ـ كما أنبىء ـ أن يدافع عن جماعته المظلومة التى هجرت ديارها فرارا من اضطهادات أنزلها بهم عدو قاس لغير ذنب : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ٠ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله » ٠٠ ولقد أنبأ الوحى النبى فى مرات تلت ذلك بأنه لا يجب أن يشن حربا عدوانية ، فهو غير مأذون بحمل السيف الا للدفاع فقط : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين » ٠٠ وما كان القتال لحمل أى أحد على الاسلام غصبا ، وانما كان العدو هو الذى يبغى أن يرد المسلمين غصبا عن اسلامهم : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » ٠٠ واذ كان الدين مسألة بين الله وعباده ، فليس لأحد حق فى أن يغصب أحدا على اعتناق دين معين ، أو الارتداد عن دين آخر ـ كما كانت تبغى قريش ـ ومن ثم فقد كان فى اقدام النبى على الحرب جهاد فى سبيل قضية سامية ، هى حرية الانسان : **« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » ٠٠ وكما كان على النبى أن يكف عن القتال اذ انتهى العدو عنه وعن الضلال ، كان مطالبا بأن يكف عنه اذا عرض العدو الصلح ٠٠**

ويمضى « محمد على » قائلا : « فى هذه الظروف ، وتحت هذه الشروط ، أذن للنبى بالقتال ٠ ولم يكن حتى ذاك الوقت قد درب رجلا واحدا على النزال ، ولا كان لديه جيش ٠٠ »

وفى هذه المعانى أيضا كتب الاستاذ عباس محمود العقاد فى « عبقرية محمد » مبينا أن « **الاسلام فى بداءة عهده كان هو المعتدى عليه ، ولم يكن من قبله اعتداء على أحد ٠٠ وحروب النبى ٠٠ كانت كلها حروب دفاع ، ولم تكن منها حرب هجوم الا على سبيل المبادرة بالدفاع بعد الايقان من نكث العهد والاصرار على القتال ، وتستوى فى ذلك حروبه مع قريش ، وحروبه مع اليهود أو مع الروم** » ٠٠ وقال أيضا : « ان الاسلام لم يحتكم الى السيف قط الا فى الاحوال التى أجمعت شرائع الانسان على تحكيم السيف فيها » ٠٠ كالدولة التى يثور عليها من يخالفها بين ظهرانيها ، والدولة التى يحمل اناس من ابنائها السلاح على أناس آخرين من أبنائها ٠ ووصف فتوح الاسلام ـ فيما بعد ـ بأنها « تأخرت فى الزمن ، ولم يتم شىء منها قبل استقرار الدولة للاسلام ، فلا يمكن

أن يقال انها كانت وسيلة الاسلام للظهور ٠٠ ثم ان هذه الفتوح كانت تفرضها سلامة الدولة ٠٠ »

عبقرية محمد فى الحرب وفى الصفح

◆ **ومع أن** محمدا لم يكن خبيرا بالحرب ، الا أنه أثبت براعة فى القيادة وفى فنون القتال ، وأظهر من الخطط ما أثبت « العقاد » مشابهتها لخطط من جاءوا بعده من القادة كنابليون ٠٠ **وليس أدل على براعته فى الحرب ، من أن قوة المسلمين لم تكن تتجاوز ٧٠٠ جندى ، حين نازلوا ٣٠٠٠ من أقوى المحاربين القرشيين فى غزوة « أحد » ، فردوهم بعد قتال مرير ، تكشفت خلاله براعة محمد القائد ، اذ أوشك جيشه أن يهزم فى عنفوان القتال ، فما كان منه الا أن جازف معرضا نفسه لهجمات العدو ، وراح يصيح ليجمع جنوده حوله : « الى ، يا عباد الله ٠٠ أنا رسول الله » ٠٠ وما أن رأى المسلمون هجمات العدو تتجه اليه ، حتى شقوا صفوف العدو وأحاطوا بالنبى ، وبذلك ضموا صفوفهم فوق الربوة التى كان يقف عليها ٠٠ واضطرت قريش الى التقهقر والانسحاب !**

وهنا تتجلى الناحية الانسانية ، المسالمة ، المتسامحة ، الغافرة ، من شخصية محمد ٠٠ فقد أهاب به بعض أتباعه ـ وهو مثخن بالجراح ـ أن يدعو الله أن يهلك أعداءهم ، فرفع النبى يديه وهتف : «اللهم اغفر لقومى ، فانهم لا يعلمون»

وكانت هناك أمثلة أروع ٠٠ أمثلة تجلت فى اكرامه للاسرى وعدم استغلال فرصة ضعفهم لحملهم على اعتناق دعوته ٠٠ وفى حفظه للعهد اذا هادن حتى ينكث عدوه ٠٠ وفيما استنه فى توزيع الغنائم ٠٠ وليس أدل على روعة المعانى التى أظهرها محمد وجنوده فى القتال ، من أن الحروب لم تؤد الا الى كثرة من أخذوا ينحازون الى صفه من القرشيين ، ويسعون اليه مسلمين ٠٠

يتنبأ بمقتل كسرى

◆ **على أن** الفترات التى كانت تفصل بين الحروب ، شهدت صفحة جديدة فى تاريخ الدولة الاسلامية : صفحة العلاقات الخارجية ٠ فان محمدا أرسل الرسل الى ملوك وعواهل الدول المجاورة يدعوهم الى الاسلام ٠٠ **فأسلم « النجاشى » ـ ملك الحبشة ـ وأرسل « المقوقس » ـ ملك مصر ـ هدايا تعلن مهادنته ٠٠ وتأثر امبراطور الرومان بالدعوة ولكن قادة جيوشه أوغروا صدره ٠٠ أما كسرى ـ شاه فارس ـ فقد مزق رسالة النبى ، وأرسل الى حاكمه فى اليمن أن يعتقل محمدا ، فسير الحاكم حملة الى المدينة ، فتلقاها النبى معلنا أنه لم تعد ثمة حاجة للقتال ، لأن كسرى قد مات ٠٠ وارتد الجنود ليتبينوا أن كسرى قتل فعلا ـ بيدى ابنه ـ فى نفس الليلة التى عينها النبى ، فما كان من الحاكم الا أن أعلن اسلامه ، وثار على الفرس حتى خلص اليمن من حكمهم ٠**

وأخيرا ، قدر للمسلمين أن يفتحوا مكة ، وان يلجوا الكعبة ويحطموا أصنامها ٠٠ وحكى العباس عم النبى أنه لما تجاوز جيش النبى بعض ضواحى مكة ، التقى بأبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان من ألد خصوم النبى ، فوجده فى حيرة وهلع من أمره بعد أن رأى انتصار المسلمين ٠ فتطوع العباس لأن يجيره ، وصحبه الى النبى ٠ فما أن رأى عمر الرجل حتى قال : « يا رسول الله، هذا أبو سفيان قد مكننا الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأضرب عنقه » ٠ فقال العباس : « يا رسول الله انى قد أجرته » ٠ فأمر النبى أن يستبقيه حتى الصباح التالى ، ثم عرض عليه الاسلام ، فقال له : « بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك ، انى لأعلم أن الله هو الاله لا ريب فيه »

قال محمد : « ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنىَ رسول الله ؟ » ، فأجاب : « بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وما أكرمك وأوصلك ، أما هذه فوالله أن فى نفسى منها شيئا !»

أفغضب محمد ؟ ٠٠ كلا ، ولكن العباس ما زال بالرجل حتى أسلم ، ورغب فى أن يشفع لأهله ليكون له فى ذلك فخر امام قريش ، فقال محمد : « هذا بيان لأهل مكة من قريش ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » ٠٠

هكذا كان حلم محمد وتسامحه ! ٠٠ فلما دخل الكعبة ، جمع الناس وقال : « يا معشر قريش ، ماذا ترون أنى فاعل بكم ؟ » ٠٠ قالوا : « خيرا ، أنت اخ كريم ، وابن أخ كريم ! » ٠٠ فقال : « اذهبوا ، فأنتم الطلقاء ! »

وهكذا كان نبله وانسانيته ، وهو المنتصر الغالب ، وأعداؤه المستذلون المهزومون ٠٠ فلم يؤاخذهم بما فعلوا به وبأعوانه !

اقرأ القسم الثانى والاخير فى العدد القادم

حدث ذات يوم



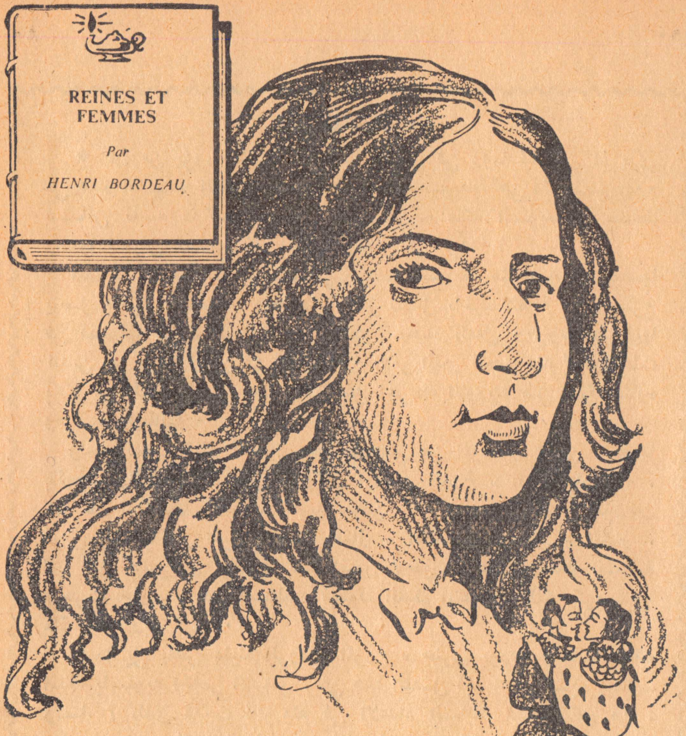
من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب ، قرأت معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :

فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
امرأة وملك (مدام دى مانتون)
« تيبريوس » قيصر روما
الحب أقوى من الموت
لوكريشيا بورجيا
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
بولين بونابرت : ملكة الغواية
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا
غرام الاميرة اليزابيث تيودور
ديزيريه : خطيبة نابليون
أوليمبيا : والدة الاسكندر
بيرينيس : ملكة فلسطين
تيودورا : الراقصة الامبراطورة
« سانوهى » أو (المصرى)

واليوم أقدم لك فيما يلى قصة حياة ومأساة «كريستين» ملكة السويد ، التى سببت كثيرا من الكوارث ـ بنزقها ومجونها ـ لكثير من البلاد الاوربية التى حلت فيها !



ملكات ونساء - ٤

للكاتب الفرنسى الكبير هنرى بوردو

كريستين ..

ملكة السويد

امرأة .. لا ككل النساء !



تلخيص : الاستاذ كليم ابو سيف

هذه المأساة ..

◆ ان من يزور كنيسة القديس بطرس فى روما ليدهش اذ يرى فى هذه الكنيسة العظيمة الفخمة قبرا لملكة سويدية هى «كريستين»!.. فيسائل نفسه : كيف جاءت « كريستين » ملكة السويد من مسقط رأسها لتعيش تحت سماء ايطاليا وتدفن فى ثراها ؟

انها لمأساة نسجت خيوطها من حوادث متشابكة متناقضة .. بعضها يتصل بالحياة الخاصة ، وبعضها الآخر يتصل بالحياة العامة .. وتمتزج فى فصولها المثيرة المتعاقبة حياة المجون بحياة العقل .. ويختلط فيها الدين بما حرمه الدين من أعمال !.. الامر الذى نتجت عنه كوارث حلت بكثير من البلاد المبعثرة هنا وهناك على الخريطة الاوربية مثل اسكندناوه وفرنسا وايطاليا .

ولقد ألهمت تلك المأساة عددا لايحصى من المؤرخين الذين تتبعوها بالبحث والتقصى والتعليق ، وكان أروعهم المؤرخ « أرفيد بارين » ، كما كان أصدقهم وأدقهم « الفريد نيومن » .. وانضم الى فريق المؤرخين فريق الكتاب الروائيين الافذاذ أمثال « الكسندر دوماس » الكبير ، كما لحق بالفريقين ممثلون سينمائيون لامعون تزعمتهم ملكة الشاشة « جريتا جاربو » حين اضطلعت ببطولة الفيلم المشهور «الملكة كريستين» منذ نحو ربع قرن ..

وفيما يلى يقص علينا الروائى المؤرخ « هنرى بوردو » مأساة هذه الملكة بأسلوبه الخاص الشائق ، فى هذا الفصل الجديد من كتابه (ملكات ونساء) الذى قدمت لك منه فى الاعداد السابقة قصص كل من : « بيرينيس » ملكة فلسطين ، « كليوباترا » ملكة مصر ، « مدام دى ديفان » و « جولى دى لسبيناس » غانيتى صالونات باريس الادبية فى القرن الثامن عشر ..

وفى الاعداد القادمة نواصل السير فى ركب هؤلاء الملكات والنساء اللواتى أنفق « بوردو » فى صحبتهن صفحات كتابه الممتع ...

١ ـ الملـــك جوستاف أدولف

◆ **كانت** « كريستين » ابنة أعجب رجـل ظهر فى القرن السابع عشر ، وهو الملك «جوستاف أدولف» ملك السويد .

ومن الظواهر العجيبة التى تلفت النظر أن عظماء الرجال كثيرا مايحملون أعقابهم وذرياتهم مالايطيقون ، لانهم لايورثونهم الا قسطا ضئيلا من عبقرياتهم ، مما يجعلهم يتأرجحون ويترنحون من بعدهم بين حياة الدهماء وحياة العباقرة ٠٠ **فلا هم قادرون على أن يحيوا حياة الدهماء ، لأنهم ورثوا عن آبائهم ومضات من عبقريات تجعلهم يعفون عن حياة الطبقات الدنيا من الناس ٠٠ ولا هم يستطيعون السير على سنن الاسلاف العظماء فى كل شىء ، لأنهم لم يرثوا عنهم عبقرياتهم كاملة ، بل ورثوها لمحات خاطفة ، تظهر حينا وتختفى حينا آخر ، وليست نورا ساطعا أبلج وهاجا ينير الكون ويفعمه حرارة وحياة !**

ومن هذا الفريق من السلالات كانت « كريستين » ـ ملكة السويد ـ اذ كان مثلها مثل الشجرة الضخمة التى تستطيع بشموخها وقوتها أن تقاوم الرياح الهوجاء ، ولكنها لاتثمر لأن جذورها لا تغوص فى بطن الارض ولا تتغلغل فى طبقاتها !

« نصف الاله » ٠٠ الذى كانت حياته أسطورة !

◆ **كان** أبوها يعتبر فى الجزء الشمالى من أوربا «نصف اله» ! وكان عملاقا ذا بشرة شقراء ، قويا عنيفا ـ كريما عطوفا فى بعض الاحيان ـ فيلسوفا ، مرحا يكثر من الشراب ، نافذ البصيرة حاد الذكاء ٠ ٠ مبارزا بارعا بالسيف وقائدا حربيا محنكا ٠٠ يجيد فن ترويض الرجال واستغلالهم حتى يصل عن طريقهم الى تحقيق غاياته ومآربه السياسية ٠٠ **وشاء القدر أن يموت « جوستاف أدولف » فى عنفوان شبابه ، وعنفوان مجده معا ٠٠ فكانت حياته ومماته أشبه بحياة وممات أبطال الاساطير !**

٠٠ توج ملكا على السويد وهو فى السادسة عشرة من عمره ٠٠ وقتل وهو فى الثامنة والثلاثين ، فكانت حياته القصيرة برقا يخطف الابصار ، أضاء وهجه السويد بصفة خاصة كما قضى عليها وحطمها وتركها ركاما ٠٠ فصدق فيه ما قاله هو نفسه

عن عظماء الرجال : « ان عظماء الرجال هم الوباء الذى يجتاح الشعوب ! »

على أننا لو تحرينا الصدق والانصاف لاستثنينا « جوستاف أدولف » من هذه القاعدة الجائرة ، لأنه لايزال فى بلده حتى اليوم المثل الذى يحتذى ٠٠ وليس بالأمر العادى ولا الهين أن يظل فرد واحد محل اعجاب وفخر أمة بأسرها بعد موته بثلاثمائة عام ٠٠

وبهذه المناسبة يتعين علينا أن نبين خطأ كثيرا مايقع فيه المؤرخون ، وهو أنهم يجعلون من الموت نهاية لحياة الافذاذ من الرجال ، وينسون أن للعظماء حياة أخرى تتمثل فى ذلك التأثير الجبار الذى تحدثه شخصياتهم القوية فى سلالاتهم من بعدهم ٠٠ ذلك التأثير الذى هو حياة ثانية عارمة متدفقة يهبونها لذوى القلوب النبيلة الكبيرة ، والمشاعر المرهفة الوثابة !

ان أصغر صغير فى مدارس « استوكهلم » ليحس بهزة عندما يقرأ تاريخ ملكه « جوستاف أدولف » ، وتتولاه رغبة قوية فى أن ينسج على منوال ذلك الملك ويحيا حياة تشرفه وتشرف أمته معا

نشوة النصر تؤدى الى حرب أهلية !

◆ **ارتقى** « جوستاف أدولف » عرش السويد وهو ـ كما قلنا ـ فى السادسة عشرة من عمره ٠ وورث العرش يحوطه أعداء ثلاثة : بروسيا ، وروسيا ، وبولونيا ! ٠٠ فتخلص من « بسمرك » ـ داهية بروسيا ـ بصلح أعرج عقده معه ، وأعلن على «رومانوف» ـ قيصر الروس ـ حربا ضروسا هزمه فيها ٠٠ واندفع نحو « بولونيا » فهزمها أيضا فى موقعتين فاصلتين ٠٠ فتم له بذلك النصر المؤزر فى الجبهات الثلاث !٠٠

ولكن خمر النصر اثملته وأدارت رأسه ، فاذا به يقحم بلاده فى أهول حرب عرفتها أوربا : « حرب الثلاثين » ، التى كانت

شرارتها الاولى دينية ، ثم اندلعت نيرانها فأصبحت دولية .. .. اشتبك فيها مع « فرديناند » امبراطور النمسا ، وجر الى جانبه فيها الدانمرك .. وخرج منها مدحورا فانكمشت بذلك امبراطوريته .. فانتهز « ريشيليو » - داهية فرنسا الكبير - الفرصة ليوسع رقعة فرنسا على حساب السويد ، بأن عقد معها تحالفا مكنه من أن يتخذ ملك السويد مخلب القط ، يسلطه على أعداء فرنسا بالاغراء حينا وبالتحريض حينا آخر .

وكان لابد لجوستاف أدولف من أن يتقاضى النمسا ثأره .. ولكنه رأى قبل مغادرة بلاده - لمنازلة «فرديناند» ملك النمسا - أن يرتب شئون ملكه أولا وينظمها ، خشية أن يقتل فى احدى المعارك .. فأوصى بعرشه من بعده لابنته «كريستين» ..

وأبحر فى العشرين من مايو سنة ١٦٣٠ بجيشه المدرب الباسل ، ومضى يجتاح جميع البلاد التى أمامه ، ويهزم أعداءه فى جميع الميادين .. فكان أقرب الى أسطورة من الاساطير منه الى قائد محنك كبير ، فقط ..

وهزم النمسا .. فاستغاث امبراطورها بالقائد العظيم « ولنشتين » ، الذى كان قد أقصاه عن قيادة الجيش ، حتى اذا رأى الخطر يحدق به أهاب به أن يعود ، فعاد !

وفى « نورمبرج » التقى الخصمان العنيدان ، والقائدان الماهران ، « ولنشتين » و « جوستاف أدولف » !

يدفع حياته ثمنا للنصر

◆ **وأرهفت** أوربا آذانها لتستمع الى صليل سيوف الجيشين ، وصهيل خيولهما .. وطال انتظارها ثلاثة أشهر كاملة ، كان كلا الفريقين رابضا فى أثنائها أمام خصمه كالليث الهصور لا يريد أن يكون البادىء بالعدوان ، حتى يستوثق من قوته وقوة خصمه فيسدد اليه الضربة القاضية فى أوانها !

وأخيرا نفد صبر جوستاف ، فاذا به يشعل نيران المعركة فى « لوتزن » ، فى ٦ نوفمبر .. **ومع أن جيوشه انتصرت فى**

المعركة الا أنه دفع ثمن انتصارها غاليا ٠٠ فقد أصيب برصاصتين قتلتاه فى الحال ٠٠

وكتب « ميشليه » يقول : « لقد بكت أوربا كلها جوستاف ادولف لانه مات فى أوج مجده وريعان شبابه ! » ٠ واذا كان الموت قد نأى به عن وطنه الى الابد ، فانه لو عاش لنأت به الحياة عن ذلك الوطن أيضا ٠٠ اذ كان حلم «الامبراطورية» يداعبه، ولم يكن من السهل مقاومة هذا السراب الخادع !٠٠ **ولقد كان « جوستاف أدولف » أول من استحدث فنون الحرب الخاطفة التى تتميز بالسرعة والاحكام في التصميم ٠٠ وكان يجيد اختيار معاونيه من الافذاذ العباقرة ، ويضع كلا منهم فى المكان اللائق به ٠٠** وكان بعد نظره فى هذا المضمار ، ودقته ، وصدق حكمه على الرجال ، من الاسباب التى أطالت عمر أعماله بعد وفاته ٠ اذ حمل معاونوه الامانة من بعده وساروا بالبلاد قدما الى المجد والعزة والكرامة ٠ وكان مولاهم الشاب الشهيد هو رائدهم الاول فى كل مايعملون ، **كما كان داهية فرنسا الخبيث « ريشيليو » هو الموجه لهم فى كل صغيرة وكبيرة من شؤون البلاد !**



مات « جوستاف أدولف » ولكن الحرب ظلت مستعرة بعده حتى انتهت بسقوط « براغ » فى أيدى الجيوش السويدية بفضل القائد السويدى العظيم « فرانجل » ٠ ٠ وان لم توقع معاهدة الصلح «وستفاليا» الا فى عام ١٦٤٨ ، وهى المعاهدة التى رسمت خيوط السياسة فى أوروبا وحددتها لوقت طويل٠

وكانت التى وقعت المعاهدة باسم السويد هى « كريستين » ابنة « جوستاف أدولف » ، التى أوصى لها من بعده بعرش السويد الشامخ الوطيد !

٢ ـ كريستين

◆ **لم تكن** كريستين تعرف شيئا يذكر عن أبيها ، فقد كانت فى الرابعة من عمرها عندما بارح السويد فى غزوته للنمسا وخاض المعركة التى قتل فيها • وبالرغم من ذلك فقد انطبعت فى ذاكرتها بعض صور باهتة عنه ، لم يكن فى وسعها أن تتبين أيها أعمق تأثيرا فى نفسها مما عداه ••

وكانت « كريستين » طفلة خارقة الذكاء ، فكان من الغريب مع هذا الذكاء ـ الذى كان يسبق سنها بكثير ـ ألا تنطبع صورة أبيها فى مخيلتها ، مع أن أباها لم يكن رجلا عاديا يسهل نسيانه • وكان غريبا أيضا ألا تحتفظ ذاكرتها بشىء من حركات « جوستاف » وايماءاته ، وضحكاته المدوية المجلجلة، وطيبة قلبه ، ونزواته وانفعالاته العصبية •

لقد كان « جوستاف » يخصها بحنان وعطف كبيرين منذ ولادتها •• **وكان الفلكيون قد تنبأوا له بأنه سيرزق ولدا • فلما حانت ساعة الوضع احتبس كل من فى القصر أنفاسهم ، ووجفت القلوب تنتظر وصول ولى العهد العتيد • واذا بالطفل يصل الى هذا العالم وكل سيمائه تدل على أنه ذكر •• فقد كان كث الشعر دميم الخلقة • ولم يكن ثمة ما «يعزى» عن دمامته الا أن يكون ذكرا ! ولكن هذا المولود القبيح كان بنتا •• فكانت الكارثة مزدوجة والخطب جسيما !••**

وماكاد يعلن النبأ حتى أصيبت الملكة بنوبة هستيرية من الكمد والغضب معا ! •• **أما جوستاف أدولف فقد أعرب عن سروره بالمولودة الجديدة رغم بشاعتها ، وعقب على النبأ بقوله :**

« لنشكر الله على عطيته ! واننى لآمل أن أجد فى هذه الابنة مايعوضنى عن الولد ! فليحفظها الله كما وهبنى أياها ! »

وبارك الطفلة •• وأمر بالقاء الاناشيد الكنسية احتفالا بمولدها !

أما الملكة فكانت تصرفاتها على النقيض •• فقد أبغضت الطفلة بغضا شديدا •• وظلت سادرة فى بغضها لها ، فلم تعن بالمحافظة عليها ، وكانت تقشعر من مجرد النظر اليها ، ولا ترى فيها أكثر من حشرة صغيرة •• وهكذا كانت الطفلة البائسة كما مهملا لا يؤبه له ، ولا يلتفت اليه •• وحدث ذات صباح ، أن سقط أحد الاعمدة على مهدها فكاد يهشمها تهشيما •• كما خلف لها حادث آخر عاهة مستديمة ، اذ كسرت احدى كتفيها •• فظلت هذه الكتف المكسورة أعلى من الكتف السليمة ، مما زادها قبحا ودمامة !

وهكذا عاشت الطفلة كريستين الكثير . وكانت طفولتها قاسية يابسة مجردة من أى عطف أو رعاية أو حنان ٠٠ لكنها كانت تقاوم قسوة الحياة ، وقسوة الام ، بشكل عجيب ٠٠ ولم يكن أحد يعطف عليها سوى أبيها ، الذى كان والدا قبل أن يكون ملكا ٠٠ فلما سافر فى احدى غزواته كان مما يقطع نياط القلوب أن نرى الطفلة تنتحب ثلاثة أيام بلا انقطاع حتى تقرحت عيناها ٠٠ اذ استشعرت فى سفره حرمانها من القلب الوحيد الذى كان يرق لها ويعطف عليها ويحميها من اضطهاد أمها القاسية ، التى لم تعرف الامومة اليها سبيلا !

هل كان يحب زوجته ؟!

◆ **ويدعى** المؤرخ « أرفيد بارين » ان « جوستاف » كان مغرما بهذه الام القاسية ــ زوجته ــ غراما عارما ، لأنها كانت جميلة !٠٠ ولأن الجمال كثيرا ماينبو بالرجال ويجعل عقولهم تضل عن جادة الصواب وتحيد عن الطريق القويم ! **ولكن الوقائع الثابتة ، المسجلة فى التاريخ ، تدل على عكس ما ذهب اليه المؤرخ « أرفيد بارين » تماما ٠٠ !** ولئن سلمنا بأن جوستاف كان مغرما بزوجته ، فلعله كان الزوج الوحيد الذى لم يعمه الحب عن رؤية سخافات زوجته ، ومعرفة عيوبها والاحتياط لها فى أمور دقيقة سيأتى ذكرها ٠٠ ومن ثم ، فاما انه لم يكن مفتونا بزوجته الى هذا الحد ٠٠ أو أنه كان مفتونا بها ولكن هذه الفتنة لم تزحزح عقيدته فى قصورها وغبائها قيد انملة !

والدليل القاطع على مانقول هو أنه نص فى وصيته على سحب الوصاية على العرش من بعده من الملكة التى كان مفتونا بها وبجمالها !٠٠ بل زاد على ذلك بأن جردها حتى من مهمة الاشراف على تربية ولية العهد الطفلة كريستين ٠٠ ولعل ذلك أبلغ دليل على رأيه فى الملكة وعدم صلاحيتها للقيام بالاعمال الهامة فى الدولة !

والواقع ان الزواج من « مارى اليانور » ــ كما كانت الملكة تسمى ، قبل زواجها ــ كان قد فرض على الملك « جوستاف » فرضا ، لاعتبارات « نفعية » صرفة ، ذلك انها كانت ابنة مندوب مقاطعة « براندبورج » فى المجلس الاعلى ، الذى كانت لاعضائه سلطة انتخاب امبراطور ألمانيا ٠٠ فكان زواجه منها اذن زواجا سياسيا !

وكانت لجوستاف معشوقة قبلها تدعى «ايبا براهى» ، وقد هجرها ليتزوج من « مارى اليانور » ، خضوعا لما كانت تقتضيه مصلحة السويد ٠٠ اذ كان يقدس الواجب ويقدمه على كل اعتبار

ولم يكن جوستاف محاربا باسلا فحسب ، بل كان ذا قلب كبير يختلج بكثير من المشاعر النبيلة ٠٠ وكان واسع الاطلاع ، تتبعه مكتبته الى ميادين

القتال ‥ فقد كان قارئا مجيدا ومفكرا عميقا !‥ أما الملكة « مارى اليانور » فلم تكن تعنى بالقراءة فى قليل أو كثير ، بل كانت تقضى كل أوقاتها محوطة بالاقزام من كل صنف ‥ أقزام العقول ، وأقزام النفوس ! ولم يكن لها من شاغل الا العناية بزينتها ‥ تعيش فى عزلة تامة عن العالم وما يضطرم به من احداث وتيارات فكرية ‥ جاهلة جهلا مطبقا بكل شىء نافع ومفيد ‥ تحيط نفسها بشراذم من سفلة الخدم ‥ لايتعبون من حبك الدسائس ونفث سموم المؤامرات !

وكان من الطبيعى أن تحب امرأة من هذا الصنف زوجها حبا جما ضخما ‥ لا لأنها من النضوج والاتزان بحيث تقدر رجلا كجوستاف حق قدره وتزنه بميزانه الصحيح ، وانما لأنه ملك ، فهو اذن ، الرجل الوحيد الذى يستطيع اشباع غرورها ، والقادر على أن يحيطها بالمظاهر البراقة الخلابة والترف اللذين لم تكن لتفهم للحياة معنى بغيرهما !‥ فلما قتل زوجها ، مصدر كل هذا الترف وتلك النعم ، حزنت لمقتله حزنا لم يعرف التاريخ أعنف منه ولا أهول ‥ فقد ظلت الدموع تفيض من عينيها طوفانا يهمى بلا انقطاع ‥ وكانت تقضى أياما طوالا تصل الليل بالنهار فى العويل والنحيب ‥ وظن الناس أن الزمن والسنين ستخفف من حزنها وتحد من أساها ، ولكن كر الايام وانصرام السنين لم يطفىء جذوة حزنها الذى ظل نارا متأججة وسعيرا لا ينطفىء له أوار !

وكأن البكاء لم يكفها فزادت عليه ان طلت جدران جناحها فى القصر باللون الاسود ‥ وأرخت على نوافذه الستائر السوداء التى تركتها مسدلة ليلا ونهارا ‥ فكان النهار فى مسكنها والليل سواء !

وفى تلك الحجرات، أو فى تلك «المقبرة» ،كانت الملكة ـ أم كريستين ـ توقد الشموع وتظل تبكى وتنتحب على ضوئها الباهت المقبض الراعش الحزين

تقسر ابنتها على الحزن والبكاء !

◆ **وعاشت** « اليانور » بعد زوجها طويلا ‥ وحيثما حلت وفى أى مكان أقامت كانت مصدرا للمتاعب والمنغصات لكل من يحيط بها : للسويد التى هربت منها ، وللدانمرك التى التجأت اليها ، ولابنتها كريستين بوجه خاص !

وهنا يصف المؤرخ « أرفيد بارين » أم « كريستين » فيقول : « لو أن الملكة « اليانور » ، فى حزنها العميق ، وانزوائها فى مقبرتها المظلمة الحالكة السواد فى القصر ، اكتفت باستصحاب حاشيتها المعروفة المكونة من الرعاع والأوباش، لهان الخطب ! ‥ **ولكنها استولت على «كريستين» ، وأبقتها معها تنيمها فى فراشها ! ولو أنها فعلت ذلك حبا فى ابنتها ، لقلنا انها تجد فى الامومة**

شيئا من السلوى والعزاء ٠٠ ولكنها أصرت على الاستيلاء على الطفلة التى طالما ابغضتها ، لأمر آخر يدعو للدهشة والعجب ٠٠ لكى تجعلها تنتحب معها ، وتولول معها ، وتندب معها ٠٠ هكذا قسرا وبالاكراه !٠٠ »

فاذا عن لأحد أن ينتزع الطفلة البائسة من هذا الهول ، تصاعدت صرخات أمها ، واشتد ندبها وصياحها كما لو كانت قد أصيبت بمس من الشيطان !

لقد كان من حسن حظ «كريستين» أن عنى أبوها بأمرها ، فنص فى وصيته على أن يتكون مجلس الوصاية من خمسة من كبار رجالات السويد ومفكريها ٠٠ ليست بينهم أمها الملكة « اليانور » ! ٠٠ وزاد على ذلك بأن عهد الى مستشاره الأول «أوكسنشتاين» بتنفيذ الوصية ، فسهر المستشار على هذه المهمة بأمانة ودقة ٠٠ فكان أول عمل أتاه هو أن سحب الطفلة من الام وأخرجها من المقبرة التى اجتذبتها للعيش فيها ، غير عابىء ولا مكترث بندب الام وصياحها وعويلها !

وما كاد يستولى على الطفلة حتى دفع بها الى نخبة من صفوة الاساتذة ليشرفوا على تعليمها وتثقيفها وتهذيبها ، فقاموا بمهمتهم خير قيام ولم يدخروا وسعا فى تعليمها ٠٠ فعلموها اللغات الاجنبية حتى حذقت منها ستا كانت تتكلمها بطلاقة ، فضلا عن الفلك ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة ، واللاهوت ٠٠ **وزاد « أوكسنشتاين » على ذلك أن كان يقضى هو نفسه ثلاث ساعات يوميا مع « كريستين » ،يلقى عليها أثناءها دروسا فى فن سياسة الملك وادارة الحكومة ٠٠**

وأثبتت « كريستين » انها فى ميدان الجد والصبر والعمل الدؤوب لايشق لها غبار ٠ فقد كانت على درجة خارقة من الصبر وقوة الملاحظة ، وكانت فى كل أعمالها أبعد ما تكون عن طبيعة المرأة وأقرب ماتكون الى طبيعة الرجال ٠٠ فالاعمال التى يروقها أداؤها ويحلو لها انجازها هى الاعمال التى يضطلع بها الرجال ٠٠ ويكفى أن يكون العمل من اعمال النساء لكى يثير اشمئزازها وكراهيتها ، كمحادثات النساء ، وشواغل النساء ، وهوايات النساء !

وعندما كبرت أظهرت بسالة نادرة فى مواجهة الاخطار ٠٠ وكانت ذات صفات ممتازة قوية ، ولكنها كلها من صفات الرجال ، وعليه فقد كانت النتيجة أنها لم تستطع أن تكون رجلا ولم تستطع أن تكون امرأة !

كريستين بين المادحين والقادحين

◆ **ويكاد** يكون من المستحيل تحليل شخصية « كريستين » والنفاذ الى مساربها ٠ وقد تضاربت فيها الاقوال والآراء ٠٠ فمن الناس من أغرقها فى لجج من الثناء والمديح ، ومنهم من لم يترك عيبا الا ذمها به !

ولعل مادحيها لم يمدحوها الا وهى ملكة قابضة على زمام السلطة جالسة على أريكة الملك ٠٠ ولعل قادحيها لم يتمادوا فى سبها الا بعد أن نزلت عن العرش وأفلتت أعنة الحكم من بين يديها ٠ **أى أن المادحين والقادحين هم من طراز أولئك المنافقين أصحاب المنافع وعباد المصالح !**

وفى الحق انه بالرغم من كثرة المعجبين بكريستين الا أن قادحيها كانوا أكثر عددا من مادحيها ٠ أما المؤرخ « أرفيد بارين » الذى تكرر ورود اسمه فى هذا الفصل فقد صورها لنا فى صورة شيطان من زبانية الجحيم ٠ كما وصفها البابا الكسندر السابع بقوله : « **انها امرأة ولدت بربرية ، وربيت بطريقة بربرية ، وعاشت تقتات بأفكار بربرية !** »

ولكن هل هذه الاتهامات صحيحة كلها ؟ لقد أثبت التاريخ أن هذه المرأة التى ربيت وعاشت كالبرابرة الهمج ، تمكنت من أن تلم الماما شاملا بكل صغيرة وكبيرة من شؤون الملك ٠٠ **صحيح أن سلوكها الخاص كان شائنا ومعيبا وفاضحا ، الا أنها حتى فى هذا السلوك الشائن الفاضح كانت ذات جراة نادرة المثال** ٠٠ فاستطاعت أن تواجه أعداءها ، منكرة انكارا تاما وفى اصرار عجيب أية علاقة تربطها بأى رجل ، فى الوقت الذى كانت فيه على علاقات فاضحة برجال يخطئهم العد والحساب ! ٠٠ حتى لقد جعلها المؤرخون مثلا يضرب فى الفجور والمجون ٠ **الا أن شيئا ما على وجه التحديد ، وحادثة ما على وجه التحقيق لم تثبت ضدها** ٠٠ ولقد علمتنى الحياة أن أكون على حذر فى تصديق كل ما يروى عن الاحياء ، لأننا لا نستطيع أن نعلم الا النزر اليسير عن حياة الآخرين ، وحقيقة مشاعرهم ، وما يكون بينهم وبين بعض من صلات ، فمن باب أولى تعلمت أن آخذ حذرى مما يروى عن الاموات الذين أصبحوا فى ذمة التاريخ !

أول غراميات الملكة « كريستين »

◆ **كان** أول من أحبت « كريستين » هو « ماجنوس دى لاجاردى » ٠٠وتأبى هذه المرأة الا أن تثير دهشتنا بجميع تصرفاتها حتى فى الحب ٠٠ اذ من الطبيعى والبديهى أن تحتفظ المرأة بمن تحب لنفسها ٠٠ **ولكن «كريستين» كانت هى نفسها التى زوجت حبيبها من «افروسين» ابنة الكونت « جان كايمر » ٠٠ ثم أبعدته بأن عينته سفيرا لها فى باريس !**

أما الدروس التى كان يلقيها عليها مستشار أبيها الامين « أوكسنشتاين » فقد أتت بأبرك الثمرات ، اذ تمكنت وهى فى الخامسة عشرة من عمرها ، من أن تحضر جلسات مجلس الوزراء ٠ وما أن بلغت الثامنة عشرة حتى أصبحت ملكة السويد المتوجة ٠٠

وكان نظام الحكم فى السويد استبداديا تحت اشراف المقاطعات ٠ وكانت

الطبقة المتوسطة مغبونة ، محرومة ، لايكاد يكون لها أثر فى المجتمع السويدى ٠٠ فى الوقت الذى كانت فيه الطبقة الارستقراطية تتمتع بحقوق ومزايا الى حد التخمة ! فكانت تلك الطبقة بأطماعها وجشعها مصدر قلاقل ومصاعب لاحد لها!

وكان حلفاء كريستين هم رجال الدين !

أما الفلاح فقد كان فى عهدها ينوء تحت أثقال الضرائب الفادحة ٠٠ يعيش على هامش الحياة كما مهملا لا يسمح له الا بالعذاب والانين ! ولكنه كان مع ذلك يشعر بعاطفة حب قوية غامضة نحو تلك الملكة الصغيرة التى كان يلمحها أحيانا من بعيد وهى ممتطية صهوة جوادها تقطع به الحقول فى سرعة خارقة ٠٠

سر شقاء شعب السويد

◆ **واذا** حدث أن جاء ذلك الفلاح الى (استوكهلم) عاصمة السويد ، لكى يبتاع منها حاجاته ، لم تكن تفوته رؤية ذلك النور الخافت المنبعث حتى ساعة متأخرة من الليل ، من خلال الستائر المسدلة على حجرة الملكة الصغيرة ٠٠ كان يعلم أنها خلف تلك الستائر ساهرة تتعلم فى جد ودأب كيف تسوس دفة الحكم!

لقد كان الفلاح التعس المسكين ينتظر منها الكثير ويأمل على يديها الكثير ، لانه كان يحس باهتمامها به وعطفها عليه ٠٠ وبالفعل ، لم تلبث ان اثبتت له انها ـ بالرغم من كونها امرأة ـ قد تغلغلت الى صميم آلامه ، وألمت بما يقع عليه من ضيم ويصيبه من ذل وحرمان !

ولكن ذلك الفلاح أخطأ فى شىء واحد ، وهو اعتقاده بأن كريستين كانت امرأة !٠٠ **لأنها فى الحقيقة كانت فى منتصف الطريق بين الرجال والنساء !!**

تلفتت كريستين الى الفلاح السويدى فوجدته يرزح تحت أثقال العوز والفاقة والحرمان ٠٠ ورأت أن منبع الشقاء كله هو تلك الحروب التى كانت نيرانها مشتعلة بين السويد والدانمرك من ناحية ، وبينها وبين ألمانيا من ناحية أخرى ٠٠ وكانت فرنسا هى التى أشعلت الحرب ضد ألمانيا ، **فوجهت الملكة همها الى انهاء تلك الحروب ووضع حد لما يصيب البلاد من جرائها ٠٠** وهنا اصطدمت بمستشارها « أوكسنشتاين » الذى كان يعارض فى عقد أى صلح بين السويد وعدوتيها ٠٠ ولا يرضى بانصاف الحلول بل يصر على صلح تنال به السويد كل ماتريد ٠٠ فما زالت به كريستين حتى أرغمته على أن يعقد الصلح أولا مع الدانمرك وذلك بمعاهدة «برومسبرو» ٠ وكان صلحا مشرفا للسويد خرجت به غانمة مظفرة ٠ ٠

وكانت مقاومة «أوكسنشتاين» لها فى عقد ذلك الصلح سببا دفعها الى التفكير فى التخلص منه فى أقرب فرصة ، لانه كان السبب فى كل ماجلبته الحروب على السويد من مصائب ونكبات !

وما كادت تنتهى من الدانمرك ويستتب لها الامر فيها ، حتى يممت وجهها

نحو ألمانيا ، رغم معارضة «أوكسنشتاين» أيضا ، وعقدت معها معاهدة «وستفاليا» فى عام ١٦٤٨ ٠٠ وكان صلحها مع ألمانيا مشرفا للسويد أيضا ، اذ خرجت به غانمة ظافرة !

الغرام يلين قلبها للسلام !

◆ **وكانت** تسيطر على «أوكسنشتاين» فكرة واحدة لايحيدعنها ، وهى : كيف يوسع من رقعة السويد ويجعل منها امبراطورية ضخمة ! وكان يستوى عنده أن تستنزف تلك الحروب موارد السويد وتوردها موارد التهلكة ، فى الوقت الذى كان هم « كريستين » منصرفا فيه الى اتباع سياسة أوربية معتدلة متزنة تجنبها استثارة ضغائن الدول الأوربية واندلاع نيران الحروب ٠ ولم يكن هذا لخوفها من الحروب أو جزعها منها ٠٠ فاننا سنراها عما قريب فى مواقف تدل على القسوة التى لا ترتعب من رؤية الدماء المسفوكة ٠٠ ولكن لأن سياسة السلم **والمهادنة التى كانت محببة اليها فى تلك الفترات من حياتها ، انما كان مرجعها الى أنها كانت أثناء تلك الحقبة من الزمن تجتاز مرحلة غرامية ٠٠ فاضفى الحب ، بفلسفته ، وعميق تأملاته ، على روحها حب الدعوة للسلام !**

ولقد كانت فترة المعاهدات المذكورة هى ألمع فترة فى حياة «كريستين» ٠٠ الملكة التى ساهمت بمجهودات جبارة فى بناء صرح مجد السويد ، اذ كانت تحاسب رئيس وزرائها على كل صغيرة وكبيرة من شؤون الحكم ، ووضعت نصب عينيها اتمام الاعمال المجيدة التى بدأها أبوها « جوستاف أدولف » العظيم ٠٠ فأكثرت من تأسيس الجامعات ٠٠ واتصلت بفحول العلماء الاجانب فى شتى أصقاع المعمورة واستقدمتهم الى السويد ، أمثال الفيلسوف العظيم « ديكارت » والفيلسوف « سوفير » ٠ كما عنيت عناية كبرى بدفع النهضة العلمية والادبية فى بلادها الى الامام دفعات قوية ٠ وأنفقت أموالا طائلة فى اقتناء الكتب النفيسة واللوحات الفنية الرائعة ٠٠

وكانت هذه الاعمال تبدو متناقضة مع اتجاه كريستين الى التخفيف من ويلات الفلاح والعمل على الترفيه عنه وتحسين حاله ! ولكن كريستين كانت مجموعة من المتناقضات ٠٠ فقد كانت خليطا من القسوة والرحمة ، والاتزان والرعونة ، وحب شعبها والاستهتار به معا ! فالمرأة التى تستقدم الى بلادها « ديكارت » الفيلسوف الخالد ، وتعتز بوجوده فى بلادها ، كان أقل مايتوقع منها هو العمل على توفير أسباب الراحة له ٠ ولكنها ــ على النقيض من ذلك تماما ــ كانت السبب فى القضاء على حياته برعونتها وأنانيتها وسوء تصرفها ٠ ذلك انه لم يكن يحلو لها استدعاء ديكارت ليحاضرها فى الفلسفة الا فى الساعة الخامسة صباحا فى أيام شتاء السويد القارس الفظيع !٠٠ وكان « ديكارت » فى الرابعة والخمسين من عمره ، ضعيف البنية ، فأصيب بالتهاب رئوى حاد قضى عليه

في الحادى عشر من شهر فبراير سنة ١٦٥٠ .. فخسر العالم بفقده جبارا من جبابرة العقول ، قل أن يجود الزمان بمثله !

وشيعت كريستين الفيلسوف العظيم الراحل باحتفال مهيب ، ولكن ما أن وارته التراب حتى نسيته نسيانا تاما ، كأن خياله لم يمر يوما بالكائنات !

انتكاس خطير فى حياة كريستين

◆ **وهنا** ظهرت على مسرح السويد شخصية جديدة قلبت حياة الملكة ، بل حياة السويد كلها ظهرا على عقب .. وكان القادم الجديد شخصا يدعى «ميشون» أطلق على نفسه فيما بعد اسم « بورديلو » !

كان « بورديلو » من دجاجلة الاطباء ، يشتغل بالشعوذة أكثر من اشتغاله بالطب . وكان قبل قدومه الى السويد قد طاف بالعالم .. وحط رحاله ردحا من الزمن فى ايطاليا التى كانت فى ذلك الوقت مرتعا خصيبا للدجالين والمشعوذين !

وكان ظهور الدجال « بورديلو » نقطة تحول خطير بشع فى حياة الملكة كريستين ، ومصدرا لويلات كثيرة حلت بالسويد من جراء تصرفاته !

ويصفه المؤرخ « أرفيد بارين » فيقول :

« كان قادرا على اسالة الدماء من مرضاه كأى جاهل بالطب ! فليس ادماء الاجساد بالامر العسير ! وكان يحذق وصف العقاقير المطهرة للامعاء ..وعبثا حاول فحول الطب فى السويد اماطة اللثام عن حقيقة ذلك المهرج الحقير ، فقد ذهبت جهودهم كلها أدراج الرياح ، لأن نساء السويد كن الى جانبه يشددن أزره ، ويدافعن عنه ! وعليه فبفضلهن سار قدما يشق طريقه الى المجد ، وأنوف أطباء السويد وصفوة رجالها فى الرغام !..

كان « بورديلو » هو الطبيب المثالى لنساء القرن السابع عشر ! فقد كان يجمع الى اللطف ، التهريج والمجون ! .. تتدفق منه الالفاظ المعسولة كالغيث الهتون .. يجيد أساليب اللهو والتسرية عن النفوس والترفيه عن الاعصاب ! .. **وكان أعلم أبناء جيله بالمياه والعقاقير والاصباغ التى تعيد الى شعور النساء سوادها وتزيل من وجوههن التجاعيد ! فكانت عجائز النساء أكثر أهل السويد حبا له ودفاعا عنه !** يجيد غناء المقطوعات الغرامية كما يجيد الطهى ، ولا يبارى من حيث براعته فى اقامة المآدب وتنسيق الحفلات والرحلات . يضاف الى كل ماتقدم تجرده المطلق من الخلق والضمير .. كان يرى فى العفة والفضيلة صفتين لا تليقان برجل أو امرأة ، ولا بفتى أو فتاة ! وكان سريع الخاطر ، بارع النكتة ، يجيد التقليد كالقرود .. لايؤمن بالله ولا بالشيطان .. يستشعر سعادة لا تعدلها سعادة فى الحياة الصاخبة الماجنة الخليعة ، وفى الضحك والكذب وتحطيم كل القيم الانسانية الرفيعة التى تحيط بالجو الذى يتنفس فيه !

ماذا صنع « بورديلو » المشعوذ بالسويد ؟!

◆ أراد ذلك الماجن الخليع أن يبدأ أولى تجاربه مع الملكة نفسها ٠٠ فأدخل فى روعها أنه الوحيد القادر على شفائها من الامراض التى كانت تشكو منها ، والتى أعيا شفاؤها نطس أطباء السويد ! ولم تكن « كريستين » فى الواقع مريضة بأى مرض خطير ، وانما كانت مصابة بارهاق عصبى شديد من كثرة العمل والاجهاد ٠٠ وكانت تنتابها حمى مفاجئة ، كما كانت تصاب بنزيف دموى ! وحار جهابذة الطب فى السويد فى تشخيص وعلاج تلك الاعراض ٠٠ ولم يكن « بورديلو » بأوفر منهم حظا ولا أغزر منهم علما ٠ ٠ولكنه كان يمتاز عنهم بالقدرة على الايهام والشعوذة ٠٠ ولما كان سريع الخاطر قوى الملاحظة فقد كان يسيرا عليه أن يرجع أمراض الملكة الى العمل المرهق فى ادارة دفة المملكة من ناحية ، وفى الدرس والتحصيل من ناحية أخرى ٠٠ وفى الحقيقة ان تلك المجهودات كانت فوق طاقة كريستين العقلية والجسمية معا ٠٠

ترى كيف عالجها «بورديلو» الدجال ؟! ٠٠ لقد نصح لها بالكف عن أى مجهود على الاطلاق ٠٠ واذا بها تنصاع له وتصغى اليه ٠٠ ومازال بها حتى أفلح فى أن يحولها من طريق الجد الى طريق الهزل ، ومن طريق العلم الى طريق الجهل ! ومن الحياة الصارمة التى تحياها الى المجون واللهو والعبث ، فان هذا هو السبيل الوحيد للترفيه عن أعصابها المكدودة ، واراحة بدنها المجهد ، وعقلها المرهق بالدرس والتحصيل !

ونزلت نصائح «بورديلو» على قلب الملكة بردا وسلاما ٠٠ وأصاخت اليها السمع ٠٠ فأغلقت المكتبة ، وقاعة الدرس ٠٠ وألغت جميع المقابلات ، حتى لم يعد يراها أحد من كبار رجال الدولة ٠٠ وأخذت تهرب من رياسة اجتماعات مجلس الوزراء ، ومن رعاية الهيئات العلمية والسياسية ٠٠ واستعاضت عن كل ذلك بالرحلات حينا ، والحفلات الصاخبة حينا آخر ، والتهريج واللهو والعبث فى جميع صوره حينا ثالثا !

وكأنما أراد لها الشيطان المسخ فى كل نواحيها ، فاذا بها تصب جام غضبها على أفذاذ العلماء الذين بذلت فى استقدامهم الى السويد النفس والنفيس ٠٠ واذا بها تأمرهم بالحضور الى تلك المساخر أمام الناس أجمعين لتهزأ بهم ٠٠ فترغم أحدهم على الغناء على ملأ من الحاضرين لتضحك منه وهو ينشز فى غنائه ، وتكره الثانى على العزف على الكمان وهو لا يعرف كيف يمسك بها ٠٠ فاذا ارتج عليه الامر استغرقت مع مدعويها الماجنين فى القهقهة والصياح ٠٠ فترتاح بذلك أعصابها المكدودة وبدنها المجهد من كثرة العمل والسهر والدرس والتحصيل !



وربما كان فى وسع أهل السويد احتمال تلك المساخر التى هوت الملكة الى حضيضها بتصرفاتها الخليعة الماجنة ، ولكن « كريستين » أبت الا أن تضيف الى أعمالها الفاضحة ما أثار ثائرةالسويد وأحفظ سكانها أجمعين حتى لم يعودوا يطيقون على تصرفات الملكة صبرا : الا وهو عبث « كريستين » بالدين عموما ، وبالمذهب البروتستانتى على الخصوص ٠٠ ورفضها فكرة الزواج ، بعنف ، كلما فاتحها فى ذلك كبار المشرفين على شئون الدولة !

هنا نفد صبر السويد ولم يعد الى السكوت من سبيل ٠٠ واضطرت الملكة أمام غليان مرجل الرأى العام الى طرد « بورديلو » ٠ ٠ ولعلها فعلت ذلك ابقاء **على حياته ، فقد أطلق الرصاص عليه عدة مرات ، لكنه نجا فيها جميعا من الاغتيال !**

تهدد بالنزول عن العرش تهربا من الزواج !

◆ **لكن** كريستين كانت قد استمرأت الخلاعة والمساخر واللهو فلم تعد تطيق العودة الى حياتها الاولى ، حياة الجد والكرامة والعلم !

واشتد عليها ضغط رجالات السويد المسئولين لكى تتزوج ، فهددت بالتنازل عن العرش اذا أصروا على رأيهم ٠٠ فنزلوا عنه !

ومع ذلك فقد انهال عليها طلاب يدها من جميع أصقاع العالم : فمن ملك أسبانيا ، الى ملك البرتغال ، الى ولى عهد النمسا الشاب ٠٠ وبالرغم من سوء سلوكها وشائن تصرفاتها ، ظل اسم أبيها «جوستاف أدولف» يضفى عليها وقارا واحتراما واجلالا فى جميع أنحاء العالم ٠٠

أما أهل السويد فكانوا يفضلون على كل هؤلاء «شارل جوستاف» ابن عمها ٠٠ وعندئذ اقترحت كريستين أن تتنازل لابن عمها عن العرش مفضلة ذلك على الزواج منه ، ومن غيره على السواء !

لماذا كل ذلك الفزع من الزواج ؟! انه سر مغلق لم يستطع أحد من المؤرخين النفاذ اليه واماطة اللثام عنه ٠٠

والآن : هل كانت كريستين جميلة أم قبيحة ؟

لعل أصدق جواب عن هذا السؤال هو أنها كانت جميلة وقبيحة معا ! وقد سجلت الممثلة العالمية « جريتا جاربو » أسطورة جمال ملكة السويد على الشاشة فى روايتها الخالدة «الملكة كريستين» ٠٠ وحرصت ملكة السينما على أن تظهرها لنا فى صورة شيطان من شياطين الشهوات ! الا أن أصدق من وصفها كان «الفريد نيومن» الذى قال : « **لقد كانت كريستين الفتنة والاغراء مجتمعين ٠٠ وان صورتها لتنطبع على صفحات القلوب والعقول فلا يستطيع الزمان لها محوا** ٠٠ وكريستين كما أظهرتها «جريتا جاربو» أكثر من قصة ، فهى تارة ملكة وتارة أسطورة من الاساطير ٠٠ ولكن كريستين التى سجلها التاريخ ، أى المرأة ذات الكتفين المشوهتين ، والصدر المسطح الذى لا أثر فيه لأنوثة ، والوجه المجرد من سمات الجمال ، والصوت الخشن الاجش القريب الى أصوات الرجال٠٠كريستين الحقيقية تلك لاتشبه «جريتا جاربو» فى قليل أوكثير ٠٠ **ذلك ان الاولى كانت امرأة تعسة ، عاشت مترنحة بين الحوادث، تتقاذفها تيارات الحياة الخارجية حينا ، وعواصف الحياة الداخلية حينا آخر٠٠وكانت من الذكاء ونفاذ البصيرة بحيث أدركت حقيقة نفسها ٠٠ فكرهت نفسها !** ولم يكن ما يبدو عليها من ثقة واعتداد بنفسها ناشئا عن صفتها كامرأة ، بل كملكة ٠٠ ومن هنا كانت الانانية ، الممتزجة بالغطرسة والصلف ، من أبرز صفاتها ! »

٠٠ لم تكن كريستين اذن جميلة ولا قبيحة ٠٠ لكنها كانت ذات شخصية جبارة لا تقع عليها عين أحد الا انطبعت صورتها فى مخيلته الى الابد !٠٠ وكانت نظرات عينيها أشبه بأشعة من نار تفعل فيمن تسلطها عليه فعل السحر ! علاوة على ما امتازت به فى تصرفاتها من غرابة ، وطرافة ، وذكاء ، وشذوذ محبب يجذب اليها الانظار والقلوب على السواء !

وكانت غرامياتها ومغامراتها كثيرة : فهى تعشق سفير اسبانيا « دون انطونيو بيمانتل » الذى كان « دون جوان » عصره !٠٠ ثم تتركه لتشغف حبا فى روما بالكاردينال الشاب « أزولينو » !٠٠ ولكن الشك كان ينغص عليها كل غرامياتها ، فلم تطمئن الى رجل قط ! ــ حتى لقد عزيت اليها حوادث كانت أقرب الى « التشهير » منها الى الحقائق التاريخية ! ــ على أن الحقيقية التى لا مراء فيها هى أنه بعد انقضاء ثلاثمائة عام ، ماتزال شخصية الملكة كريستين « مشكلة » غامضة ، ولغزا استعصى على كل حل !

٣ ــ تنزل عن العرش ٠٠ باختيارها!

◆ **شهد** التاريخ ــ وسيشهد ــ عدة ملوك يرغمون على النزول عن عروشهم ٠ فكم من عروش قوضها الطغيان ، بعد أن كانت قوية

الدعائم ثابتة البنيان ٠٠ لكن التاريخ لم يشهد ـ أو قلما شهد ـ ملكا ينزل عن عرشه رغم تعلق شعبه وجيشه به ، وينزع التاج عن رأسه بيديه ، دون أن يكون مكرها على ذلك ، بأية وسيلة من وسائل الاكراه !

لكن ذلك ما أقدمت عليه « كريستين » ملكة السويد !٠٠ فالبرغم مما أسلفناه عن حياتها الخاصة المعيبة ، فقد ظل شعب السويد يحبها حبا جما ، ويرى فيها صورة لعاهله العظيم الخالد « جوستاف أدولف » ٠٠ ولم يكن هناك سبب واحد يرغمها على التخلى عن سلطانها ، بل كانت هناك أسباب لا حصر لها ترغمها على الابقاء عليه وعدم التفريط فيه ! ٠٠ ومع ذلك فقد أصرت على النزول عن عرشها ، فى عناد لم تثنه النصائح ولا التوسلات !٠٠ كانت تريد ان تزيح من على كاهلها تلك التبعات الثقيلة ، لتصبح طليقة من قيود الملك ، ومن «الاغلال» التى كثيرا مايرسف فيها الملوك !

ولقد حار المؤرخون فى تحرى الاسباب الحقيقية لاصرار « كريستين » ذاك ، وفى الوقوف على السبب المباشر الذى دفعها الى ترك شعب تحبه ويحبها : فاذا كان ذلك راجعا الى زهدها فى مظاهر الملك والسلطان ، فان هذا ليدعو الى العجب حقا ، لانها كانت من صغر السن ـ اذ كانت حينذاك فى الثامنة والعشرين من عمرها ـ بحيث تستهويها أبهة الملك ولا بد ٠ أم تراها برمت بجو السويد البارد ، القاتم ، الغائم ، وحنت الى شمس بلاد الجنوب الدافئة ؟٠٠ أو أن اشتداد الضغط عليها لتتزوج ـ وهى التى كانت تقشعر من فكرة الزواج ـ كان عاملا من تلك العوامل التى أغرتها على التخلى عن قيود الملك ، والسعى الى ممارسة حياة جديدة حرة لا يعوقها عن نزواتها اى عائق ؟

٠٠ مهما يكن من شىء ، فقد اتفق المؤرخون على باعث واحد على الاقل من تلك البواعث التى دفعت كريستين الى ترك عرشها ، وهو اعتقادها فى قرارة نفسها بأن نزولها عن عرش السويد ، انما كان لمصلحة السويد وشعبها !٠٠ وليس هذا بغريب على ابنة « جوستاف أدولف » ، وتلميذة الفيلسوف العظيم « ديكارت » ! ولعل تأثير ديكارت العميق فى نفسيتها وعقليتها جعلها تنظر الى أحداث الحياة نظرة فلسفية عميقة ، تختلف عن النظرة السطحية للافراد العاديين من الناس ٠٠ فلقد كانت تتحرق شوقاللقيام بأعمال جسيمة تثير اعجاب التاريخ٠ ولذا يبدو من التناقض العجيب ان تستشعر تلك الرغبة العظيمة ، وتنزل فى الوقت نفسه عن العرش الذى هو سبيلها الوحيد الى تحقيق تلك الاعمال !

كيف تم النزول عن العرش ؟

◆ فى الحادى عشر من شهر فبراير سنة ١٦٥٤ ، تقدمت « كريستين » الى الحكومة بطلب نزولها عن العرش لابن عمها الامير « شارل جوستاف » ، فاجتمع على الفور حكام المقاطعات وممثلوها من الشعب فى مدينة (ايسال)

القديمة ، للنظر فى طلب الملكة العجيب ! وأمام هذا الحشد الزاخر من افراد الشعب والساسة ، تولت كريستين بسط الامر بنفسها فى جرأة نادرة ٠٠ فكان الرد ان توسل الجميع اليها كى تظل محتفظة بعرشها ، وتقلع عن تلك الفكرة البغيضة اليهم ٠ وكان مندوب الفلاحين ، فى سذاجته وبساطة تعبيراته ، وخلوها من أى تنميق أو تزويق ، أبلغ الخطباء جميعا ، اذ وقف يوجه الكلام الى الملكة قائلا :

« بحق السماء عليك يا آنسة ٠٠ ماذا أنت فاعلة ؟ لقد آلمنا جميعا أن نعلم انك تريدين تركنا ، نحن الذين نحبك بقوة واخلاص ٠ ترى ، هل تستطيعين أن تكونى أسعد حالا فى المستقبل مما انت الآن ؟٠٠ انك ملكة متوجة على كل هذه البلاد ، فاذا تخليت عن هذا الملك العريض المترامى الاطراف ، فأين يمكنك أن تجدى مثيلا له فى العالم ؟!٠ اسك اذا نفذت فكرتك هذه - ونرجو أن لاتنفذيها - فاننا سنكون آسفين للغية ٠ وأنت أيضا ستندمين على فعلتك ، ولكن بعد فوات الوقت !٠٠ ولهم الاسباب فاننى وسائر اخوانى ، نلحف عليك فى الرجاء كى تتريثى ولا تنزلى عن العرش ، فانك بهذا تحافظين على شرفك وعلى سلامتنا فى وقت واحد ٠ أما اذا أصررت على فكرتك ، فانك ستعرضيننا جميعا لخطر محدق ٠٠ استمرى يا آنسة فى طريقك ، بالشجاعة التى عرفناها فيك ، وكونى ملاذا لهذا الشعب مدى الحياة ٠ أما نحن ، فاننا من جانبنا سنبذل قصارى جهدنا لمعاونتك على تحمل اعبائك الجسيمة ٠٠ لقد كان أبوك رجلا باسلا وملكا محبا لشعبه ٠ ولقد طاف بالعالم كله محاربا ، مقاتلا ، فى سبيل رفعة شأن السويد ٠ وقد أطعناه وأحببناه طول حياته ٠ وانت ابنته ٠ واننا لنقرر هنا أنك قد حكمت هذه البلاد بصدق وأمانة واخلاص ٠ ونحن نحبك من أجل ذلك من صميم قلوبنا ، ولن ندعك تتركيننا ٠٠ فأرجوك يا آنسة أن لا تتخلى عنا مادمت على قيد الحياة ! »

وعندما انتهى مندوب الفلاحين من خطابه البسيط البليغ ، تقدم من الملكة وشد على يدها بقوة ، ثم انحنى على تلك اليد فقبلها ٠ وما أن أدار ظهره لينصرف حتى غلب عليه التأثر ، فأخرج من جيبه منديله الكبير ، الذى لم يعن بازالة قذارته فى تلك المناسبة ، وأخذ يسعل بشدة ويتمخط فيه !

كيف لم يمس كلام ذلك الفلاح ومنظره وبراءته قلب « كريستين » ؟٠ وكيف لم تهتز أوتار ذلك القلب عند سماع تلك العبارات الصادرة من الاعماق ، والتى تذيب الجليد ؟!٠٠ لم يبد على الملكة انها تأثرت بما رأت وسمعت ٠ فقد كان الاصرار على تنفيذ فكرتها متغلبا عليها ٠ **ولكن اذا كانت أذناها قد أصيبتا بالصمم فلم تعودا تسمعان صوت العاطفة ، فان صوت العقل المجرد**

كان يجب أن يثنيها عن عزمها - اذا كانت حقا تحب أمتها وشعبها - لان ابن عمها « شارل جوستاف » الذى اختارته ليخلفها على عرش السويد ، لم يكن أصلح منها لتحمل تلك الاعباء الجسام ، بل كان على النقيض ، أشد منها ميلا للحروب وأعنف طموحا ونزقا !.. وعقلها ، مع ماكان يعتوره أحيانا من هزات ، كان أسلم من عقل خلفها شارل ، الذى كان أشبه بطاحونة الهواء !

وقد طلبت « كريستين » أن تمنح معاشا سنويا قدره خمسون ألف دولار ، فأجيبت الى طلبها بالطبع . ولكن مما يدعو الى الاسف ان ذلك المعاش لم يصرف لها بانتظام ، بعد مغادرتها السويد ، الامر الذى اضطرها ، بدافع الحاجة ، الى ممالأة أعداء بلادها فى الحرب ، فيما بعد !

تعفو عن المحكوم عليهم بالاعدام !

◆ وتم نزول «كريستين» عن عرش أبيها فى السادس عشر من شهر يونية عام ١٦٥٤ ، وتم على أثر ذلك تنصيب « شارل أدولف » ملكا على عرش السويد. وارتدت « كريستين » يومئذ - للمرة الاخيرة - المعطف الملكى المصنوع من المخمل الازرق ، وأمسكت الصولجان بيمينها ، بينما وضعت التاج على رأسها. وسارت يحف بها كبار رجال الدولة ، الى قاعة الاجتماعات الفسيحة بالقصر ، حيث كان حكام الولايات ورجال البلاط والسفراء الاجانب مجتمعين .وجلست على كرسى العرش ، وجلس الى يمينها ولى العهد الذى سينادى به ملكا . ولما تمت تلاوة كتاب التنازل ، تقدم منها الاشراف ، واحدا واحدا ، وأخذ كل منهم يجردها من وسام من أوسمة الملك التى كانت تتحلى بها !.. الى أن جاء دور رئيس الوزراء ، وكان عليه أن يرفع التاج من على رأسها ، فاذا به يأبى ، فى اصرار ، أن يمد يده الى رأس الملكة ، فما كان من « كريستين » الا أن نزعت تاجها بيديها ، ووضعته أمامها ! .. واذا بها تبدو آخر الامر فى ثوب أبيض غاية فى البساطة ، وتأخذ فى القاء تحية الوداع على الحاضرين . وتدفقت العبارات المؤثرة على لسانها ، وهى توجه الى خلفها نصائحها وارشاداتها ، والى شعب السويد تمنياتها ودعواتها ، فكانت فى ذلك الموقف ملكة عظيمة ، وانسانة عظيمة !

وكان آخر عمل قامت به « كريستين » قبل نزولها عن العرش ، أنها أصدرت عفوا عن جميع المحكوم عليهم بالاعدام - وكان عددهم فى ذلك الوقت كبيرا ! - وبذلك أطلقت أرواحا حبيسة فى أجساد ملقاة فى غياهب السجون، كجذوع نخل خاوية ، توشك يد الجلاد أن تزهقها !

وهكذا أصبحت « كريستين » امرأة عادية .. هذا اذا كانت قد استطاعت أن تكون « امرأة » فى يوم من الايام .. وكان أول عمل قامت به بعد تحررها

من قيود العرش ، أنها ألغت مشروع رحلتها من السويد عن طريق البحر ، مفضلة الرحيل بطريق البر ، عبر الدانمرك ، وقد ارتدت ملابس الرجال ، وأخذت معها عددا من الجياد الاصيلة !

٠٠ غادرت « كريستين » السويد ، لتفتتح الحلقة الاولى من سلسلة حلقات الملوك المغامرين المشردين ، الذين يجوبون الارض سعيا وراء نزواتهم، بعد أن زال عنهم السلطان ، وهوت من فوق رؤوسهم التيجان !

٤ ــ الملكة الشريدة !

◆ **ماذا** كان مصير تلك المرأة القلقة التى ستشغل ، بالرغم من نزولها عن عرش بلادها ، مكانا مرموقا فى العالم أجمع ؟٠٠ لقد كان لها ميراث مجيد من اسم أبيها « جوستاف أدولف » العظيم ٠٠ وكانت لها سمعة طبقت الآفاق، كامرأة واسعة الثقافة والالمام بالفنون والآداب ، فكان هذا الميراث وتلك السمعة كفيلين بأن يفتحا فى وجهها أبواب جميع الممالك على مصاريعها فتستقبل فيها بالاجلال والترحيب ، فى الوقت الذى لم يعد هناك ما يحول بينها وبين الاستمتاع بحريتها كاملة !٠٠ **وسوف نرى ان ميلها الى اللهو والعبث ، من ناحية ، ورغبتها الجامحة فى احاطة نفسها بالضجيج واللغط من ناحية أخرى ، ستعاودها من جديد فتحرمها لذة الهدوء والاستقرار والسلام ، وتجعلها نهبا موزعا بين حركة دائبة لا تفتر ، ومساخر ومجون تستمر ثلاثين عاما كاملة !**

ولم يكن نهم « كريستين » للمال بأقل من نهمها للهو والشراب والخلاعة ، فحرصت قبل أن تغادر بلادها على أن تستولى على جميع التحف واللوحات الفنية النادرة ، والاوانى الذهبية ، والجواهر التى ترصع التاج ٠٠ تلك الكنوز التى دفع ثمنها من عرق الفلاح السويدى ، وكان مآلها بعد ذلك الى حوانيت المرابين فى بلدان أوربا ، حين وقعت الملكة السابقة فريسة للفقر والحاجة ، من فرط اسرافها وبذخها !

وقد كانت اقامتها فى (بروكسل) سلسلة من المخازى والفضائح ، أما فى (اينزبروك) ، فقد كان لاقامتها دوى مثير فى جميع أنحاء العالم ٠ ففى تلك المدينة ، أعلنت رسميا ارتدادها عن المذهب « البروتستنتى » واعتناقها المذهب الكاثوليكى ! وأغلب الظن انها لم تفعل ذلك عن عقيدة ، وانما لامر لم يعد أن يكون مسرحية من تلك المسرحيات التى أرادت أن تجذب بها أنظار العالم !٠٠ وهى تكاد تفصح عن البواعث الحقيقية لارتدادها عن مذهب شعبها ، اذ كتبت تقول : « ان الانسان يظل طفلا مدى حياته ٠٠ فهو

شديد الاهتمام بالابتكار فى أساليب لهوه ووسائل التسرية عن نفسه ، وفى تغيير « العرائس » التى يلهو بها ! »

روما تستقبل « الكاثوليكية » بحرارة

◆ **وما أن** أعلن فى العالم نبأ اعتناق كريستين الكثلكة ،حتى سافرت الى ايطاليا، فكان من الطبيعى أن تستقبل فيها استقبال الفاتحين ! ولكن شاء سوء حظها أن تلتقى فى مدينة (بيزارو) باثنين من الافاقين العالميين ، هما : «سانتينللى» والمركيز «مونا لاسكو» ٠ وقد كانا من النبلاء ثم فقدا ثروتهما ، فاحترفا النصب ليظلا محتفظين بمظاهر الترف والأبهة ! ورغم أن كريستين وطدت علاقتها بهذين الدجالين ، واستصحبتهما فى جولاتها ، الا أنهما استغلا مركزها أسوأ استغلال ٠٠ ولم يتورعا عن سرقتها وفرض « سمسرة رسمية » على كل ماتشتريه ، وجرا عليها وبالا كثيرا !٠٠ **ولكن ، ليس صحيحا ماأشيع من انهما كانا عشيقين لكريستين ، بل ان «بيمانتل» سفير اسبانيا ،والكردينال « أزو لينو » ـ وقد كانا أقرب اثنين اليها ـ لم يكونا ينظران الى هذين المحتالين أكثر من نظرتهما الى خادمين !**

وأخيرا ، وصلت « كريستين » الى روما ، فاستقبلتها عاصمة الرومان استقبالا شعبيا ورسميا لا مثيل له فى الروعة ! فقد امتطت صهوة جواد أبيض ، ودخلت روما بين اثنين من الكرادلة ، يحيط بثلاثتهم صفان من الحرس السويسرى ٠ وسار موكبها الى كنيسة القديس بطرس ، حيث كان البابا « الكسندر الثانى عشر » فى استقبالها ، فحياها تحية حارة ، **مؤكدا لها « ان الاعياد التى تقيمها السماء فرحا باعتناقها الكاثوليكية ، لأروع من أية احتفالات تقام لها على هذه الارض ! »**

وأقامت « كريستين » فى قصر « فارنس » بروما ، الذى أصبح بفضلها محور الحياة الزاخرة وكعبة الساسة والعلماء والأدباء القادمين من كل حدب وصوب ٠ **ولكن هذه الحياة الوقورة المحتشمة لم تكن لتتفق مع ميول الملكة السابقة ، فما لبثت طبيعتها الخبيثة أن تمردت عليها ، وعاودتها شهواتها الجامحة الشائنة ، فاذا بالبابا الذى كان يعتمد عليها فى الدعاية الدينية ، يبدى اشمئزازه من استهتارها بكل القيم وخروجها على التقاليد ! وقد كان « أزولينو » على رأس الكرادلة الذين عينهم البابا لمرافقتها ، فأمره البابا بأن يحاول رد تلك الماجنة الى صوابها ، وارشادها الى طريق الفضيلة ٠ ولكن « ازولينو » لم يكن ليعنيه سلوك « كريستين » الخاص ، بقدر ما كان يتحين الفرص لاستخدامها فى تحقيق مطامعه السياسية التى كانت تتركز فى استقلال كنيسة روما عن اسبانيا وفرنسا ٠ فمازال بها ، حتى أفلح فى الايقاع بينها**

وبين « بيمانتل » سفير اسبانيا وأقرب المقربين اليها ، كخطوة أولى فى سبيل تحقيق تلك المطامع !

وظلت « كريستين » مصدر قلق لايطاليا التى فتحت لها ذراعيها ، واستقبلتها بقرع الاجراس ، حتى أفلح البابا فى التخلص منها وابعادها عن ايطاليا . وقد توصل البابا الى غرضه ، عن طريق اقناعها بأن فرنسا كلها تتحرق شوقا اليها ، وان ضفاف « السين » تنتظر مقدمها بفارغ الصبر !

.. ومالبثت الملكة السابقة ان غادرت ايطاليا الى فرنسا ..

الرحلة الى فرنسا ..

◆ **غادرت** « كريستين » روما الى باريس ، يرافقها ذلك « السيرك » المتنقل الذى يضم حاشيتها ، بعد أن أضحى العنصر الايطالى غالبا على العنصر السويدى فيها . وفى مدينة ليون ، كان « الدوق دى جيز » فى استقبالها موفدا من قبل « مازاران » . ولنترك « الدوق دى جيز » يصف « كريستين » والتأثير الذى أحدثه فى نفسه أول لقاء بينهما : « **انها ليست طويلة القامة وان كانت ذات جسم ممتلىء ملفوف ، وذراعين جميلتين ، ويدين ناعمتين ناصعتى البياض .. ولكنها رجل أكثر منها امرأة ! تعلو احدى كتفيها عن الاخرى ، الا انها تعمد الى اخفاء هذا التشويه بوسائل خاصة تصطنعها فى ملابسها ، ومشيتها ، وحركاتها وايماءاتها التى تشبه الى حد كبير ايماءات المغامرات الأفاقات وحركاتهن !** »

ويمضى الدوق فى وصف وجهها وأنفها وعينيها الجميلتين ، وغرابة الشعر الصناعى الذى تكسو به رأسها ، ثم يقول :

« **.. وهى تحرص أشد الحرص على طلاء وجهها بالمساحيق والمراهم الثقيلة .. وقل ان تضع يديها فى القفاز .. أما أحذيتها فتشبه أحذية الرجال ، ولا غرابة فى ذلك ، ففى صوتها الاجش ما يقربها الى الرجال . وهى تحاول جاهدة أن تظهر بمظهر المرأة المغامرة المسترجلة ! يبدو عليها النبل والعراقة ، وتجيد الكلام بثمانى لغات ، منها الفرنسية التى تتحدث بها كما لو كانت قد ولدت فى فرنسا !.. بل انها ملمة بنواحى العلوم والفنون والآداب الماما يفوق المام أعضاء « الاكاديمية الفرنسية » وأساتذة جامعة « السوربون » مجتمعين ! . ان كريستين امرأة غريبة الاطوار ، وليست بمخلوقة عادية على الاطلاق !** »

وكان « الدوق دى جيز » مكلفا بمرافقتها الى (كومبيين) حيث كان الملك لويس الرابع عشر فى انتظارها . ورأت أن تشرف الدوق بزيارتها ، وهى فى طريقها الى مقابلة الملك . ورحب الدوق بهذه الزيارة ، وبالغ فى الحفاوة بها ، فاستصحبها الى مسرح « الكوميدى فرانسيز »

وفى مسرح « الكوميدى فرانسيز » ، سقط القناع عن وجه « كريستين » ، الملكة السابقة التى كانت ، منذ وصولها الى فرنسا ، تتصنع آداب الملوك ووقارهم • وبدت « كريستين » الحقيقية بدون أصباغ ولا مساحيق •• « كريستين » الماجنة ، الخليعة ، المستهترة ، التى لا تخجل من اتيان أى فعل فاضح على الملأ !

امرأة غريبة الاطوار !

◆ ولنقرأ ما كتبته المدموازيل « دى مونبنسييه » ، احدى مرافقاتها ، وهى تصف تلك المخلوقة العجيبة : « •• انها كانت تذكر اسم الله بدون مناسبة ، مقترنا بعبارات السخرية والهزؤ ، وتتمطى فى مقعدها ملقية باحدى قدميها فى جانب وبالاخرى فى جانب آخر ، ولا تخجل من أن تتخذ فى جلستها أوضاعا فاضحة لم أر لها نظيرا الا على المسارح التى يقوم فيها الممثلون الهزليون بتمثيل المساخر المبتذلة ، بينما تردد اشعارا وقصائد ماجنة ، وتتحدث فى مواضيع شتى • ولكننى أشهد بأن حديثها كان على الدوام ممتعا ، شائقا ، طليا • وكان الخيال يجمح بها احيانا ، فترى وهى حالمة ، محلقة فى آفاق بعيدة ، بينما تنبعث من صدرها ، بين حين وآخر ، زفرات عميقة •• ثم لاتلبث أن تعود الى وعيها ، كشخص يستيقظ منتفضا مذعورا من سبات عميق !•• ان كريستين امرأة غريبة الاطوار وليست بمخلوقة عادية على الاطلاق !»

« امرأة غريبة الاطوار وليست بمخلوقة عادية على الاطلاق ! » •• أو ليس هو الوصف عينه الذى أطلقه عليها « الدوق دى جيز » ؟!

وكتبت « مدام دى موتفيل » التى حضرت استقبال الملك لويس الرابع عشر لكريستين فى (كومبين) تصفها فقالت : « كان الشعر الصناعى الذى غطت به رأسها فى ذلك اليوم مجعدا ، يدفع الهواء ببعض خصلاته الى أعلى ثم يعود فينثرها الى أسفل • وكان غريبا ان تهمل ملكة السويد السابقة زينتها فى تلك المناسبة ، فبدت بشرتها داكنة ، لا أثر فيها لذلك البياض الذى جذب أنظار الناس •• كانت أشبه بامرأة شرقية مستهترة ، ذات بشرة شديدة السمرة ! ان كل ما ظهر لى منها ، وأنا أتطلع الى وجهها فى تلك اللحظة ، كان غريبا وغير مألوف ، بل وباعثا على الاشمئزاز أكثر منه على الاعجاب ! »

ولكن « مدام دى موتفيل » خففت من حملتها على « كريستين » ، بعد بضعة أيام قضتها فى صحبتها • فكتبت بعد ذلك تصفها بقولها : « انه لمن دواعى دهشتى أن ألاحظ أن « كريستين » بدأت تنال اعجابى !•• فهى تأتى فى كل لحظة من الافعال مايغير مشاعرى الاولى نحوها • وهى تبدو لى الآن أطول قامة مما بدت لى حين قابلتها للمرة الاولى ! كما أنها ليست حدباء ولا مقوسة

الظهر ، بالصورة التى ذاعت عنها . أما يداها اللتان بولغ فى وصف جمالهما، فان عظامهما الناتئة لا تترك فيهما أى أثر للجمال على الاطلاق ! »

« محللة » لنفسيات العظماء !

◆ **وبعد** أن استقر المقام بالضيفة العظيمة فى فرنسا ، استأنفت اتصالها بالكردينال « ازولينو » فى روما . وكانت رسائلها اليه تدل على بصيرة ثاقبة ، ودراية واسعة بخفايا السياسة الاوربية ، التى كانت تتبعها فى يقظة بالغة وتقدير متزن للأحداث والرجال ..

وتتبين تلك الحقيقة من وصفها لمازاران ، السياسى الفرنسى الكبير ، الذى ملأت الشائعات أجواء العالم عن علاقته الآثمة بالملكة الوالدة « آن النمسوية »! .. فقد كتبت كريستين تقول ، بوحى من ثقتها فى سياسته وتأييدها له : **« تأكدوا ان الصداقة التى تربط هذين الشخصين ليست آثمة ، بل هى فوق مستوى جميع الشبهات . واننى لاقسم بجميع المقدسات التى فى الدنيا ، على أن مايقال غير ذلك ، ان هو الا تقولات ألسنة السوء التى تأبى الا أن تخدش سمعة الوالدة ، بالولوغ فى سيرتها الى هذا الحد القبيح .. ان «مازاران» رجل شديد الحذر ، مستقيم ، كيس ، يريد ان يظهر أما م الناس محترفا مهنة الرجل الشريف ، فى الوقت الذى يأتى فيه من الاعمال مالا يتفق والشرف !.. وهو معتدل فى جميع مشاعره ، فلا يدعها تجمح به .. والواقع انه رجل منعدم الاحاسيس والمشاعر ، فيما عدا احساسا واحدا وشعورا واحدا يستبد به ويستحوذ عليه ، وهو الطموح !.. فهو يسخر جميع القوى وجميع الناس ، ليحقق مايصبو اليه من بسط سلطانه . وبهذا المعيار يحب ويكره ، وبه أيضا يختبر عمق المشاعر الانسانية ! »**

« ومازاران رجل واسع الأفق ، سليم التفكير ، يستحق ان يتبوأ أعظم المناصب .. ماكر ، ولكن لا التواء فيه ، سهل غير معقد .. ملم بالاحداث العالمية الماما خارقا ، ليس له حدود ! .. دؤوب لا يتعب من العمل .. وهو لايدخر وسعا فى المحافظة على مكانته السياسية ونفوذه !.. ان «مازاران» يختلف عن « ريشيليو » اختلافا كبيرا ، ولكنه رغم ذلك رجل يجيد فن الحكم اجادة تامة ! »

أوليس هذا ذكاء خارقا ، ان تتمكن امرأة عابرة فى فرنسا ، من ابداء رأيها فى أمر دقيق وعويص كهذا الامر ، بمثل هذه البصيرة النافذة والرجاحة فى التفكير **والتقدير ؟!**

أما الملك لويس الرابع عشر ، فهو فى رأيها « فتى يافع جميل ، خلق للحب أكثر مما خلق للحكم !»

« ملكة السويد » تتدخل فى شئون فرنسا !

◆ **ولكن** ، مابال « كريستين » تدس أنفها فى أدق الشئون الداخليةلفرنسا، بعد أن استضافتها وأكرمت وفادتها ؟! لقد كان الملك لويس الرابع عشر مغرما فى تلك الفترة بـ « مارى مانشينى » ، ولم يكن هذا الغرام حائزا لرضاء الملكة الوالدة ورجال الحكم والبلاط ، **فاذا بضيفة فرنسا الكبيرة تحرض الملك على الزواج من تلك الفتاة ! وقد كان طبيعيا ان يحدث هذا التدخل - أو هذا « التطفل » ! - رد فعل فى الاوساط السياسية ، فاذا بالحرارة التى استقبلت بها ملكة السويد السابقة تتلاشى ، واذا بالمسئولين فى فرنسا يوعزون اليها ، بعد أن ارتكبت تلك الغلطة الكبرى ، بأن اقامتها على ضفاف « السين » قد طالت .. أكثر مما ينبغى !**

وغادرت « كريستين » فرنسا ، غير مأسوف عليها !.. فالى أين تذهب تلك الملكة الشريدة ، العربيدة ، الطريدة ؟

كان أول ما فكرت فيه ، هو العودة الى روما . ولكن روما كانت منكوبة فى ذلك الوقت بوباء الطاعون ، فآثرت « كريستين » قضاء فصل الشتاء فى مدينة « بيزارو » مع حاشيتها المكونة من شرذمة من الرعاع والاوباش والمحتالين ، الذين انتقتهم من أقذر الاوساط الايطالية ، وعلى رأسهم الافاقان الشهيران : « سانتنيللى » و « مونالدسكو » **وقد فطن صديقها الكردينال « ازولينو » الى خطورة تلك الحاشية الملوثة ، فبعث اليها بعدة رسائل يحذرها فيها من تلك العصابة .. لكنها أصمت أذنيها عن النصيحة ، بل تمادت فأضافت الى الحاشية امرأتين عجوزين قبيحتين من الطراز نفسه ، هما : « دونا باربارا رانجونى » و « مدام أورسينى » فزادت بذلك حاشيتها تشويها على تشويه . وكأنما قد تعمدت اختيار هاتين المرأتين الشائهتين ، لتبدو مليحة بالنسبة الى ذلك القبح المخيف الذى نسج خيوطه الكثيفة على وجهيهما الكالحين !**

وماكاد الشتاء ينقضى حتى غادرت « بيزارو » عائدة الى فرنسا ، متطفلة غير مدعوة من أحد ولا مرغوبا فيها من أحد ! وطلب اليها مازاران أن تقيم فى قصر « فونتنبلو » . **وفى ذلك القصر ، ارتكبت جريمتها المنكرة ، التى روعت فرنسا ، واهتز لها العالم كله اهتزازا عنيفا !**

٥ - الجريمة المروعة !

◆ **وتفصيل** الامر أنها اكتشفت وهى فى قصر « فونتنبلو » حقيقة المحتال « مونالدسكو » أحد أفراد حاشيتها الملوثة ، ومايرتكبه ضدها من خيانات

وسرقات ٠٠ ولو فكرت يومئذ فى زجره وعمدت الى تأديبه على سوء صنيعه ، لما كان فى ذلك ما يعاب عليها ، فعقاب المذنب أمر تقره جميع القوانين السماوية والارضية ، كما أنه تصرف مألوف ٠٠ أما أن تصر كريستين على « اعدام » الرجل ، وبأبشع الاساليب ، فتلك شريعة الغاب لا شريعة الانسان !

وكان أن أصدرت كريستين أمرها الى « سانتينللى » ـ زميل « مونالدسكو » وشريكه فى جرائمه ! ـ بأن يقتله بوساطة اثنين من الجنود ٠٠ وجىء بالمحتال « مونالدسكو » ليمثل بين يدى مولاته ٠٠ وهنا أخـذ التعس فى الضراعة والاستعطاف والاستغفار ٠٠ لكن كريستين أصمت أذنيها ، وأبت الا أن يقتل!٠٠ فانضم الكاهن الى المذنب في ضراعاته واستعطافه وطلب الصفح عنه ـ وكانت الملكة السابقة قد أمرت باستقدام الكاهن ليحضر ساعات « مونالدسكو »الاخيرة، كما هو متبع عند تنفيذ حكم الاعدام فى المجرمين ـ لكن كريستين لم تأبه بتوسلات الكاهن ٠٠ وهنا انضم الجلاد المنوط به تنفيذ الحكم الى الاثنين ، فجثا أمام الملكة ، متوسلا اليها أن تصفح ، لكنه لم يفلح بدوره ٠٠ واستمر هذا المنظر المفجع ساعتين كاملتين ، كانت « القاتلة » خلالهما غاية فى الهدوء ٠٠ وفى النهاية ، وبكل برود أصدرت أمرها بتنفيذ حكم الاعدام فى «مونالدسكو» ٠٠ فنفذ بالفعل ، دون أن تهتز فى تلك المرأة خلجة ٠٠ أو تدركها الشفقةعلى ضحيتها !

ولئن كانت العادة قد جرت فى تلك الازمان بأن يتخلص الملوك من «مضايقيهم» بالقتل ، دون محاكمة ــ كما حدث حين أمر «هنرى الثالث» بقتل منافسه الدوق « دى جيز » ، أو حين أمر « فرديناند » امبراطور النمسا بقتل قائده العظيم « ولنشتين » فى مدينة « اجرا » ـ الا أن فعلة كريستين هزت فرنسا هزا عنيفا ، كما ارتج لها الرأى العام العالمى ، اذ رأى فيها عملا من أعمال الوحشية الخليقة بذوات المخلب والناب !

« مازاران » يفكر فى محاكمتها !

◆ **وعلى** أثر تلك الجريمة النكراء ، فقدت كريستين ما تبقى لها من سمعة وكرامة ، وأصبح مركزها فى فرنسا حرجا للغاية ، اذ رأت الدولة فى عملها استهتارا بقوانينها واستهانة بالشعب الذى أكرم وفادتها ٠٠ **حتى لقد فكر « مازاران » فى احالتها الى المحاكمة ، لولا أن أفتى أهل الرأى من المشرعين بأن كريستين ، وان كانت لم تعد ملكة تتمتع بما يتمتع به الملوك من حصانة تجعلهم فى بعض الاحيان فوق القانون ، الا أنها مازالت رغم ذلك تتمتع بحق السيطرة على أشخاص حاشيتها وخدمها الخصوصيين ٠ وازاء هذه الفتوى أراد مازاران أن يخفف من ثائرة النفوس ، فعمد الى اقناع الملكة بوجوب الاعتذار عن فعلتها الشنعاء ٠ وأوفد لهذه المهمة السفير « شاتو » ـ الذى كان**

سفيرا لفرنسا فى استوكهلم ، وكانت تربطه بكريستين صلات صداقة وثيقة ـ ولكن ماكاد السفير يفاتحها فى أمر اعتذارها حتى أذهلته بتعليقها على الحادث ، وعلى الموقف كله ، اذ بعد أن أصرت على عدم الاعتذار قالت له : « اننى لا أفهم لماذا يعلق الفرنسيون هذه الاهمية الكبرى على أمر تافه كهذا يتعلق بأحد الخدم ؟! وهل ارسال أحد الخونة من خدمى الى الدار الآخرة قبل أوانه بقليل ، يستحق كل هذه الضجة ؟! اننى لا أرفض الاعتذار فحسب ، بل وأرفض أن يوجه الى كائن من كان أية عبارة من عبارات لفت النظر أو التوبيخ ! »

وأمام هذا العناد فى الشر ، وهذه العزة بالاثم ، لم يجد مازاران بدا من أن يطلب اليها مغادرة فرنسا !

.. ورضخت كريستين للأمر ، لكنها طلبت أن يسمح لها بزيارة باريس قبل رحيلها ، فأجيبت الى ماتطلب . وهناك فى العاصمة استقبلتها الملكة الوالدة ورجال البلاط والحكومة استقبالا سيئا ، خاليا من أية حفاوة أو مجاملة !

وأخيرا أعربت كريستين عن رغبة أخيرة تاقت الى أن تتحقق لها قبل أن تغادر فرنسا نهائيا ، وهى أن تستقبل فى الاكاديمية الفرنسية .. فأجيبت أيضا الى تلك الرغبة ، واصطنع لها احتفال هرب من حضوره أعلام الاكاديمية فى ذلك العصر ـ أمثال «راسين» و « شابلان» و «راكان» ـ حتى لايشتركون فىاستقبال «السفاحة» !.. وما أن انتهت مراسم الاحتفال حتى انحنت كريستين أمام مستقبليها من العلماء فى قلعة العلوم والفنون ، ثم غادرت مكان الاحتفال ..

وغادرت بعد ذلك فرنسا الى غير رجعة !.. لكن جريمة « فونتنبلو » ظلت فى أثرها خمسة وعشرين عاما كاملة ، تتعقبها بوجهها الكالح المرهوب أينما حلت وحيثما ذهبت ، مشيرة اليها بأصبعها : « هاكم القاتلة فانبذوها واحذروها ! » .. ولكنها كانت من موات النفس والضمير بحيث لم تستشعر فى يوم من الايام ندما على ما ارتكبته يداها اللتان ظلتا الى آخر حياتها ملطختين بالدماء !

٦ ـ النهاية .. فى روما

◆ على اثر مغادرة «كريستين» لفرنسا ، عولت على العودة الى روما ثانية .. .. روما التى سبق أن برمت بها وبوجودها فيها !.. **وكانت منذ غادرتها لاتفتأ تحس بالحنين الى الملك يعاودها بين الحين والآخر فانه ليس من الهين أن يبرأ الانسان من داء السلطان ـ فكانت كثيرا ماتتحين الفرص لتعود ملكة كما كانت : فى السويد أو فى غير السويد !.. حتى لقد أخذت تدبر المؤامرات أثناء اقامتها فى فرنسا كى تتوج ملكة على «نابولى» لكنها باءت بالفشل !**

ومات « شارل العاشر » ملك السويد ، فأرادت العودة الى عرشها القديم الذي زهدت فيه وتنازلتعنه بلا مبرر .. فاذا بالعرش يزهد فيها الآن !واذا

الشعب الذى كان يتوسل اليها أن لا تتركه ، يشيح الآن عنها بوجهه ويأبى عليها حتى الاقامة بين ظهرانيه !

وهنا رغبت كريستين فى الاقامة فى أقرب مكان الى وطنها ٠٠ فاختارت (هامبورج) ٠٠ وفى تلك المدينة الالمانية العريقة فى البروتستانتية ، جاهرت كريستين بمذهبها الكاثوليكى الذى اعتنقته ، وطالبت بمنح الكاثوليك نفس الحقوق الممنوحة للبروتستانت ٠٠ فكان من الطبيعى أن ترضى عنها البابوية على أثر ذلك بعض الرضى ، الامر الذى سهل لها العودة الى روما ٠٠ بعد أن طردت من فرنسا !

وهكذا غادرت كريستين (هامبورج) الى روما ٠٠ لكنها استقبلت فيها بفتور شديد ، رغم دفاعها عن الكاثوليكية فى ألمانيا ٠٠ وما كاد يستقر بها المقام بعاصمة البابوية ، حتى ساءت علاقتها بالبابا من جديد ، بسبب المحتال الثانى « سانتينيللى » زميل المحتال الاول « مونالدسكو » الذى أعدمته كريستين على مارونا !

وتفصيل الامر ان « سانتينيللى » كان على علاقة آثمة مع زوجة دوق «سيرى» الشابة ٠٠ فلما مات الدوق ، ملأت ايطاليا الشائعات القائلة بأنه مات مسموما بتدبير «سانتينيللى» ٠٠ سيما وقد أراد الاخير الزواج من الارملة الشابة بعد وفاة زوجها الدوق !٠٠ وهنا عارضت أسرة الارملة فى زواجها من ذلك المحتال صاحب السمعة الملوثة ٠٠ فطلب البابا الى كريستين أن تطرده من خدمتها !٠٠ لكنها أبت وتمسكت بوجوده فى حاشيتها !٠٠ فما كان من البابا الا أن قبض على أرملة دوق «سيرى» وحبسها فى أحد الأديرة ، ليباعد ما بينها وبين ذلك المحتال الوضيع !٠٠ وتدخل الكردينال « ازولينو » فى الامر وراح يبصرها بجرائم ذلك الرجل ، حتى اقتنعت فى النهاية بوجوب التخلص منه ٠٠ وطردته من حاشيتها بعد جهد جهيد !

طرد « سانتينيللى » من خدمة ملكة السويد السابقة ، ولكنه ظل يحوم حول الدير الذى اعتقل البابا فيه خليلته وحبيبته !ـ وقد اضطرم صدره بنار الحب الأثيم ، ونار الحقد الزنيم ـ حتى أفلح فى اختطافها من معتقلها ، بعد أن قضت بين جدرانه عشر سنوات كاملات ! ثم تزوج منها فى مدينة البندقية ، حيث أخذا يعبان معا من منهل الحب الملوث بأدران الجريمة وأوحال الفسق والفجور !

« أزمة مالية » وغرام مكبوت ؟

◆ **أما** كريستين فأقامت فى روما ردحا من الزمن ٠٠ وكانت الضائقات المالية قد أخذت تشدد عليها الخناق من كل جانب ، وحتى المعاش الذى اشترطت الحصول عليه قبل تنازلها عن العرش ، لم يكن يرسل اليها كاملا ولا منتظما !٠٠

فقررت ترك روما مؤقتا والعودة ثانية الى (هامبورج) لتكون على مقربة من السويد فتسهل عليها المطالبة بمعاشها ··

وهنا نرى كريستين تبكى !

أتراها دموع الندم على ما أسلفت من آثام وارتكبت من معاص ؟! أم هى تبكى على الملك الضائع والمال المسلوب والفقر المحتوم ؟! كلا ! وانما هى تذرف الدموع السخينة على حبها المكبوت للكردينال الشاب « ازولينو » ·· لقد ظل هذا الحب حبيسا بين ضلوعها زمنا طويلا · ولكن هاهو ذا الصمام ينفلت من على قلبها الذى لم يعد يطيق الثقل الجاثم عليه بعد الآن ·· فاذا بها تبعث الى المحبوب من (هامبورج) برسائل تبثه فيها لواعج هواها الكظيم !

·· لكن الكردينال الشاب أصم أذنيه ، وأبى الا أن يكون بالنسبة لها ، كما كان دائما ، مستشارا وصديقا ولا أكثر ! ·· وتحمل مطارحاتها الغرامية على مضض ـ فهو لا ينسى انها كانت ملكة على عرش مجيد ، وانها ماتزال تحمل اسم أبيها جوستاف أدولف العظيم ! ـ وكان رد الكردينال على رسائلها الغرامية هو أنه قد كرس نفسه لله وحده · وأما غير ذلك من متاع هذه الدنيا فهو عرض زائل لا يستهويه !

لكنها أجابته على اعراضه وصدوده برسالة مملوءة بالعبارات المؤثرة العذبة التى يستغرب صدورها من تلك المرأة البربرية ، قالت له فيها : « **اننى لا أرضى أن أكون سببا فى دفعك الى مالا يرضى الله ·· ولكننى سأظل مقيمة على حبك حتى الموت ·· وحيث أن الرسالة الدينية التى تضطلع بها تحول بينك وبين أن تكون عشيقى ·· فاننى أعفيك من خدمتى مكرهة مرغمة ·· ذاك لأننى لا أرتضى لنفسى أن يخدمنى الانسان الذى عولت على أن أبقى جارية له حتى أموت !** »

ولكن ، كأنى بالقدر قد أراد أن يقتفى أثر العاشقة التعسة فى كل مكان ، ويتعقبها بالتعذيب فى كل ميدان ، حتى فى حبها للكردينال «ازولينو» !·· فقد علمت وهى فى هامبورج أن الكردينال العفيف ، الذى كرس حياته وجعل منها هيكلا طهورا لله وحده ، كان قد دعى الى حفلة ساهرة فى السفارة الفرنسية بروما ، فلم يتورع عن أن يبدى ـ فى حماسة دافقة بالغة ـ اعجابه الكبير براقصتين فاتنتين كانتا تعرضان رقصاتهما فى تلك الحفلة الزاخرة برنين الكؤوس وأنغام الموسيقى !·· **واذا بالغيرة تعض كريستين كالافعى ، فتكتب الى الكردينال الناسك الزاهد خطابا حشته بعبارات السخرية والتعريض والسباب ، جاء فيه قولها : « لقد تتلمذت على يديك فى علم اللاهوت ·· وكنت شديد الحرص أثناء الدروس التى ألقيتها على ، على أن تحولنى عن عقيدتى البروتستنتية وتجذبنى الى العقيدة الكاثوليكية ، حتى أفلحت !·· ولعلك ذهبت**

الى الحفلة الساهرة التى أقامتها السفارة الفرنسية فى روما ، كى تلتقى بالراقصتين الجميلتين وتفقههما فى المذهب الكاثوليكى فتعتنقاه أسوة بى ٠٠ فان هذا العمل لوثيق الصلة برسالتك الدينية التى كرست حياتك التقية الورعة لاتمامها ٠٠ واننى لسعيدة كل السعادة بما أحرزت من نجاح !»

مسكينة كريستين !٠٠ لقد كانت قبيحة شائهة وهى فى ميعة الشباب ، فمابالها وهى الآن فى الاربعين ؟! ٠٠ لكن أعجب مافى الامر انه على الرغم من كل ماجرى بين الاثنين ، فقد كتبت التعسة وصيتها فى تلك الفترة ٠٠ فاذا بها توصى للكردينال الحبيب بجميع ماتملك من ثروة بعد موتها !

شراء ذمم الكرادلة ٠٠ بالخمر !

◆ **وفى** تلك الاثناء مات البابا الكسندر الثانى عشر ، وكانت صلتها ماتزال قائمة بأزولينو ، وهنا أراد الاستعانة بنفوذها لتعاونه على انتخاب الكردينال « روسبجليوزى » بدلا من البابا المتوفى ٠ فلم تبخل عليه بالمعونة والتأييد ، وظلت تواليه من (هامبورج) بتوجيهاتها التى دلت على دراية واسعة والمام شامل وتقدير ناضج متزن لجميع الاعتبارات الدينية والتيارات السياسية التى تحيط بذلك الموضوع الخطير !

والقاعدة التى كانت وما تزال سارية فى انتخاب البابوات هو أن يجرى انتخابهم بوساطة مجمع من الكرادلة يفدون على روما من جميع أنحاء العالم لهذه المهمة الكبيرة ٠٠ وقد كان من بينهم يومئذ ثلاثة كرادلة من الالمان كانت كريستين تعرفهم جيد المعرفة ، لأنها كتبت الى « أزولينو » فى روما خطابا طريفا غاية الطرافة تبين له فيه الطريقة التى يجب عليه اتباعها معهم لشراء أصواتهم وضمان اعطائها للكردينال « روسبجليوزى » الذى يريد أن ينصبه فى كرسى البابوية ، فقالت : « **عليك باعداد كميات هائلة من النبيذ ! فان هؤلاء الكرادلة الثلاثة يستهلكون من النبيذ فى يوم واحد مايستهلكه كرادلة الفاتيكان جميعا طوال المدة التى سيستغرقها المجمع ! فليكن النبيذ هو قوام السياسة التى تتبعها معهم! ٠٠ أما فيما عدا ذلك فيتعين على أعضاء المجمع الموقرين أن يكونوا معهم على جانب عظيم من الحذق والحذر ، فى كل ما يبدون من آراء ٠٠ لانهم اذا أبدوا رأيا وهم سكارى نقضوه عندما يثوبون الى وعيهم !٠٠ وكل رأى يبدونه وهم فى وعيهم ينقضونه اذا ما أثملتهم الخمر من جديد !** »

٠٠ وكللت مجهودات « أزولينو وكريستين » بالنجاح ، اذ تم انتخاب « الكردينال سبجليوزى » ، وأطلق عليه اسم البابا « كليمان التاسع » ٠ وابتهاجا بهذا الفوز أقامت كريستين فى هامبورج حفلات ساهرة شبيهة بحفلات ألف ليلة وليلة ! ٠٠ فأضاءت قصرها بالانوار المتلألئة ٠٠ وأقامت قداسا حبريا

كانت الصلاة تجرى خلاله فى الداخل على قصف المدافع فى الخارج ! ·· **وكان النبيذ يجرى من قصرها أنهارا على سكان مدينة هامبورج الذين راحوا يعبون منه عبا حتى ثملوا وفقدوا السيطرة على أعصابهم ·· واذا بهم يرون فجأة فى تلك الاحتفالات الزاخرة التى ذهبت مثلا فى التاريخ على الروعة والبذخ، اهانة وتحديا جريئا لعقيدتهم البروتستانتية ·· ماذا ؟ أتقيم تلك الملكة الشريدة كل تلك الاحتفالات فى المدينة البروتستنتية العريقة ، ابتهاجا بانتخاب البابا الكاثوليكى ؟! انه لتحد سافر لأهالى هامبورج الكرام !·· واذا بالخمر التى لعبت برءوسهم تهيىء لهم الثورة على الملكة الجريئة ، فيقتحمون نطاق قصرها يريدون تحطيمه والفتك بجميع من فيه ! ·· فما كان منها الا أن أصدرت أمرها الى حراس القصر باطلاق الرصاص على الجمهور الثمل الثائر ·· فصدع الحرس بالامر ، وأسفرت المعركة عن ثمانية من القتلى وعشرين من الجرحى ، أضافتهم كريستين الى قائمة الضحايا التى افتتحتها باعدام المحتال «مونالدسكو» فى قصر فونتنبلو » !**

·· وكان طبيعيا أن يتعذر على كريستين البقاء فى هامبورج بعد تلك المأساة الدامية ، فقفلت راجعة الى روما ـ حيث كان قد رد الى سمعتها شىء من الاعتبار بعد الحوادث الاخيرة ! ـ ولكن شاء لها سوء الطالع أن تأتى الى روما فى تلك الفترة بالذات ابنة أخت مازاران المدعوة « مارى مانشينى » ، أميرة كولونا ·· فطغى جمال الاميرة الشابة على كريستين العجوز التى بدأت ترى نجمها يأفل وشمسها تأذن بالمغيب ، فراحت تطلق آخر سهام فى جعبتها لاستبقاء المعجبين الى جوارها ·· ولكن عبثا ذهبت مجهوداتها ، فان هؤلاء المعجبين بدأوا ينصرفون عنها فى غير رحمة الى القادمة الجديدة « مارى مانشينى » أميرة كولونا !

البابا ·· « الحاكم بأمر الله » !

◆ **وظلت** كريستين تتلقى الضربات تباعا فى روما حتى عام ١٦٧٦ ، حين شاء القدر أن يكيل لها ضربة جديدة ، بموت البابا « كليمان التاسع » الذى كان لها الفضل أكبر الفضل فى انتخابه ، ونصب مكانه فى كرسى البابوية « البابا انوسان الحادى عشر »·· وكان هذا الاخير رجعيا فى آرائه ، ثائرا على البدع الحديثة التى أخذت تجتاح روما ـ والتى كانت تتزعمها كريستين!ـ وأراد أن يسلك فى محاربة تلك البدع الطريق العملى الحازم ، **فاذا به يصادر الملابس الخليعة ـ التى تتنافى وحشمة النساء ووقارهن ـ وهى فى حوانيت الكوائين ، ويمنعهم من تسليمها ثانية اليهن !**

وأصبحت النساء فاذا بهن لا يملكن ملابس للنوم ولا ثياب للخروج ، فثارت ثائرتهن على البابا الرجعى المستبد ! وتزعمت كريستين النساء الثائرات فراحت تملأ الدنيا تعريضا بالبابا « انوسان الحادى عشر » وتتندر بتصرفاته فى سخرية

لاذعة مريرة ‥ بل انها ذهبت فى الاستهزاء والتعريض به الى حد ابتكارها ثوبا جديدا للنساء عرضته فى أحد محال الازياء فى روما ، وكان الثوب طويلا للغاية يجرجر أذياله على الارض ، مقفلا من العنق الى حد يكاد يخنق الانفاس !‥ وأمعنت فى سخريتها من البابا المتزمت فأطلقت على الزى المبتكر الجديد اسم « انسونتيانيا » ، نسبة الى اسمه « أنوسان » !

وأراد البابا أن يرد على تلك الهجمات الوقحة فعمد الى مهاجمة المسرح والموسيقى والرقص ، وعلى الاخص رقصات «الباليه» !‥ واذ ذاك أعلنت كريستين عليه حربا سافرة لا هوادة فيها ، أيدها فيها الايطاليون عن بكرة أبيهم – وهم الذين تغلغل حب الفنون الجميلة فى عروقهم على مر الاجيال ، وامتزج بدمائهم ! – فلم يستطع البابا المضى فى تنفيذ فكرته ، واضطر الى التراجع ‥ بغير انتظام !

ولم تكتف كريستين بهذه الاسلحة فى مهاجمة البابا ،بل جمحت فى محاربته الى حد تجنيدها فرقة مكونة من خمسمائة من الافاقين المأجورين أخذوا يذرعون ايطاليا محرضين الايطاليين فى طول البلاد وعرضها على عدم اطاعة البابا والخروج على أوامره ونواهيه !‥ ولولا تدخل الكردينال « ألبانى » فى الامر لاتسع الخرق بينهما على الراقع وساءت العاقبة ‥

وأشرفت كريستين على الستين من عمرها ، ورآها المؤرخ « ميسون » فى تلك الآونة ، فوصفها بقوله : « **لقد كانت «رجلا» ، فى لون بشرتها ، وصوتها، وقسمات وجهها ‥ ذات أنف كبير، وعينين واسعتين زرقاوين ، وحاجبين شقراوين ، وذقن نبت فيه الشعر ! وتدلى منه «لغد» مترهل‥ وقد برزت شفتها السفلى قليلا عن شفتها العليا ‥ شعرها كستنائى طويل أشعث ،ويداها طويلتان أكثر من المألوف !‥ وقامتها منتصبة ٠ وكانت تلبس ثوبا أسود من أثواب الرجال يغطى ركبتيها ، وحذاء من أحذية الرجال أيضا ، وقد أحاطت عنقها بعقدة سوداء تشبه ربطة العنق عند الرجال ! وتمنطقت بحزام شدته الى وسطها بقوة ليمنع بروز بطنها البادية السمنة !** »

تعد كفنها بنفسها ‥ وتجربه مقدما !

◆ وقد واجهت كريستين دنو أجلها فى هدوء عجيب وشجاعة فائقة ، فأمرت بأن يعد لها ثوب رسمت هى طريقة تفصيله ، لتكفن فيه عندما تموت !‥ فلما تم اعداد الثوب أحضرته ولبسته لترى ما اذا كان دقيق الصنع ، خاليا من أخطاء الحياكة ! ‥ وحين حضرتها الوفاة ، أسلمت الروح تاركة هذا العالم الذى كانت مصدر قلق وازعاج لكل بلد أقامت فيه ، فى الوقت الذى كانت تظن فيه أنها تلعب فى تاريخه دورا كبيرا !

ورثاها البابا بكلمات طيبة ، ودفن جثمانها فى كاتدرائية القديس بطرس

العظيمة فى روما ، كما ذكرنا فى مستهل هذه الفصول

ولم يتفق المؤرخون على رأى واحد فى الحكم على كريستين ، فمنهم من رأى فيها شيطانا مريدا ، ومنهم من كان اعدل حكما وأكثر انصافا ، وأوثق معلومات، مثل المؤرخ «ألفريد نيومن» الذى كتب يقول : « **لقد كانت كريستين فريسة كبرياء ليس له حد ، تسبب عن عقد نفسية كانت نتيجة حتمية لتشويهها الجسمانى !٠٠ وكانت آفتها الكبرى انها ظلت تعتقد الى آخر لحظة من حياتها انها ماتزال ملكة السويد المتوجة ، وغاب عنها انها بعد تنازلها كانت أشبه بالملوك الذين يظهرون على المسارح ، ولم يكن كرسى عرشها أكثر من مقعد من مقاعد المتفرجين ! لقد كانت حياة كريستين عالما صغيرا تبلورت فيه وانعكست عليه الاحداث التى تميز بها العصر الشاذ الذى عاشت فيه !** »

وبالرغم من تنازلها عن العرش فقد ظلت تعتقد أن كل شىء مازال مباحا لها كملكة ! وانها بتنازلها انما أزاحت عن كتفيها مسئوليات الحكم فقط ، أما مزاياه فانها لم تزل صاحبة الحق فى الاستمتاع بها كاملة !٠٠ فلا مانع يمنعها اذن من أن تذرع الممالك الاوربية وترتكب فيها من الجرائم أبشعها ، مادامت تتمتع بالحصانة التى يتمتع بها الملوك ٠ وكانت كريستين ذات ذكاء لماح ،وارادة حديدية ، وقوة جسمية لا ينال منهاالسهر أو العمل أو التعب ٠ لكنها لم تستفد من كل هذه المزايا شيئا ، فانها بتنازلها عن العرش قد فقدت الهدف الذى كانت حياتها مصوبة اليه ٠٠ ولم تجد عن فقده عزاء ولا سلوى حتى ماتت! **وكان صيت أبيها «جوستاف أدولف» وظلال مجده وسمعته تتعقبها فى كل مكان ، وتمسح الكثير من آثامها : فمن أجله كان الناس يغتفرون لها أكثر معاصيها ، ومن أجله كانوا يصبرون على مجونها وفضائحها !٠٠ وكانت ترى فى فلسفة « ديكارت » وانتصارات القائد « كونديه » العظيم انعكاسا لصورة ابيها ، واستئنافا لحياته الزاخرة بمختلف صور البطولة ـ وكثيرا ما حاولت أن تجعل من نفسها وسيرتها وأعمالها مايؤهلها لحمل اسم ابيها العظيم ـ وكان مصدر قوتها هو اعتقادها بأنها دائما ملء العيون والقلوب والاسماع ، بالرغم من ضياع كل ذلك الميراث الضخم الذى ورثته عن ابيها جوستاف أدولف !**

لقد انطوت نفس كريستين على لغز لم يستطع أحد الوصول اليه أو اماطة اللثام عنه ٠٠ فاكتفى مؤرخو حياتها بالقول انها ، بالرغم من جرائمها ، تستحق شيئا من العطف والرثاء !٠٠ سيما وان التاريخ الذى سجل تنازل الملوك عن عروشهم ، يدلنا على أن فقدان الملك يحدث فى نفوس الملوك السابقين «مضاعفات» لا تتغير أبدا ، تتلخص فى انه : **لن يبرأ من ملك فقد عرشه من داء الملك ! ٠٠ وانما سيظل ذلك الداء يلحف عليه ، وتلك العلة تستبد به ، حتى يموت متأثرا بها آخر الامر ٠٠ فان داء الملك داء عضال قاتل ، لا يرجى له برء ولا شفاء !**

تولستوى
أناتول فرانس
شارلس ديكنز
جان وولفجانج جيته
ستيفان زفايج
جان جاك روسو
دستويفسكى
بول بورجيه
فيكتور هوجو
مكسيم جوركى
سومرست موم
أندريه موروا
البرتو مورافيا

.. وعشرات غيرهم .. من أعظم كتاب العالم، القدامى والمحدثين ..

تقرأ الترجمة الكاملة لانتاجهم الادبى الخالد الرفيع

فى الاعداد القادمة من :

مطبوعات كتابى

السلسلة العربية الوحيدة من نوعها ، التى تقدم لك الترجمة الكاملة لأمهات الكتب العالمية ، بأرشق أسلوب .. أسلوب « كتابى » وكفى !

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء ..

قرأت معى فى الاعداد الماضية قصص: • أموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : اميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الاخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • كاس تمبرلين : سنكلير لويس • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : أناتول فرانس • بلاد العميان : هـ ٠ج٠ ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هاربيت بيتشر ستو • الزوج والعشيق: سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر :تولستوى • أميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار: سومرست موم • افروديت : بييرلويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير

واليوم ، أقدم لك فيما يلى القصة الخالدة : « أشجان فرتر »


THE SORROWS
OF WERTHER
BY
JOHANN WOLFGANG
VON GOETHE
جان وولفجانج جيته
اشجان فرتر

الغرام الذى أوحى لـ « جيته » بهذه القصة !

◆ اذا كانت « فاوست » أعظم ماكتب شاعر الالمان العظيم «جيته»، فان « أشجان فرتر » ـ أو « آلام فرتر » كما أطلق عليها الاستاذ احمد حسن الزيات فى ترجمته الكاملة لها منذ ربع قرن ـ هى أحب ماكتب « جيته » الى الشباب من قرائه ، فى كافة بلاد العالم ٠٠ لأنها تصور بأروع أسلوب عواطف الشباب الحارة وخلجات قلوبهم المرهفة حين يطرقها الحب ، لاول مرة ٠٠ وقد كتب « جيته » القصة فى قالب رسائل الى صديق ، مستوحيا اياها من غرامه الواقعى بفتاة كانت تدعى « شارلوت بوف » ، وكانت مخطوبة لآخر ، فكظم « جيته » هواه المشبوب فى صدره وامتنع عن رؤيتها !٠٠ وصادف فى تلك الاثناء أن صديقا له يدعى « جيروساليم » ـ « أورشليم » ! ـ انتحر باطلاق الرصاص على نفسه بسبب غرام يائس ، فأوحت المأساة الى الاديب الكبير بهذا العمل الادبى الخالد ، الذى أقدم لك تلخيصا له فيما يلى، متبوعا بتعقيب يتضمن معلومات شائقة عن آثار نشر القصة فى أوربا!

أشجان فرتر

الجزء الاول

٤ مايو : ما أسعدنى بالرحيل !٠٠ يالقلب الانسان ياصديقى العزيز !٠٠ كيف أفارقك ـ وانت الذى لم أكن عنه أنفصل ، وكنت أحبه فى شغف ـ ومع ذلك أشعر بالسعادة !٠٠ اننى أدرك انك ستصفح عنى ٠٠ **وأعدك ياصديقى العزيز بأننى سأصلح من نفسى ، ولن أظل ـ كما كانت عادتى ـ اجتر كل هم تافه يلقيه على الحظ ٠٠ لسوف أنعم بالحاضر ، وأدع الماضى للماضى ٠٠ فأنت مصيب ولاشك، ياخير صديق ، فى أن آلام البشر خليقة بأن تقل ، لو انهم لم يستغلوا خيالهم فى استعادة ذكرى أحزان الماضى،وذلك بدلا**

من الانصراف الى نصيبهم الحاضر بنفس المثابرة والجلد ٠٠!

أنا هنا فى خير حال ، فان الوحدة فى هذه الجنة الارضية، بلسم ناعم لذهنى ، والربيع البكر يبدد الهواجس التى كثيرا ماتراود قلبى ٠٠ والمدينة فى حد ذاتها لا تروقنى ، لكن كل ماحولك ـ عداها ـ ينضح بجمال الطبيعة ، مما أغرى المرحوم الكونت « م » على أن يزرع حديقة على أحد سفوح التلال التى يتصل بعضها ببعض فى أشكال فاتنة ، مؤلفة أجمل الوديان ٠٠ والحديقة بسيطة ، تلمح من أول نظرة انها ليست من رسم بستانى بارع ، وانما هى من صنع رجل اراد أن ينصرف بكل نفسه الى امتاع قلبه النابض بالحساسية ٠٠ وكم من دمعة ذرفتها على ذكرى صاحبها الراحل ، فى هذا البيت الصغير القائم فى الحديقة ، الذى كان أحب مقام له ، وأصبح الآن مسكنا لى ٠٠

١٠ مايو : استولت على نفسى بأسرها سكينة صافية رائعة ٠٠ اننى وحيد ، أحس بسحر الوجود فى هذه البقعة التى خلقت لاسعاد النفوس التى تشبه نفسى ٠٠ اننى جد سعيد ياصديقى العزيز ، مستسلم للشعور الرائع بالسكينة المطلقة، حتى اننى أهمل مواهبى ، اذ أرانى عاجزا عن أن أرسم خطا واحدا فى لحظتى الراهنة ٠٠ ومع ذلك أحس بأننى لم أكن يوما أعظم فنا مما أنا اليوم ٠٠ **ولقد أستلقى بين الاعشاب الطويلة ، بجوار الجدول النمير ، وألتصق بالارض ، واذ ذاك ألمح ألف نبات مجهول ، ولا يمر يوم دون أن أقضى هناك ساعة ، بينما تفد العذارى الشابات من البلدة ليتزودن بالماء ٠٠ وهى مهمة بريئة ، وضرورية ، وقد كانت تقوم بها فى الماضى بنات الملوك !٠٠** وبينما أستريح هناك ، تستيقظ حولى صور الحياة البدائية القديمة ، فأرى كيف كان أجـدادنا الاقدمون يعقدون صداقتهم وتحالفهم الى جانب عيون الماء ، فأشعر بأن العيون والجداول تفيض فى حراسة أرواح طيبة !

١٣ مايو : ان قلبى ليتأجج من تلقاء نفسه ٠٠وكثيراماأجهد لأخفف من حرارة دمى ٠٠ وما أراك شهدت قط شيئا مثل قلبى تململا وقلقا ٠٠ اننى أعامل قلبى المسكين كما لو كان طفلا عليلا ٠٠ وأحقق له كل نزوة واهمة ٠٠

١٥ مايو : أصبح العامة من أهل البقعة يعرفوننى ، ويحبوننى ٠٠ لا سيما الاطفال منهم ٠٠ اننى أعرف تمام المعرفة اننا لسنا جميعا سواء ، ولن نكون سواء ٠٠ **ولكنى أرى أن الذى يتحاشى العامة خشية أن يفقد احترامهم ، لايقل جدارة بأن يرمى بالجبن ، عن ذلك الذى يهرب من عدوه خشية الهزيمة**

ومنذ أيام ، وجدت عند العين خادما شابة ، وضعت جرتها عند آخر الدرجات ، وأخذت تتلفت بحثا عن احدى زميلاتها لتعينها على رفع الجرة الى رأسها ، فجريت نحوها ، وسألتها ان كانت تقبل معونتى ٠٠ فتضرج وجهها ، وهتفت : « أواه ، ياسيدى ! » ٠٠ فقلت : « لاكلفة ! » ٠٠ وساعدتها ، فشكرتنى ٠٠

١٧ مايو : تعرفت الى كل أنواع الناس ، ولكنى لم أجد حتى الآن رفقة أأتنس بها ، وتوافق ميولى ونزعاتى ٠٠ **فان معظم الناس يشقون الشطر الاكبر من وقتهم لمجرد كسب ما يقيم أودهم ٠٠ والقسط الضئيل الذى يتبقى لهم من الحرية يرهقهم حتى ليعمدوا الى كل نوع من اللهو الرخيص ليتخلصوا منه !**

تعرفت بشخصية من أجدر الشخصيات بالاعتبار : انه قاضى المنطقة ، رجل صريح ، صادق ، قيل لى ان من أبهج الامور أن تراه وسط أطفاله ، وهم تسعة ٠٠ وتستأثر ابنته الكبرى بقسط وافر من المديح ٠٠ وقد دعانى الى زيارته ، وسوف ألبى الدعوة فى أول فرصة ، فهو يقيم فى كوخ الصيد الملكى ، على مسيرة ساعة ونصف الساعة من هنا ، وقد

حصل على اذن بذلك عقب وفاة زوجته ، اذ شق عليه أن يقيم فى المدينة ، وفى البلاط ٠٠

٢٢ مايو : اننى لا أفتأ أفحص نفسى ، فأرى فيها دنيا ٠٠ ولكنها دنيا خيال ورغبات مبهمة ، لا دنيا جلاء وقوة حية٠٠ ٠٠ ولا يلبث كل شىء أن يسبح أمام حواسى ، فأبتسم ،وأحلم، وأنا أتابع سيرى فى الحياة ٠٠ **لقد أجمع الاساتذة والاطباء على أن الاطفال لا يدركون سر رغباتهم ٠٠ اما أن الكبار بدورهم يهيمون على هذه الارض كالاطفال ، لا يعرفون من أين أتوا ، والى أين يذهبون ، ولا يكاد يؤثر فيهم من الحوافز الا القليل ، وانما يستدرجون ـ كالاطفال ـ بالبسكويت والحلوى والعصا، فهذا مالا يريد أحد أن يقر به ٠٠ ومع ذلك فانى أراه واضحا !**

قد تقول ـ وأقرك على هذا ـ انهم أسعد حالا ، اذ يعيشون كالاطفال ٠٠ ولكن سواهم أيضا يحسدون على حالهم : أولئك الذين يضخمون أعمالهم التافهة ، وعواطفهم أحيانا ، فيضفون عليها أوصافا فخمة ، مزهوة ، تبديها للجنس البشرى كما لو كانت أعمالا هائلة من أجل خيره ومجده ٠٠ بيد ان المرء الذى يدرك فى تواضع زيف هذا الغرور ، ويرقب فى ابتهاج كيف يكدح المواطن العامل ليحول حديقته الى جنة ، وكيف يمضى الفقير فى طريقه يرزح تحت أعبائه فى صبر ٠٠ مثل هذا الرجل ينعم بطمأنينة ، ويخلق فى نفسه دنياه الخاصة ٠٠ وهو أيضا سعيد لأنه انسان ٠٠ ثم انه مهما كان محدود المجال ، يظل يحتفظ فى صدره بحلاوة الشعور بالحرية ، ويدرك ان بوسعه أن يهجر سجنه وقتما يشاء ٠٠

٢٦ مايو : على مسافة فرسخ من المدينـــة مكان يدعى (فالهايم) ، يقوم فى موقع بهيج على سفح تل ٠٠ وتقيم هناك عجوز طيبة تملك حانة ريفية صغيرة ، وتبيع النبيذ ،والبيرة، والقهوة ٠٠ قادتنى المصادفة الى هذا المكان ذات أصيل بديع، فوجدته مهجورا ، اذ كان الجميع فى الحقول ، الا صبيـــا

فى الرابعة من عمره ، جلس على الارض وبين ركبتيه طفل فى حوالى السادسة من عمره ، احتضنه بكلتا ذراعيه •• وفتننى المنظر ، فجلست على ممرات أرسم فى اغتباط هذه الصورة الناطقة بحنان الأخوة •• **لقد عزز هذا من عزمى على أن أتشبث – فى المستقبل – بالطبيعة كل التشبث ، فهى وحدها التى لا تنضب ولا تكل ، والتى تقوى على تكوين عظماء الرجال** •• ومهما كان من قيمة القواعد والقوانين ، فانها تقضى على الشعور الحقيقى بالطبيعة ، وبمظاهرها الصادقة •• انها كالحب •• فلقد يشغف شاب –دافىء القلب– بعذراء ، فيقضى كل ساعة من يومه فى صحبتها ، وينهك صحته ، ويستنزف ثروته ، ويقدم الدليل باستمرار على أنه قد وهب لها كل نفسه •• ثم لا يلبث أن يأتى رجل ممن خبروا الدنيا ، فيقول له : « ان الحب أمر طبيعى ، ولكن ينبغى أن تكون لحبك حدود : قسم وقتك ، فخصص شطرا للعمل ، وامنح حبيبتك ساعات الراحة والفراغ » •• ولعله اذا ما اتبع هذه النصيحة يغدو عضوا نافعا فى المجتمع •• ولكن الامر يتوقف على حبه ، وعلى عبقريته اذا كان فنانا ••

١٦ يونيو : تعرفت بمن ملكت قلبى •• ملاك ! •• لا ، فكل شخص يصف محبوبته بهذا الوصف •• ومع ذلك فانى أجد من العسير على أن أبين لك مدى كمالها ، ولا سبب هذا الكمال •• **يكفى فى هذا المقام أن أقول انها أسرت حواسى جميعا •• بساطة جمة ، وفهم جم •• رقة بالغة ، تخالطها رزانة بالغة •• فكر هادىء ، وحياة مفعمة بالنشاط** •• تريد أن تعرف كيف التقيت بها ؟ •• ذكرت لك منذ أيام اننى تعرفت الى «س» قاضى المنطقة ، وانه دعانى لزيارته ، ولكننى أهملت الذهاب ، ولعلنى ماكنت ذاهبا قط ، لو لم تكشف لى المصادفة الكنز الدفين فى تلك البقعة المنعزلة •• فلقد اقترح بعض شبابنا اقامة حفل راقص فى الريف ، وكان من

المتفق عليه ان أستأجر عربة وأذهب مع الفتاة التى وعدت بأن أزاملها فى تلك الليلة ، ومع عمتها ، لنحضر ابنة القاضى ، المدعوة « شارلوت » ٠٠ وقالت لى زميلتى اننى سأتعرف فيها الى فتاة شديدة السحر ٠٠ وأضافت عمتها : « حذار أن تفقد قلبك ، فهى مخطوبة الى شاب ذى مكانة كبيرة ، ذهب ليسوى شئونه اثر موت أبيه ، وسيحظى بميراث عظيم »

ووصلنا الى بوابة كوخ الصيد والشمس تغيب وراء قمم الجبال ، والجو راكد ، فأعربت السيدتان عن مخاوفهما من هبوب عاصفة ٠٠ وهبطت من العربة ٠٠ واجتزت الساحة الى بيت متين البنيان ، فصعدت الدرجات القائمة أمامه ، وفتحت الباب، **واذا بى أرى أمامى أروع منظر شهدته فى حياتى: ستة أطفال تراوحت أعمارهم بين الثانية والحادية عشرة ، يجرون فى الردهة ليحيطوا بفتاة متوسطة الطول ، جميلة الشكل ، ترتدى ثوبا أبيض بسيطا وشيت أطرافه بأشرطة حمراء ٠٠ وكانت تمسك رغيفا تقتطع منه شرائح للصغار ، وفقا لأعمارهم وطاقتهم على الأكل ٠٠ وكانت تؤدى مهمتها فى اشراق وعطف ٠٠ واعتذرت الفتاة فى لطف عما كبدتنى من عناء الحضور لدعوتها ، فأحسست بأن مظهرها وصوتها وتصرفها ، قد استولت على نفسى ٠٠ وقبل أن أفيق الى نفسى كانت قد هرعت الى حجرتها لتحضر قفازيها ومروحتها ٠٠**

واذ استقرت « شارلوت » فى العربة ، سألتها عمة زميلتى عما اذا كانت قد فرغت من الكتاب الذى أرسلته لها ،فذكرت لها انه لم يعجبها ٠٠ وانطلقت تتحدث عن الكتب فشعرت فى كل ماقالت بشخصية قوية ، وكلمات نفاذة ٠٠ كأنما كان كل تعبير يضفى على ملامحها اشراقا جديدا من السحر ومن العبقرية التى أخذت تتكشف رويدا ٠٠ ولم أعد أقوى على أن أتمالك نفسى وهى تبدى آراءها فى الكتب ٠ ولم أفطن الى وجود السيدتين الاخريين الا حين وجهت « شارلوت » اليهما

الحديث ، فلاحظت انهما كانتا تجلسان مشدوهتين٠٠ورمقتنى العمة مرات بنظرات تأنيب ، لكننى لم أحفل !

وتحدثا عن مباهج الرقص ، فقالت شارلوت : « اننى أقدمه على كل الملاهى ٠٠ وإذا ضايقنى أمر ، فاننى أعمد الى المعزف فأوقع لحنا أكون قد رقصت على أنغامه ، فاذا كل شيء يعود سيرته الاولى !»

وتستطيع ـ انت الذى تعرفنى أيها الصديق ـ أن تتصور كيف كنت أحدق دائبا فى عينيها الحالكتى السواد خلال هذا الكلام ٠٠ وكيف كانت روحي تحوم على شفتيها الدافئتين ووجنتيها المتضرجتين ، الناضرتين ٠٠ وبايجاز ، هبطت من العربة ـ حين وصلنا ـ كما لو كنت أسير فى حلم ، وقد غابت الدنيا عن عينى ٠٠

وعندما عزف « الفالس » ـ بعد رقصتين ريفيتين ـ وأخذ الراقصون يدورون ، كل حول صاحبه ، سرى شيء من الفوضى نتيجة عجز بعض الراقصين ، فمكثنا ساكنين ، حتى اذا انسحب الراقصون الا اثنين غيرنا ، اقبلنا على الرقص ، وقد استخفنى الطرب ، وشعرت وأنا أضم أبدع المخلوقات هذه ، اننى أكثر من انسان فان ! ٠٠ ورحت ألف بها فى سرعة الريح ، حتى لم أعد أرى أى شيء آخر ٠٠ وفيما كنا فى الرقصة الريفية الثالثة ـ وتعلم السماء بأية نشوة كنت أحملق فى ذراعيها وعينيها وقد أشرقت نفسى بأحلى مظاهر الاستمتاع الطاهر الصادق ـ مررنا بسيدة ابتسمت لشارلوت ، وهزت أصبعها منذرة ، ورددت مرتين فى لهجة ذات مغزى اسم «البرت» ٠٠ فلما سألت « شارلوت » عنه ، اتأدت ، ولاحظت عليها امارات التفكير ، ثم قالت : « لماذا أخفى عنك ؟ ٠٠ ان البرت رجل كريم ، خطبت اليه » ٠٠ وكنت أعرف انها مخطوبة ، ولكن ذلك بدا لى من قبل بعيدا ، حتى اننى لم أفكر فى أن الامر يخصها ٠٠ لذلك استأت ، وارتبكت !

ولم يكن الرقص قد انتهى حين اشتد قصف الرعد ، وتولى السيدات الذعر فأخذن يصرخن ٠٠ واذا شارلوت تدعو الجميع الى لعبة فيها من المرح ما أنسى الجميع ذعرهم ٠٠ حتى اذا انتهت اللعبة ، وكانت العاصفة قد انقطعت ، تبعت «شارلوت» الى النافذة ٠٠ **فمالت على حافتها وعيناها ترقبان السماء ، ثم حولتهما نحوى ، فاذا بهما منداتان بالدموع !٠٠ وألقت راحتها على يدى ، فرزحت تحت وطأة عواطفى الجياشة ٠٠ وكان هذا فوق ما احتمل، فانحنيت على يدها وقبلتها وقد فاضت من عينى ٠٠ دموع عذبة !**

٢١ يونيو : أيامى سعيدة ، كتلك التى يخص بها الله عباده المقربين ، وكيفما كان حظى فيما بعد ، فلن يكون لى أن أقول اننى لم أذق الفرح ٠٠ بل انقى فرح فى الحياة !

٢٩ يونيو : أقبل الطبيب من المدينة يزور القاضى أمس الاول ، فوجدنى على الارض ألاعب أخوة « شارلوت » الاطفال. والطبيب رجل محب للكلفة والتزمت ، وقد رأى مسلكى أقل مما يليق بكرامة رجل عاقل ، فانطلق فى المدينة بعد ذلك يشكو من أن أطفال القاضى كانوا مدللين الى حد الفساد من قبل ، فاذا « فرتر » الآن يكمل افسادهم تماما !

أجل يا عزيزى « فيلهلم » ، لا شىء يهفو بقلبى فى هذه الدنيا قدر الاطفال ٠٠ ان هؤلاء الاطفال ياصديقى انداد لنا، بل ينبغى ان نعتبرهم قدوة ٠٠ ولكنا نعاملهم كما لو كانوا اتباعا ورعايا لنا ٠٠ ولكن من أين جاءنا هذا الحق المطلق ، وهم محرومون من الارادة الخاصة ؟٠٠ أمن كوننا أكبر منهم سنا وأكثر تجربة !٠٠ ياالهى الكبير ٠٠ انك من علياء سمائك لا ترى فى البشر الا أطفالا كبارا ، وأطفالا صغارا ٠٠ فقط !

١ يوليو : ان السلوى التى تستطيع شارلوت أن تدخلها على نفس أى مريض ، قد خبرتها من أعماق قلبى الذى يعانى

من العذاب ـ لغيابها ـ فوق مايعانيه اى مخلوق مسكين يتقلب على فراش المرض !٠٠ لقد ذهبت الى المدينة تقضى أياما فى صحبة امرأة جميلة يئس الاطباء من شفائها ، ورغبت فى أن تكون « شارلوت » بقربها فى لحظاتها الاخيرة

ولقد صحبتها فى الاسبوع الماضى لزيارة أسقف «س٠٠» ـ وهى قرية صغيرة بين الجبال ، على بعد فرسخ من هنا ـ والتقينا بابنة الاسقف مع خطيبها ، ويدعى الهرشميت ٠٠ كانت سمراء ، خفيفة الدم والروح ، أهلا لأن تدخل السرور على نفس المرء لفترة قصيرة فى الريف ٠٠ أما حبيبها ، فكان مؤدبا ، متحفظا ، أبى أن يشترك فى حديثنا ٠ وغاظنى أن تبينت من شكله ان صمته لم يكن نتيجة نقص فى مواهبه ، وانما نتيجة وسواس ، ومزاج عكر ٠٠ وقد ازداد هذا وضوحا لى حين انضمت « فردريكا » الى « شارلوت » وأنا أتحدث اليها ، فاذا وجهه يغبر ويتبدى عليه الغضب !٠٠ **وليس يكربنى قدر أن أرى الناس يعذب الواحد منهم الآخر ، لاسيما اذا كانوا ـ وهم فى زهرة العمر ، وفى فصل المرح والسرور ـ يضيعون أيام الاشراق القلائل القصار من اعمارهم ، فى العراك والخصام ، ولا يفطنون الى غلطتهم الا حين تكون فرصة الاصلاح قد فاتت !**

تملكتنى هذه الافكار حين جلسنا الى مائدة الاسقف نتناول العشاء ، فلم أتمالك اغراء شن الهجوم على المزاج النكد ٠ قلت : « اننا نميل الى الشكوى ـ دون ما سبب يذكر ـ من أن أيام سعادتنا قليلة ، وأيام شقائنا كثيرة ٠٠ فى حين لو كانت قلوبنا متفتحة دائما لتقبل الخيرات التى تبعث بها السماء الينا ، لاكتسبنا القوة على مقاومة الشر اذا ماجاءنا ٠٠ فقالت زوجة الاسقف : « ولكننا لانستطيع دائما أن نقاوم طباعنا ، اذ يتوقف هذا على تركيبنا الجسمى ، فان الجسم اذا تألم ، توعك العقل » ٠٠ قلت : « ولكننا يجب أن نتدبر

مثل هذه الحال باعتبارها مرضا ، فنتساءل : أو ليس من علاج لهذا ؟ •• أن نكد المزاج يشبه الخمول ، اذ يبدو لنا طبيعيا ، ولكنا لو أقدمنا مرة على استثارة النشاط فى أنفسنا ، لوجدنا ان العمل ينطلق بين أيدينا من جديد ، ولتذوقنا متعة حقيقية فى النشاط ، الذى كنا نعافه ! •• ان المسألة تتمثل فى شعور ممض ، يود كل واحد لو يفر منه ، ولكن أحدا لا يمكن أن يعرف مدى قوته مالم يجربه •• اننا نلقى المواعظ ضد كثير من الجرائم ، ولكنى لا أذكر قط موعظة ضد المزاج العكر !

وكانت « فردريكا » تصغى بانتباه •• وقال الهرشميت : « انك تدعو نكد المزاج جريمة ، ولكنى أحسبك تبالغ » •• **فأجبت : « أبدا •• فأى شىء أجدر بأن يلقب بالجريمة من ان نسىء الى أنفسنا والى من حولنا ؟ •• هل يجب أن يحرم كل منا الآخر من البهجة التى نستطيع جميعا أن نخلقها لأنفسنا ؟ •• أرنى الانسان الذى أوتى الشجاعة على أن يخفى كدره ، وأن يتحمل وحده العبء كله دون أن يزعج طمأنينة من حوله !؟ •• ان النكد ينبعث عن ادراك داخلى بنقص مواهبنا •• من استياء يرافق دائما ذلك الحسد الذى يثيره الغرور الاحمق !»** •• وابتسمت شارلوت لى •• واغرورقت عينا فردريكا •• فاندفعت أقول : « واها لأولئك الذين يستغلون سلطانهم على القلب البشرى ليقضوا على المسرات البسيطة التى من حقه أن ينعم بها بطبيعته ! » •• واشتد حماسى وأنا أمضى فى حديثى ، فلم أفطن الا على صوت « شارلوت » تنبهنى الى موعد انصرافنا •• ويا لحنانها وهى تؤنبنى فى الطريق على انسياقى لكل ذلك الانفعال ، خلال الزيارة !

٨ يوليو : يا للانسان من طفل تشقيه نظرة ! •• كنا فى (فالهايم) •• ثلة من الشبان والفتيات ، يسودنا المرح •• وفيما كنا نتنزه ، خيل الى اننى رأيت فى عينى شارلوت الداكنتين – يالى من أحمق •• ولكن ، اغفر

لى !٠٠ ليتك تراهما ٠٠ هاتين العينين ! ـ كنـــا نقف عند باب العربة ، والسيدات يصعدن اليها بعد النزهة ، وراقبت عينى شارلوت ، فاذا هما تنتقلان من وجه الى آخر ، ما عدا وجهى أنا ٠٠ أنا الذى وقفت بلا حراك ، والذى لم يكن يرى أحدا سواها !٠٠ وودعها قلبى ألف مرة ، ولكنها لم تبد اهتماما بى !٠٠ وما ان تحركت العربة ، حتى اغرورقت عيناى بالدموع ٠٠ وتبعتها ببصرى ، وفجأة ، لمحت قبعة شارلوت تبرز من النافذة وهى تطل الى الوراء ٠٠ أفكانت تنظر الى ؟٠٠ لست أدرى ، وانى لأجد فى هذا الجهل عزاء !

١٠ يوليو : ليتك ترى كيف أضطرب حين يذكر اسمها فى جماعة أجلس بينها ، لا سيما اذا سئلت فى صراحة عن مدى ميلى اليها ٠٠ ميلى اليها !٠٠ اننى لأكره هذا التعبير ٠٠ أى مخلوق هذا الذى يقنع من شارلوت بمجرد الميل اليها ، فلا يكون أسيرها بكل قلبه وحواسه ؟

١٣ يوليو : لا ، لست واهما ٠٠ اننى أقرأ فى عينيها الدعجاوين اهتماما صادقا بى وبأمورى ٠٠ أجل ، اننى أحس بذلك ، وقد يجوز لى ان اصدق قلبى الذى ينبئنى ٠٠ هل اجسر على ان أقولها ؟٠٠ هل أجرؤ على ان أنطق بالكلمات القدسية ؟٠٠ انه ينبئنى بأنها ٠٠ تحبنى !٠٠ انها تحبنى !٠٠ كم ترفع هذه الفكرة من قدرى فى نظر نفسى !٠٠ كم أمجد نفسى ما دامت «هى» تحبنى !٠٠ ومع ذلك فاننى أشعر ـ اذا ما تحدثت عن خطيبها بمزيد من الحرارة والود ـ بشعور الجندى الذى يجرد من أوسمته ورتبه ٠٠ وسيفه !

١٦ يوليو : لكم يخفق قلبى اذا لمست أصابعها عفوا ، أو لامست قدمى قدمها تحت المائدة !٠٠ اننى أتراجع وكأننى أتفادى « أتونا » ! ولكن قوة خفية تدفعنى الى الاقتراب ثانية ، ومشاعرى فى ارتباك !٠٠ ان قلبها البرىء ، الغافل ، لا يدرى أى شجون تثيرها هذه السفاسف فى نفسى !٠٠ ولقد تضع أحيانا يدها على يدى ، وتقترب ـ فى عنفوان الحديث ـ منى ، فتلفح أنفاسها اللطيفة شفتى ٠٠ اذ ذاك أشعر كأن صاعقة أصابتنى ، فأود لو أغوص فى الارض !٠٠ لا ، لا ٠٠ ان قلبى ليس مفسودا ٠٠ انها لدى كائن قدسى ، تسكن فى حضرته كل الشـــهوات ٠٠ لست أدرى كيف أصف مشـــاعرى وهى قريبـــة منى ٠٠ لكأن روحى تخفق فى كل جارحـــة من جسدى !

١٨ يوليو : ما قيمة الدنيا فى قلوبنـا بلا حب ؟٠٠ لم يكن بوسعى ان أرى شارلوت اليوم ، فأرسلت خادمى الى دارها، حتى يتاح لى أن أرى شخصا كان على مقربة منها ، على الاقل !٠٠ ان مجرد التفكير فى أن عينى شارلوت وقعتا على ملامحه ، وعلى خديه ، وعلى كل وجهه ، قد جعـــل

لكل ذلك قيمة لا تقدر فى نظرى ٠٠ فلست أرضى - فى لحظتى هذه - بأن افترق عنه ، ولو لقاء أكبر مبلغ من المال ، اذ ان وجوده يسعدنى !٠٠ لا تضحك ٠٠ ألا يمكن للوهم أن يسعدنا ؟

٢٠ يوليو : تقول أن أمى ترغب فى ان التحق بعمل ؟٠٠ اننىلا أتمالك انأضحك لهذا ٠٠ أو لست مشغولا بما فيه الكفاية ؟

٢٤ يوليو : تصر على ان لا أهمل الرسم ؟٠٠ اننى لم أكن قط أسعد منى اليوم ، ولا أكثر فهما للطبيعة ٠٠ ومع ذلك فأنا عاجز عن ان اعبر عن نفسى ٠٠ كل شىء يبدو مهتزا كالضباب أمامى ٠٠ لقد شرعت فى رسم شارلوت ثلاث مرات ، وكنت فى كل مرة استحى من نفسى ٠٠

٢٦ يوليو : كثيرا ما عزمت على ان أقتصد من لقائها ، ولكن ٠٠ منذا الذى يقوى على التزام مثل هذا القرار ؟٠٠ ان ذلك يذكرنى بقصة كانت جدتى لا تفتأ ترويها عن جبل من حجر المغناطيس ، ما ان تقترب منه سفينة حتى يجتذب كل حديد فى بنيانها !

٣٠ يوليو : وصل « البرت » ، فحق على ان أرحل ٠٠ ان خطيبها هنا يا « فيلهلم » ٠٠ شاب لطيف ، محترم ، لا يملك المرء الا ان يحبه !٠٠ **ومن حسن حظى اننى لم احضر لقاءهما ، والا لكان قلبى قد تحطم !٠٠ ثم انه محتشم ، لم يقبلها قط فى حضورى ٠٠ ولتجزه السماء عن هذا ! ٠٠ ولا بد لى من ان أحبه لما يبديه من احترام لى ، وان كنت اظننى مدينا بهذا الى شارلوت ٠٠ فان للنساء فنا رقيقا فى علاج هذه الامور ٠٠ انهن لا يستطعن دائما أن يبقين غريمين على وفاق ، ولكنهن اذا نجحن فى ذلك ، كن الرابحات الوحيدات !**

مهما يكن من أمر ، فقد انقضت بهجتى مع شارلوت ٠٠ اننى أقف كالغبى ، ارقب فى ذهول رجلا آخر يفد فيحرمنى من حبيبتى !٠٠ لشدما احنق على أولئك الذين ينصحوننى بالتجلد ، لاننى لا أملك ان أتجلد !

٨ اغسطس : ما كنت مغاليا فى حنقى على أولئك الذين ينصحون بالتجلد ازاء القدر الذى لا مفر منه ٠٠ **أكاد اسمعك تقول اننى اما أكون آملا الحصول على شارلوت ، فيجب أن أمضى فى تحقيق بغيتى ٠٠ واما ان لا يكون لدى أمل ما ، وفى هذه الحال يجب أن أكون « رجلا » فأدفع عنى الشعور بالشقاء** ٠٠ أتراك تطلب الى التعس الذى تتبدد حياته وئيدا تحت وطأة مرض بطىء الفتك ، ان يخلص نفسه بطعنة خنجر ؟٠٠ ألا ترى ان الخلل الذى يستنفد قواه يحرمه من القدرة على تخليص نفسه واراحتها ؟

١٠ اغسطس : لو لم أكن أحمق ، لآثرت ان أقضى هنا أسعد وأبهج حياة !٠٠ **وهل أسعد من أن تفتح لى هذه الاسرة الفاتنة صدرها ، وان يحبنى**

الأب كما لو كنت ابنا ، ويحبنى الأطفال كما لو كنت أبا ٠٠ وتحبنى شارلوت !٠٠ وألبرت النبيل الذى لا يعكر هناءتى قط بأى مظهر للنكد ، بل يتلقانى بأصدق الود ، ويحبنى أكثر من كل فرد فى الدنيا بعد شارلوت !

١٢ أغسطس : ان البرت خير شاب فى الدنيا بلا شك ٠٠ ذهبت اودعه قبل ان آتى الى هذه الجبال - التى اكتب منها - لأقضى بضعة أيام ٠٠ وفيما كنت فى حجرته ، سألته ان يعيرنى مسدسه ، فقبل ، على ان أتولى حشوه بالطلقات بنفسى ، لانه لا يبقيه محشوا ، على اثر حادث وقع منذ شهور ثلاثة ٠٠ اذ حدث أن عهد الى خادمه تنظيف المسدسين ، فخطر للخادم أن يداعب زميلة له ، واذا رصاصة تنطلق فتقضى عليها !٠٠ ومنذ ذلك الحين حرص « البرت » على ان يحتفظ بكل أسلحته فارغة ٠٠ وفيما كان يروى القصة ، شرد ذهنى ، فصوبت فوهة المسدس الى جبهتى ، واذا بالبرت ينتزعه منى ٠٠ فلما قلت له : « انه غير محشو » ، قال : « ولو ٠٠ اننى لا أتصور ان يبلغ الجنون برجل الى حد ان يقتل نفسه » ٠٠ قلت : « لماذا يصف المرء أى عمل بالجنون أو بالحكمة ٠٠ بالخير أو بالشر ؟٠٠ هل أمعنت يوما فى تدبر الحوافز الخفية لتصرفاتنا ؟ »

- ولكنك تقر بأن بعض الاعمال جرائم ، مهما كانت الحوافز ٠٠

- هناك استثناءات ٠٠ فالسرقة جريمة ، ولكن ، ماذا ترى فى الرجل الذى يقارفها عن فقر مدقع ، ودون ماغرض الا انقاذ أسرته من الهلاك ؟٠٠ هل تراه أهلا للشفقة ، أم للعقاب ؟٠٠ ومنذا الذى يرمى بالحجر الاول زوجا يضحى بزوجته الخائنة وعشيقها فى سورة الاستنكار لخيانتهما ؟

- هذه مسألة أخرى ٠٠ فالرجل تحت سلطان الانفعال العنيف يفقد كل قدرة على التفكير ، ويعتبر كالغائب الحس ، أو المخبول !

- واها لكم يا أصحاب الفهم السليم !٠٠ لقد عرفت من تجاربى ان كل الشواذ من الرجال ، الذين أتوا أجل الاعمال وأروعها ، كانوا فى نظر الدنيا سكارى أو مخبولين !

- انك تبالغ ٠٠ لقد كنا نتحدث عن الانتحار ، فاذا بك تقارنه بالاعمال الجليلة ، فى حين انه لا يمكن ان يعتبر سوى ضعف ٠٠ اذ ان الموت أسهل من الجلد على تحمل حياة الشقاء ٠٠

- أتدعوه ضعفا ؟٠٠ حذار ان تغرك المظاهر ٠٠ هل تسميه ضعفا ان تنهض أمة طال أنينها تحت ربقة غاشم ، فتحطم قيودها ؟٠٠ وهل تراه ضعيفا ذاك الذى يهاجم عشرة من أعدائه فى سورة الغضب لاهانة لحقته ، فيضطرهم للفرار ؟٠٠ اذا كانت المقاومة قوة ، فكيف تكون أعلى درجات المقاومة ضعفا ؟٠٠ لننظر الى المسألة من ناحية أخرى ، فنبحث الحال الفكرية للرجل

الذى يقرر ان يتحرر من اعباء الحياة ـ وهى اعباء كثيرا ما يكون فى حملها متعة ! ـ ان للطبيعة البشرية حدودا ٠٠ فهى تقوى على احتمال قدر معين من الفرح ، والاسى ، والالم ، ولكنها تموت بمجرد تجاوز هذه الحدود ٠٠ فالمسألة ليست مجرد ضعف المرء أو قوته ، وانما هى تتمثل فى : هل هو قادر على تحمل مقدار آلامه ؟٠٠ والآلام قد تكون بدنية ، أو معنوية ٠ وفى رأيى أن من السخف أن نصف رجلا بالجبن لانه قضى على نفسه ٠٠ تماما ، كما لو رمينا بالجبن من يموت بحمى خبيثة !

٠٠ لكن « البرت » لم يقتنع بصحة هذه المقارنة ، وقال انه لا يجد عذرا للرجل العاقل ، الواسع الرأى والخبرة ، اذا انتحر ، فهتفت : « يا صديقى ، ان الانسان هو الانسان مهما اتسعت مداركه ، اذ ان هذه المدارك تغدو قليلة القيمة اذا ما احتدمت وقدة الانفعال فى نفسه ، فيشعر انه حبيس الحدود الضيقة التى عينتها له الطبيعة »

٠٠ وافترقنا دون أن يقنع أحدنا الآخر !

١٠ أغسطس : لا مراء فى انه ليس ثمة مالا غنى عنه فى هذه الدنيا أكثر من الحب !٠٠ **فأنا أعتقد ان شارلوت لن تستطيع ان تستغنى عنى دون ألم** ٠٠ بل ان الاطفال لم تعد لهم أمنية سوى ان أعود لزيارتهم فى الغد ٠٠

١٨ أغسطس : هل لا بد من ان يكون مبعث هنائنا هو أيضا منبع شقوتنا ؟٠٠ ان الاحساس الكامل المرهف الذى أذكى فى فؤادى حب الطبيعة ، وغمر نفسى بفيض من الغبطة ، أصبح اليوم عذابا لا مهرب منه ولا سبيل الى احتماله !٠٠ **لكأنما ازيح عن عينى حجاب ، وبدلا من مباهج الحياة الازلية ، اذا بى أرى هوة قبر لا قرار له تفغر فاها أمامى ٠٠ هل لنا ان نقول عن شىء انه موجود ، فى حين ان كل شىء يمضى ، والوقت يحمل كل شىء بسرعة العاصفة ؟٠٠ حتى وجودنا العابر يحمله السيل الجارف ، فاما ابتلعه اليم ، واما ارتطم بالصخور !٠٠ وليست ثمة لحظة تمر الا وهى تتربص بك وبمن حولك ٠٠ ولا من لحظة الا وتغدو انت أيضا فيها من معاول الدمار ٠٠ فأخف مشية تمشيها قد تحرم آلافا من الحشرات المسكينة حياتها ٠٠ خطوة واحدة قد تقضى على عمل غلة كادحة رائبة ، وتحيل عالما صغيرا الى فوضى وخراب** ! ٠٠ ان قلبى يأسى لهذه القوة المدمرة الكامنة فى كل جزء من الطبيعة ٠٠ ان الطبيعة لم تخلق شيئا لا يستنفد نفسه وما حوله !

٢١ أغسطس : عبثا أبسط ذراعى نحوها اذا ما استيقظت فى الصباح من نومى المكدود ٠٠ وعبثا أبحث عنها اذا ما خدعتنى أحلامى ولوحت لى بالسعادة فأرتنيها قريبة منى ! اننى لأبكى لأحزانى المرتقبة ٠٠

٢٢ **أغسطس** : يا للحظ التعس ، يا « فيلهلم » !٠٠ لقد هبط نشاطى الى خمول مقيم ٠٠ لم أعد أستمرىء الشعور بجمال الطبيعة ، ولا عادت الكتب ترضينى ٠٠ اننى أوشك ان اكتب الى الوزير معلنا قبولى المنصب الذى عرض على من قبل لأكون مرافقا للسفير ٠٠ وانى لأذكر بين ساعة وأخرى تلك القصة الخرافية عن الجواد الذى سئم الحرية ، فعمل على ان يسرج ويمتطى ويرهق حتى الموت !

٢٨ **أغسطس** : اذا كان لعللى من شفاء ، فشفاؤها بالتأكيد هنا ٠٠ اليوم عيد ميلادى ، وقد تلقيت فى البكور طردا من ألبرت ، وجدت فيه الاشرطة الوردية التى كانت تزين ثوب شارلوت فى أول مرة رأيتها ، والتى كثيرا ما رجوتها ان تعطينيها ٠٠ وكان معها جزءان من طبعة جديدة من اشعار « هوميروس » ٠٠ لقد قبلت الشريط ألف مرة ، ورحت أملأ صدرى مع كل نفس بذكريات تلك الايام الهانئة السعيدة ٠٠

٣٠ **أغسطس** : ما أشقانى !٠٠ لم أخدع نفسى هكذا ؟٠٠ ما الذى يرتقب من كل هذا الوجد الجامح ، الذى لا غاية له ولا نهاية ؟٠٠ لم يعد خيالى يرى سواها ، وليس لكل ما يحيط بى أدنى اعتبار الا فيما يتعلق بها !٠٠ اواه يا فيلهلم !٠٠ ان صومعة الناسك ، وثوبه الخشن ، وفراشه الشائك ، تعتبر ترفا ونعيما اذا قورنت بما أعانى ٠٠ وداعا !٠٠ لا أرى نهاية لهذه التعاسة غير القبر !

٣ **سبتمبر** : يجب أن أنأى ٠٠ لقد ظللت أسبوعين وأنا أفكر فى أن افارقها ٠٠

١٠ **سبتمبر** : يالها من ليلة !٠٠ أرانى الآن يا فيلهلم قادرا على احتمال أى شيء ٠٠ لن أراها ثانية !٠٠ وها أنذا أجلس لاهث الانفاس ، اجاهد كى أتمالك نفسى ، فى ارتقاب مطلع النهار ، اذ ستكون الجياد معدة أمام دارى مع شروق الشمس

أما هى فتنام فى طمأنينة ، لا يخطر ببالها انها قد رأتنى للمرة الاخيرة!٠٠ لقد غدوت حرا ٠٠ ولقد وجدت من القوة ما مكننى من ان لا أكشف عن شيء من عزمى ، خلال ساعتين قضيتهما معها ٠٠ وكان ألبرت يجلس الى جوارها فى دارى ٠٠ أما أنا فكنت قلقا لا أكاد أجلس حتى أنهض ٠٠ ونبهتناشارلوت الى جمال القمر اذ أشرق ، وقالت : « كلما سرت فى ضوء القمر ، تذكرت كل أحبائى وأصدقائى الراحلين ، وملأت ذهنى أفكار الموت وما بعده ٠٠ لسوف نعيش ثانية يا فرتر ، ولكن ، هل سيعرف كل منا صاحبه ؟ »

فتناولت يدها وقد اغرورقت عيناى وقلت : « لسوف يرى كل صاحبه ثانية يا شارلوت ٠٠ سنلتقى فى هذه الدنيا ، وفيما بعدها » ٠٠ لماذا تراها

وجهت الى هذا السؤال فى اللحظة التى امتلأ فيها قلبى بقسوة الفراق ؟

وعادت تتساءل : « وهل يدرك الراحلون ما نفعله فى دنيانا هذه ؟.. هل يعرفون ما اذا كنا بخير وهناء ؟.. هل يشعرون حين نستعيد ذكراهم فى حب وشغف ؟ »

وفاض بها الحنين الى أمها ، فراحت تتحدث عنها ، فى اعزاز ولوعة . وروت ذكرى أيامها الاخيرة ، وكيف اجتمعت وألبرت حول فراشها .. وكيف راحت توصيها بأن تكون اما لأطفالها ، وبأن تؤدى لأبيها ما كانت تؤديه هى من خدمة ورعاية .. وكيف تمنت لها ان تسعد مع ألبرت ، وأن يسعد ألبرت بها .. واستطردت : « ومع ذلك ، فقد قدر ان تفارقنا مخلوقة كهذه .. يا فرتر !.. يا الهى العظيم ، أوحتم علينا أن نفترق عن كل ما نعتز به فى هذه الدنيا ؟ »

ونهضت .. ولكننى ظللت جالسا ، ممسكا بيدها .. وهتفت : « لسوف نلتقى ثانية ، وسيعرف كل منا الآخر رغم كل تغير محتمل !.. اننى راحل .. راحل عن طواعية .. فوداعا يا شارلوت !.. وداعا يا ألبرت ! » فقالت مبتسمة : « الى الغد ! » .. ووقفت أشيعهما بنظرى تحت ضوء القمر ، ثم ارتميت على الارض أبكى .. وما لبثت ان نهضت ، فجريت الى الشرفة ، ورأيت ذيل ثوبها يتوارى عند باب الحديقة ، بين ظلال الاشجار ، فبسطت ذراعى .. واختفت !

الجزء الثانى

٢٠ أكتوبر : وصلنا الى هنا بالامس .. فالسفير عليل ، لن يغادر مضجعه لبضعة أيام .. لو انه كان أقل نكدا ومشاكسة مما هو عليه ، لسار كل شىء على خير حال .. اننى أرى بجلاء ان السماء قد قضت على بأن أخوض تجارب قاسية ..

ولكن صبرا ، فلسوف يتحسن كل شىء ، اذ أؤكد لك ياصديقى العزيز انك كنت على حق ، فقد أصبحت أكثر رضى عن نفسى منذ بدأت أخالط الناس باستمرار ، وأراقب ما يفعلون ، وكيف يعملون .. **لقد خلقتنا الطبيعة بحيث لا نكف عن قياس أنفسنا بغيرنا ، وبحيث تتوقف سعادتنا وشقوتنا على الاشياء والاشخاص المحيطين بنا .. ومن ثم ، فليس أخطر من الوحدة والعزلة ، اذ يميل خيالنا فيها الى النشاط ، فيحلق على أجنحة الوهم ،ويصور لنا سلسلة من الكائنات التى نبدو أقل منها شأنا وقدرا ..** كل شىء يبدو أعظم مما هو ، وكل شىء يبدو أرقى منا ..

٢٦ نوفمبر : بدأت أجد مركزى محتملا ، بالنسبة الى جميع الظروف ، اذ أجد ميزة كبرى فى أن أكون جم المشاغل ٠٠ **ولقد تعرفت الى الكونت « ك » ، وانى لأزداد تقديرا له يوما بعد آخر ، اذ انه رجل ذكى الفهم ، بعيد النظر ، يبعث فى النفس ادفأ عواطف الود ، ويستجيب لها فى الوقت ذاته** ٠٠ وقد أبدى اهتماما بى ٠ تبين لاول وهلة ان كلا منا يفهم الآخر ، وان بوسعه أن يتبادل معى من الحديث مالم يعتد ان يتبادله مع الآخرين ٠٠

٢٤ ديسمبر : لا حد لما يسببه السفير لى من مضايقات مكدرة ، فهو كثير الوساوس ، يسرف فى التشبث بأتفه المظاهر والاساليب الرسمية ٠٠ وليس يعزينى سوى صداقتى للكونت « ك » ، الذى صارحنى منذ أيام بأنه مستاء للعقبات التى يثيرها السفير ، ولاسرافه فى التؤدة والتزام الدقة ، وقال ان أمثاله هم بمثابة عراقيل فى طريق أنفسهم وطريق سواهم ، وان كان المرء ملزما بأن يحتملهم ، لأن وجودهم أمر واقع ٠٠

ويرقب السفير العجوز ميل الكونت الى فى غيظ ، ولا يفتأ فى كل فرصة يحقر من شأنه على مسمع منى ٠٠ ومن الطبيعى أن أدافع عنه ، فلا يزداد الامر الا سوءا ٠٠ وانت الملوم فى كل هذا ٠٠ انت الذى اغويتنى على أن أذل عنقى لهذه الربقة ، اذ رحت تزين لى حياة العمل والنشاط ٠٠

تعرفت أخيرا الى فتاة جد لطيفة تدعى الآنسة «ب» ، استطاعت أن تحتفظ بمناقبها الطبيعية وسط هذه الحياة المتكلفة ، المصطنعة ٠٠ وهى ليست من أبناء هذا البلد ، ولكنها تقيم مع عمة عجوز لها ، لا تروق طلعتها للعين ، وقد ذكرت لى ابنة أخيها انها تملك ثروة بسيطة ٠٠ ولكن ثروتها منالفهم والادراك أقل وأضأل !

٨ يناير سنة ١٧٧٢ : أى كائنات هؤلاء الاشخاص الذين لايشغلهم سوى المظهر والمنصب ، والذين يقضون السنين مكرسين جهودهم العقلية والبدنية فى سبيل أن يتقدموا خطوة واحدة !٠٠ ان هؤلاء الاغبياء لايرون ان المركز لا يخلق العظمة الحقيقية ، اذ أن الرجل الذى يشغل المكانة الاولى ، قل أن يقوم بالدور الاول ٠٠ فكم من ملوك يسيطر عليهم وزراؤهم ، وكم من وزراء يسيطر عليهم سكرتيروهم !

٢٠ يناير : « أكتب اليك ياعزيزتى شارلوت من غرفة صغيرة بفندق ريفى لذت به من عاصفة عنيفة ٠٠ لم أحس قط بأتفه ميل الى أن أكتب اليك طيلة مقامى فى ذلك البلد المنكود «د» ، حيث كنت أقيم وسط أغراب ٠٠ أغراب عن القلب فعلا !٠٠ **أما فى هذا المعزل ، والجليد والريح يصفعان هذه الشباك المثبتة الى النافذة ، فأنت أول من أفكر فيه ٠٠ اذ أن طيفك نهض أمامى فور ولوجى الحجرة ، وانبعثت الذكرى ٠٠ أواه ، ياشارلوتى !٠٠**

الذكرى القدسية ، الرقيقة !٠٠ اننى لا أنعم بالسعادة لحظة واحدة ٠٠ كل شىء عبث لا يحرك قلبى ٠٠ ان القوة التى كانت تبعث الحياة فى نشاطى قد ولت !

لم أجد من يستثير اهتمامى هنا ، سوى آنسة تدعى «ب» ، تشبهك ياعزيزتى شارلوت ـ اذا صح ان هناك من تشبهك ! ـ ان لها روحا غنية ، تشع خلال عينيها الزرقاوين العميقتين ٠٠ وهى تضيق بمكانتها الاجتماعية ، ولا تحجم عن أن تهجر هذه الاوساط الحافلة بالمظاهر ، وكثيرا مانتصور لنفسينا حياة لا يعكر هناءتها شىء ، فى معزل قصى بالريف ٠٠ ولا نلبث أن نتحدث عنك ياعزيزتى شارلوت ، اذ أصبحت تعرفك ٠٠ وتحبك ، وتسر بأن تسمع الحديث عنك

أواه ! ٠٠ لكم أتوق الى الجلوس عند قدميك ، فى غرفتك المفضلة ،والصغار يلعبون حولنا !٠٠ وداعا !٠٠ وهل ألبرت معك ؟٠٠ وماعلاقته بك ؟ ٠٠ليغفر الله لى هذا السؤال ! »

٢٠ فبراير : « بارك الله فيكما ياصديقى العزيزين ، وليسبغ عليكمامايحرمنى منه من هناءة !٠٠ أشكرك يا ألبرت اذ خدعتنى ، فلقد ظللت أنتظر نبأ تحديد يوم زواجكما ، لأنزع عن الجدار الصورة التى رسمتها لشارلوت ، وأدفنها مع مالدى من أوراق ٠٠ **وهاقد تزوجتما والصورة لا تزال فى مكانها ٠٠ حسنا ، لتبق ! لم لا ؟ ٠٠ اننى أدرك اننى لا أزال واحدا منكم ، وما برحت أشغل من قلب شارلوت مكانة لم تمس ٠٠ المكانة الثانية ، وانى لأتمسك بالاحتفاظ بها ٠٠ أواه !٠٠ اننى خليق بأن أجن لو أنها نسيتنى !٠٠** كأن هذه الفكرة جحيم يا ألبرت ! ٠٠ وداعا ، يا ألبرت ٠٠ وداعا ياملاك السماء ٠٠ وداعا ياشارلوت ! »

١٥ مارس : صادفت حادثا محزنا ، سيبعدنى عن هذا المكان ، فقد فقدت كل صبر ! ٠٠ ان الكونت « او » يحبنى ، ويقدرنى ٠٠ وقد دعانى للغداء أمس ـ وهو اليوم الذى اعتاد فيه علية القوم أن يقضوا سهرتهم فى داره ـ وبعد الغداء ، اندمجنا فى الحديث ، حتى بدأت طلائع الساهرين تفد ٠٠ واذ كنت أكره هذه الطبقة من الناس ، فقد تأهبت للانصراف ٠٠

واذا الآنسة «ب» تقبل ، فمكثت أحدثها ٠٠ ولم ألحظ الا بعد وقت انها كانت مرتبكة ، وقد كفت عن الرد فى طلاقتها المعهودة ٠٠ فبهت ، وخيل الى أنها كسواها من أبناء هذه الطبقة ، فشعرت بالسخط ، وهممت بالانصراف ٠٠ لكنى مكثت ألتمس لمسلكها الاعذار !٠٠ وكان عقد القوم قد اكتمل ،فبدأت ألاحظ أمورا غريبة : نظرات ، وهمسات ٠٠ ومالبث الكونت أن أقبل ، فاقتادنى الى النافذة ، وقال : « انت تعرف سخف عاداتنا ٠٠ وانى لألمح

استياء القوم لوجودك ٠٠ وماكنت ، مهما كانت الاعتبارات ٠٠ » ، فقاطعته قائلا : « معذرة ٠٠ كان يجب أن أفكر فى هذا من قبل ٠٠ ولكنى واثق من انك ستصفح عن هذا الاغفال ٠٠ لقد كنت أهم بالانصراف »

وأسرعت بالانصراف ، الى حيث قضيت بعض الوقت مع الطبيعة ٠٠ حتى اذا أويت الى مسكنى فى موعد العشاء ، وجدت بعض الزملاء يلعبون الورق ٠٠ وتبينت أن الحادث قد بلغ أسماعهم ، وانهم لم يستخفوا به كما استخففت ، فبدأت أشعر بالالم ٠٠ اننى لا أحجم عن أن أغيب فى صدرى خنجرا اذا سمعت من يرثى لى فى كل مكان ، ورأيت أعدائى يشمتون بى ويقولون ان هذا مصير كل مغرور !

١٦ مارس : كل شيء يتآمر ضدى ٠٠ قابلت اليوم الآنسة «ب» ، فقالت « انك تعرف قلبى يافرتر ، فكيف أسأت تأويل حيرتى ؟ » ٠٠ وروت لى باكية كيف انها حاولت أن تنبهنى الى ما اكتشفته منذ اللحظة الاولى من استهجان القوم لوجودى ٠٠ ثم راحت تذكر لى أن عمتها أخذت منذ ليلة الامس تعيب عليها معرفتها بى ، وتحقرنى أمامها دون أن تقوى على الدفاع عنى ! ٠

كانت كل كلمة خنجرا طعن قلبى ٠٠ ومضت تحدثنى عما سيثار حولى من أقاويل ، وعما سيؤول اليه الحادث من انه عقاب لكبريائى ، ومن أنه مذلة استحققتها لعدم تقديرى لمن هم أعلى منى مكانة ! ٠٠ ولقد أثار هذا كله غضبى يا فيلهلم ، حتى أصبحت أتوق الى أن أرى شخصا يسخر منى ، فأضحى به فى سبيل اعتبارى ، عسى أن يفثأ منظر دمه غضبى !٠٠ ولقد أمسكت مائة مرة بخنجر وهممت بأن أريح قلبى المعذب ٠٠ وكثيرا ما أحس باغراء يزين لى أن أقطع أحد شراييني ، فأمنح نفسى حرية دائمة !

٢٤ مارس : قدمت استقالتى ، وآمل أن تقبل ٠٠ فمن الضرورى أن أبرح هذا المكان ٠٠ جادل ماشئت ، فلا بد لى من الرحيل ، وفى هذا الكفاية ٠٠ وخليق بى أن أذكر أن الامير «٠٠٠» موجود هنا ، وقد استطاب صحبتى ، وعندما سمع بعزمى على الاستقالة ، دعانى لان أقضى معه شهور الربيع فى قصره الريفى ٠٠

١٩ ابريل : قبلت استقالتى ٠٠ ولن أروى لك ماكتبه الوزير لى ٠٠ على ان ولى العهد أرسل لى منحة من خمس وعشرين قطعة ذهبية ، والواقع ان هذا الكرم بعث الدموع فى مقلتى ٠٠

٩ مايو : أنا الآن مع الامير فى كوخ الصيد الذى يملكه ٠٠ انه من الرجال الذين يسعد المرء بالحياة معهم ، فهو صريح ، آمين ، غير متقلب ٠٠ وهو يقدر مداركى ومواهبى أكثر مما يقدر قلبى ، ولكننى لا أفخر بغير هذا القلب وحده ٠٠ انه منبع كل شيء ، من قوتنا ، وسعادتنا ، وتعاستنا ٠٠ ففى



وسع أى انسان أن يحصل ما أملك من معرفة مثلا ، أما قلبى ، فهو ٠٠ لى وحدى !

٩ مايو : قل ما شئت ، ولكنى لن أستطيع أن أمكث هنا بعد اليوم ٠٠ ولماذا أمكث ؟٠٠ اننى أضيق بالوقت الذى أقضيه هنا ٠٠ ومع ان الامير أكرم ما يكون معى، الا اننى لا أشعر بارتياح، فان أذواقنا لا تتفق ٠٠

٢٩ يوليو : عاودتنى حمى غرامى ٠٠ تصورت اننى « زوجها » ٠٠ **يا الهى ، لو انك كتبت لى هذه السعادة ،لقضيت حياتى أزجى لك الحمد ٠٠ ولكننى لن أشكو ٠٠ فاغفر لى هذه الدموع ، واغفر لى هذه الامانى غير المثمرة ٠٠ وهى ٠٠ زوجتى ! أواه من مجرد تصور أحب مخلوقة وقد طويتها بين ذراعى !٠٠ ان كل كيانى ينبض بالألم حين أرى البرت يحيط خصرها النحيل بذراعيه ، يا عزيزى فيلهلم !٠٠ أأقسم لك ؟٠٠ انها خليقة بأن تكون أكثر سعادة معى ، منها معه ٠٠ فليس البرت بالرجل الذى يرضى رغبات قلب مثل قلبها !**

٢١ أغسطس : ان مشاعرى لا تفتأ تتغير ٠٠ ولقد يتفتح أمامى فى بعض الاحيان منظر سعيد للمستقبل ، ولكن هذا لا يدوم ـ للأسف ـ أكثر من لحظة !٠٠ حتى اذا استغرقت فى التفكير ، لم أتمالك أن أقول لنفسى : « لو ان ألبرت مات ٠٠ أجل ، ستصبح ٠٠ وسأصبح ٠٠ » ، وأظل وراء السراب حتى يفضى بى الى حافة الهوة التى ارتجف عندها !

٤ سبتمبر : هكذا شاءت المصادفات ! ٠٠ فبينما تسدل الطبيعة على الكون خريفها ، يستولى الخريف على نفسى وعلى ماحولى ٠٠

٥ سبتمبر : كتبت شارلوت الى زوجها ـ الذى حالت دون عودته بعض مشاغل فى الريف ـ فبدأت رسالتها بقولها : « **يا أعز حبيب ، عد بأسرع ماتستطيع ، فانى فى انتظارك بألف لهفة ٠٠** » **ولم يرسل الخطاب ، بل وقع فى يدى فى المساء ، فلما قرأته ابتسمت ٠٠ واذ سألتنى عن السبب قلت :**

« ياللخيال من كنز منحتنا اياه السماء ٠٠ لقد تخيلت لحظة ان هذه الرسالة كتبت لى » ٠٠ فبدا عليها الاستياء ٠٠ ولذت بالصمت !

١٢ سبتمبر : غابت عنى بضعة أيام ، اذ ذهبت للقاء ألبرت ٠٠ وقد زرتها اليوم ، وقبلت يدها فى وجد بالغ ٠٠ وكان ثمة عصفور صداح يطير فى الحجرة ، ومالبث أن استقر على كتفها ، فقالت : « ها هو ذا صديق جديد ٠٠ انه يقبلنى ٠٠ انظر ! » ، **وقربته الى فمها ، فضغط على شفتيها البديعتين فى شغف خيل لى معه انه يحس بالنعمة التى حظى بها !**

وعادت تقول : « وسيقبلك انت الآخر ! » ٠٠ وقربته منى ، فنقل منقاره من فمها الى فمى ، فبدا لى الشعور اللذيذ كطلائع أعذب النشوات ٠٠ ماكان ينبغى أن تستثير خيالى بمثل هذه الامور التى تتسم ببراءة سماوية سعيدة ٠٠ ولا أن توقظ قلبى من سباته !٠٠ فهى تعرف كم أحبها !

١٠ أكتوبر : مجرد النظر الى عينيها الدعجاوين يبعث فى نفسى السعادة ٠ وليس يحزننى سوى أن ألبرت لا يبدو سعيدا كما كان يأمل ٠٠ ولا كما كنت خليقا بأن أكون ، لو ٠٠ ؟!

١٩ أكتوبر : واحسرتاه !٠٠ ياللفراغ ٠٠ الفراغ الفظيع الذى استشعره فى صدرى !٠٠ فى بعض الاحيان يخطر لى اننى لو استطعت ــ مرة واحدة ، واحدة فقط ــ أن أضمها الى قلبى ، لامتلأ هذا الفراغ البغيض !

٢٩ اكتوبر : ان أصدقائى يكبروننى ، وكثيرا ما أساهم فى اسعادهم ، وأخال ان قلبى لا يخفق بدونهم ، ومع ذلك ، فلو اننى مت ٠٠ لو اننى غبت عن جمعهم ، هل تراهم يشعرون ــ والى أى أمد يشعرون ــ بالفراغ الذى يخلفه غيابى فى وجودهم ؟

٢٧ أكتوبر : أكاد امزق صدرى أسفا اذ أفكر فى عجز كل منا عن أن يؤثر فى مشاعر صاحبه ٠٠ ومع أن قلبى يتألق بأحر العـــواطف ، فاننى لا أستطيع أن أسعد الشخص الذى لا يملك مثل هذه الحرارة ٠٠

٣٠ اكتوبر : هممت مائة مرة بأن أقبلها ٠٠ يا للسماء !٠٠ أى عذاب يتمثل فى أن نرى مثل هذا الجمال الحبيب يمر أمامنا مرارا وتكرارا ، دون أن نجسر على اقتناصه !؟

٣ نوفمبر : اشهدى ياسماء ، كم آوى الى فراشى وفى نفسى رغبة ــ بل أمل ــ فى أن لا أستيقظ أبدا ! ٠٠ يااللأسى !٠٠ اننى أحس ــ محزونا ــ اننى وحـــدى سبب شجونى ٠٠ لقد جفت عيناى ، ولم يعد دمعى يروى حواسى ، فأخذت تذوى ، وتستنزف معها عقلى ٠٠ لكم أتألم ، اذ أفتقد الفتنة الوحيدة للحياة !

٨ نوفمبر : عاتبتنى شارلوت ، فى كثير من الرفق والحنان ، لما أبديه من

ضعف باقبالى فى المدة الاخيرة على الافراط فى الشراب أكثر مما اعتدت ٠٠

١٥ نوفمبر : دعنى يا فيلهلم لآلامى ، فما زالت لدى قوة كافية للاحتمال ، رغم تعاستى ٠٠ اننى ألوذ بالدين ، اذ أشعر انه يبث فى الضعيف قوة ، وفى المحزون سلوى ٠٠ ولكن ، هل تراه يوزع هذا على البشر جميعا بالتساوى ؟

٢١ نوفمبر : انها لا تشعر ، ولا تعرف ، انها تعد السم الذى سيقضى علينا كلينا ٠٠ اننى أعب فى نهم من المزيج الذى سيؤدى الى هلاكى ٠٠ ما معنى هذه النظرات الحانية التى كثيرا ـ كثيرا ؟ ٠٠ لا ، بل أحيانا ـ ترمقنى بها ٠٠ وهذا الاصغاء الذى تنصت به الى مايفلت منى ، برغمى ، أحيانا من عواطف ٠٠ والاسى الحنون الذى يلوح على محياها لآلامى ؟

٢٤ نوفمبر : انها تشعر بآلامى ٠٠ ولقد نفذت نظراتها فى هذا الصباح الى أعمق أغوار نفسى ٠٠ **فقد وجدتها وحيدة ٠٠ وأخذت تتفرس فى صامتة٠٠ وحرك مشاعرى تعبير مؤثر بدا عليها ، ونم عن أعمق ألوان العطف ، وألطف مظاهر الرثاء !٠٠ لماذا خشيت أن ألقى بنفسى عند قدميها ؟٠٠ لم لم أجرؤعلى أن أحتويها بين ذراعى وأغمرها بألف قبلة ؟**٠٠ لشد ما أصبو ياصديقى ، ولكن قلبى يتخبط فى ظلمات الشك والتوجس ٠٠

٣٠ نوفمبر : لن أعود الى سابق حالى ثانية ! ٠٠ فأينما ذهبت ، صادفتنى فاجعة تزيد من تشتتى !٠٠ واأسفاه على مصيرنا !٠٠ وااسفاه على الطبيعة البشرية !٠٠ **لقد صادفت اليوم مجنونا يهيم على وجهه ٠٠ كان فيما مضى شابا وادعا ، مليحا ، ثم غشيه الاسى فجأة ، وتولته حمى عنيفة ، وازداد شرود فكره ٠٠ وانتابه هياج أسلمه الى مصحة الامراض العقلية عاما كاملا ٠٠ يا اله السماء !٠٠ أهذا مصير الانسان ؟**٠٠ ومع ذلك فانى أغبطك أيها الشاب التعس ! ٠٠ أحسدك لما تهيم فيه من غيبوبة ذهنية !

١ ديسمبر : اسمع يافيلهلم ٠٠ لقد كان الشاب الذى كتبت لك عنه ، سكرتيرا لوالد شارلوت ، **وتملكه شغف منحوس بها ، ظل يكتمه ، ولكنه لم يلبث أن افتضح ، مما أدى الى فصله من منصبه ٠٠ وأدى هذا الى جنونه ! ٠٠ تصور تأثير هذه القصة على فى ظروفى الراهنة !** ٠٠ لقد رواها لى ألبرت ، وهو أهدأ مايكون !

٤ ديسمبر : لم أعد أطيق هذه الحال ٠٠ كانت شارلوت توقع اليوم بعض الالحان البهيجة على المعزف ، فتدافعت الدموع الى مقلتى ٠٠ **وملت الى الامام أتأمل خاتم الزواج فى أصبعها ، فسقطت دموعى ٠٠ وتحولت لفورها تعزف لحنا كثيرا ما أطربنى ٠٠ فشعرت براحة اذ عاودتنى ذكرى الماضى ٠٠ الايام الخالية التى كنت أسمع فيها هذا اللحن ٠٠ ثم تذكرت جميع**

الاحزان والشجون التى احتملتها منذ ذلك الحين ، فرحت أذرع الغرفة بخطى سريعة ، وقلبى يتلوى ألما ٠ ٠ثم سرت اليها وهتفت فى لهفة : « لا تعزفى هذا اللحن بعد الآن بحق السماء !» ٠٠ فأمسكت ، وحدجتنى بنظرةطويلة، ثم قالت وعلى شفتيها ابتسامة غاصت فى قلبى : « انت مريض يافرتر !٠٠ أناشدك أن تنصرف ، وأن تتجلد ! »

وانتزعت نفسى من المكان ٠٠ يا الهى ، انك ترى عذابى ، فلم لا تضع له نهاية ؟

٦ ديسمبر : لكم يطاردنى طيفها !٠٠ انها تملأ نفسى فى صحوى ومنامى ٠ ٠

من الكاتب ٠٠ الى القارىء

◆ **وكانت** هذه نهاية مذكرات « فرتر » التى كتبها بقلمه ، فقد تملكه الاسى والحزن فيما تلا ذلك من أيام ، واستوليا شيئا فشيئا على كل كيانه ، فاضطرب فكره تماما ، وأوهن قواه انفعال وهياج عصبى دائمان ٠٠ مما أوقعه فى النهاية فريسة ارهاق راح يكافحه بجهود أكثر استيئاسا مما سبق له وصفه ٠٠ وغدا دائم الشقاء ، غير منصف فى آرائه ٠٠ ومع أن عواطف ألبرت نحوه لم تتبدل ، **الا أن الاخير لم يكن ملوما اذ أراد أن يقصى عن شارلوت كل شبهة ، فكان كثيرا ماينسحب أثناء زيارات فرتر لزوجته ، لا عن كره أو نفور من صديقه ، وانما عن شعور بأن وجوده يثقل على فرتر ! ٠٠ ومع أن فرتر كان يدرك أنه يعكر سعادة ألبرت وزوجته ، وكان يحاول أن يكبح جماح نفسه ، الا أنه بدأ يحس بكراهية خفية نحو ألبرت !**

٠٠ وأصبح ذهنه يرزح تحت وطأة كل ما لاقى فى حياته الماضية من نحس وتعاسة ٠٠ وأخلد الى الخمول التام ، فأصبح يكره كل نشاط ، وكل عمل ٠٠ وغدا فريسة للهموم ، وللوجد غير المستقر الذى كان يحسه نحو أحب النساء ٠٠ المرأة التى قضى على راحة بالها وطمأنينتها ٠٠ وأخذت فكرة التخلص من الحياة تراوده أكثر من ذى قبل ، حتى استبدت به ٠٠ ويكفى لادراك متاعبه وصراعه الداخلى ، هذا الوصف الذى وجد بين أوراقه :

« لا يزال لوجودها ، وحظها ، وعطفها على ، قوة على استنزاف الدموع من مخى الذاوى ٠٠ ان الامر لا يتطلب أكثر من أن يرفع المرء الستار ، ويخطو الى الجانب الآخر ٠٠ فلماذا كل هذا التردد والارجاء ؟٠٠ لاننا لانعرف ماوراء الستار ٠٠ ولان لا عودة من هناك ٠٠ ولأن عقلنا يتصور ان الظلام والفوضى يجثمان على ذلك العالم الذى لا نعرفه عن يقين »

ومن العسير ان نصف الاحاسيس التى كانت نفس شارلوت تختلج بها طيلة تلك الاثناء ٠٠ على أن من المؤكد أنها انتهت الى قرار عقدت عليه العزم : ان تباعد بين فرتر وبينها ! واذا كانت قد ترددت فانما كان ترددها منبعثا عن شعور صادق بالاشفاق عليه ، بيد ان عوامل عدة أصبحت تدفعها الى الحزم ٠٠ وكان زوجها قد أخذ نفسه بالصمت المطلق ازاء الموضوع بأسره ٠٠

* * *

◆ **وفى** مساء يوم الاحد السابق على عيد الميلاد ، أقبل فرتر على دارها وهى تعد بعض الهدايا لاخوتها ٠٠ فقالت له وهى تخفى حيرتها وراء ابتسامة حلوة : « ستكون لك انت الآخر هدية اذا أحسنت التصرف » ٠٠ **فسألها عما تبغى ، فقالت له انها لا تسأله أكثر من أن لايزورها قبل يوم الخميس ، حين تجتمع الاسرة للاحتفال بالعيد ٠٠ واذ أجفل مأخوذا ، قالت له : « اننى أسألك هذا كجميل تسديه من أجل طمأنينتى وراحة بالى ٠٠ اننا لم نعد نستطيع المضى على حالنا هذه » ٠٠ ولا حظت الانفعال الذى أثارته فيه كلماتها ، فحاولت ان تغير من موضوع الحديث ، ولكنه هتف : « لا ياشارلوت ٠٠ لن أراك بعد اليوم ! » ٠٠ فأمسكت بيده وقالت : « ولم لا ؟ ٠٠ أناشدك أن تهدأ ٠٠ ألا ترى يافرتر انك تخدع نفسك ، وانك تسعى الى هلاكك ؟ ٠٠ لماذا تتشبث بحبى ، وحبى وحدى ، مع اننى لسواك ؟٠٠ اننى أخشى أن تكون استحالة حظوتك بى هى التى تذكى رغبتك فى » ٠٠ فسحب يده من يدها وهتف غاضبا : « جميل جدا ٠٠ أليس ألبرت هو الذى أوحى اليك بهذه الافكار ؟ »**

ـ انها أفكار يسهل على أى انسان أن يصل اليها ٠٠ ثم ، أو ليست فى الدنيا بأسرها امرأة طليقة تستطيع أن تسعدك ؟٠٠ تغلب على نفسك وابحث عن مثل هذه المرأة ، وصدقنى اذا قلت انك ستجدها بلا شك ٠٠

وسخر منها فى لهجة باردة ، فقالت : «مهما يكن الامر يا فرتر ٠ فلا تأت قبل عيد الميلاد ! »

وأقبل ألبرت اذ ذاك ، فوجد أن بعض مطالبه لم تنفذ ، فوجه الى شارلوت عبارات بدت لأذن فرتر جافة ٠٠ وود أن ينصرف ، ولكنه لم يقو ٠٠ حتى اذا مدت المائدة ، تأهب للخروج ، فدعاه ألبرت لأن يبقى للعشاء ، ولكنه شكره فى برود وانصرف

* * *

◆ **وظل** فرتر يذرع غرفته فى تلك الليلة فى هياج ، يتحدث الى نفسه

حينا ، ويبكى حينا آخر ، ثم ألقى بنفسه على الفراش ونام 00 وفى صباح اليوم التالى ، كتب الى شارلوت يقول :

« انتهى كل شىء ياشارلوت ، فقد عقدت العزم على أن أموت 00 وفى اللحظة التى تقرئين فيها هذه السطور ، ياخير النساء ، يضم القبر البارد بقايا هذا المخلوق القلق ، التعس ، الذى لم يعرف فى آخر لحظات وجوده سرورا أعظم من أن يتحدث اليك ! 00 عندما انتزعت نفسى من جوارك بالأمس، كانت مشاعرى مضطربة ، وحواسى مرتبكة 00 كان قلبى مثقلا بالهموم ، وقد فارقنى الامل والسرور الى الابد ، ولفت كيانى التعس برودة قاتلة 00 وراودتنى ألف فكرة 00 وجال بخاطرى ألف مشروع 00 حتى استولت على قلبى فى النهاية ، فكرة واحدة ، محددة 00 أن أموت !00 الموت ! 00 انه ليس قنوطا ، ولكنه اقتناع بأن كأس آلامى قد أترعت ، واننى بلغت الحد الذى يجب عنده أن أضحى بنفسى من أجلك 00 أجل ياشارلوت 00 يجب أن يموت واحد من ثلاثتنا 00 وسيكون هذا الواحد فرتر ! »

وفى الساعة الخامسة من مساء اليوم التالى، أضاف الى الخطاب : « تظنين اننى سأطيعك فلا أزورك حتى عيد الميلاد 00 أواه شارلوت ، اليوم والا فلا !00 فى عيد الميلاد ستمسكين بهذه الورقة فى يدك ، وأنت ترتجفين ، وتبللينها بدموعك 00 يجب 00 أواه ، ما أسعدنى اذ أشعر بأننى قد عقدت عزمى !»

فى تلك الاثناء ، كانت شارلوت فى حال فكرية يرثى لها 00 وكانت وحيدة ، فاستسلمت للأفكار 00 لقد ربطت نفسها بزوجها الى الابد 00 زوجها الذى أخلصت له بكل قلبها ، والذى كان يبدو لها منحة هبطت من السماء لاسعادها 00 ولكن فرتر كان عزيزا الى نفسها 00 وقد طبعت لقاءاتهما الطويلة ، المتكررة ، آثارها على قلبها 00 فأخذ غيابه يتهددها بفراغ بدا من المستحيل أن تملأه 00 لكم رغبت بكل قلبها أن تجعل منه 00 أخا !

وأحست فى غمرة هذه الافكار ، بأن الرغبة الحقيقية التى لم تجسر على المجاهرة بها ، هى ان تستبقيه لنفسها 00 وفيما كانت تعانى الهموم والشقاء، وقد تجاوزت الساعة منتصف السابعة مساء ، أقبل « فرتر » ، فهتفت فى ارتباك : « أراك لم تف بوعدك ! » ، فأجاب « لم أعد بشىء » 00 قالت : « كان يجب 00 من أجلى على الاقل 00 أضرع اليك من أجلنا معا » 00 ولم تكن تعى ما تفعل ، اذ أرسلت الخادم يدعو اليها بعض الاصدقاء 00 ولكنها لم تكد تفطن الى وحدتها مع فرتر حتى تمنت لو ان الخادم لم يخرج ! 00 وأغرت فرتر على أن يقرأ لها شيئا ، فانطلق يقرأ لها أشعارا ترجمها عن هوميروس ، تصف مأساة « كولما » التى فقدت أبناءها ، فأحاطتها برودة الأسى ، وظلمات الاحزان 00 وكانت الفاجعة مؤلمة ، والتصوير الشعرى



رائعا ، فانسابت دموع شارلوت مدرارة، وألقى فرتر الكتاب جانبا ، وأمسك بيدها، وطفق يبكى ٠٠ ومالت شارلوت ، ودفنت وجهها فى منديلها ٠٠ كان جيشان عواطفهما عاتيا ٠٠ وأسند فرتر جبهته الى ذراع شارلوت ، فأخذت ترتجف ٠٠ وودت لو تهرب منه ، ولكن الاسى والعطف كانا يثقلان نفسها ٠٠ وتوسلت الى فرتر بين شهقاتها أن ينصرف ٠٠ فارتجف وأمسك بالكتاب ثانية ، وراح يقرأ : « لم توقظنى أيها الربيع !٠٠ ان صوتك يملأنى حزنا ،اذ تقول : انما آنعشك بندى سماوى ٠٠ ولكن أجلى يقترب ، ولن تلبث أن تهب العاصفة التى تذهب بأوراقى ٠٠ »

وأهاجت الكلمات أشجانه ، فارتمى على قدمى شارلوت ، وأمسك بيديها يلصقهما بجبهته وعينيه ٠٠ وسرى الى نفسها ايحاء بما أعتزم ، فضمت يديه الى صدرها ، ومالت عليه وقد ثارت فى نفسها أعمق آيات الحنان ٠٠ ومست وجنتها الدافئة وجنته ، فلم يعودا يريان شيئا ٠٠ وضمها بين ذراعيه ، وشدها الى صدره ، وأخذ يغرق شفتيها المرتجفتين بقبلاته ٠٠ وصاحت بصوت واهن : « فرتر ! » ٠٠ ودفعته بيد متخاذلة ٠٠ ولم يقاوم ، بل انتزع نفسه من بين ذراعيها ، وركع أمامها ٠٠ ونهضت شارلوت فى أسى مضطرب ، وهتفت بصوت اختلط فيه الحب بالاباء : « هذه آخر مرة يافرتر ! ٠٠ لايجب أن يرى أحدنا الآخر بعد اليوم ! » ٠٠ ولاذت بالحجرة المجاورة فأوصدت بابها دونها ٠٠ ووقف فرتر برهة باسطا يديه ، يناديها فى ضراعة ، ثم هتف أخيرا وهو ينتزع نفسه من المكان : « وداعا ياشارلوت ٠٠ وداعا ٠٠ الى الابد ! »

★ ★ ★

◆ **وهام** فى ظلمات الليل ، تحت المطر والجليد ٠٠ حتى اذا عاد الى داره ، اعتكف فى غرفته ٠٠ وعندما وافاه خادمه بالقهوة فى الصباح ، كان يضيف الى الخطاب الذى أعده لشارلوت سطورا جديدة ، جاء فيها : « **٠٠ ألا أرتدى ثياب الحداد أيتها الطبيعة ، فان ابنك ، وصديقك ، وعاشقك ، يقترب من**

نهاية عمره .. اليوم آخر أيامى .. الاخير ياشارلوت ! .. ما الموت ؟ .. لقد رأيت كثيرا من البشر يموتون ، ولكنا لا نملك فكرة واضحة عن بداية وجودنا ونهايته !.. اننى فى هذه اللحظة ملك نفسى ، أو بالاحرى ملكك انت .. انت يامعبودتى !.. وفى اللحظة التالية سنكون قد افترقنا .. وقد يكون فراقنا الى الابد ! .. الموت ! .. الا اصفحى عنى .. بالأمس .. آه ، كان يجب أن يكون هذا اليوم نهاية عمرى .. ياملاكى !.. بالأمس ، وللمرة الاولى فى وجودى ، شعرت بالفرح يتألق فى أعماق نفسى .. انها تحبنى .. تحبنى ! .. ما زالت النار القدسية التى تلقتها شفتاى عن شفتيك تتقد !

« لست أحلم ، ولست أهذى ، ولكنى اذ أقترب من قبرى ، تتضح لى مشاعرى .. لسوف نوجد ثانية ، وسيرى كل منا الآخر ثانية ..»

★ ★ ★

◆ وحوالى الساعة الحادية عشرة من ذلك الصباح ، أوفد فرتر خادمه مع رقعة الى ألبرت يسأله فيها أن يعيره مسدسه ، بحجة اعتزامه القيام برحلة بعيدة .. ولم تكن شارلوت قد حظيت براحة فى رقادها فى الليلة السالفة .. كان الدم يتدفق ملتهبا فى عروقها ، وقد راحت ألف عاطفة مؤلمة تغرى فؤادها .. أترى نشوة عناق فرتر هى التى كانت تضطرم فى صدرها ؟ .. أم هو الغضب لجرأته ؟.. كيف تقترب من زوجها ، وتعترف بحادث لا مبرر لان تكتمه ، ولكنها مع ذلك لا تشعر برغبة فى الافضاء به ؟.. وكانت قد لزمت الصمت مع زوجها طويلا ، فهل تكون البادئة بخرق هذا الصمت .. وبمثل هذه المكاشفة التى لم يكن يتوقعها ؟

وأحست اذ حضر زوجها ، بأن وجود الشخص الذى أحبته واحترمته ، قد بعث فى قلبها شعورا جديدا .. وكان منهمكا فى فض رسائله ، حين أقبل عليه خادم فرتر بالرسالة ، فدفع بها الى شارلوت قائلا : « اعطيه المسدس » ، والتفت الى الخادم قائلا : « أتمنى له رحلة ممتعة !» .. ووقعت الكلمات على قلب شارلوت كالصاعقة .. ولم تدر ماذا كانت تفعل ، اذ نهضت كالمسلوبة الوعى ، فأحضرت المسدس ونفضت عنه الغبار .. ودفعت به الى الخادم ، دون أن تقوى على أن تنبس ببنت شفة .. حتى اذا انصرف ، لاذت بمخدعها وقد ثارت فى نفسها أرهب الهواجس !

وجلس فرتر ، بعد أن تلقى المسدس ، يضيف الى الرسالة : « كان المسدس بين يديك .. اننى أقبله ألف مرة ، اذ أنك لمسته !.. ان السماء تقر ما اعتزمت ، وها أنتذى ياشارلوت تقدمين السلاح القاضى !.. كانت رغبتى دائما أن أموت على يديك ، وهاهى ذى قد تحققت !.. أواه ، ياشارلوت .. ان الدهر لن يقوى على أن يمحو أثرى من فؤادك .. اننى أشعر انك لن

تقوى على أن تبغضى الرجل الذى هام بحبك فى مثل هذا الوله ! »

وكتب الى فيلهلم يودعه ويسأله أن يواسى أمه ٠٠ ثم كتب الى ألبرت يلتمس صفحه لانه عكر عليه حياته ٠٠ وقضى بقية المساء يرتب أوراقه ٠٠ ثم عاد يكتب :

« ها هو رسمك الذى كان غاليا لدى ، أرده اليك وأتوسل أن تحتفظى به ٠٠ لطالما طبعت عليه آلاف القبلات ، وكم من مرة سعد فيها قلبى به ، عندما كنت أعود الى دارى بعد أن أفارقك ٠٠

« لقد ضرعت الى أبيك أن يحمى رفاتى ٠٠ فعند الطرف المشرف على الحقول ، من ساحة الكنيسة ، تقوم شجرتان من أشجار الزيزفون ٠٠ هناك أحب أن أثوى ٠٠ وفى وسع أبيك أن يحقق هذا لصديقه ، وما أشك فى أنه فاعل ٠٠ فتوسلى اليه أن يفعل ! ٠٠ ولكن ، ربما يأنف المتدينون الاتقياء أن تدفن أجسادهم على مقربة من جسد تعس ، شقى ، مسكين مثلى ٠٠ اذن ، فدعينى أدفن فى واد سحيق ، أو على مقربة من الطريق الخلوية ، حيث يستعيذ القس والمتزمت اذا مرا بقبرى ، وحيث يسكب السامرى والمتسامح دمعة على مصيرى٠٠

« أواه ، ما أسعدنى اذ أحظى بنعمة الموت من أجلك ! ٠٠ وكم كان يبهجنى أن أضحى بنفسى فى سبيلك يا شارلوت ! ٠٠ وهل كان يسعنى الا أن ألاقى حتفى فى اقدام وسرور ، لكى أعيد الى صدرك الطمأنينة والفرح ! ٠٠ **انما هم قلة مختارة ، أولئك الذين يحظون بمتعة اراقة دمائهم من أجل أصدقائهم ، وبنعمة الموت كى يضاعفوا ألف مرة سعادة أولئك الذين أولوهم الحب !**

« اننى أحب يا شارلوت أن أدفن فى الثوب الذى أنا فيه الآن ، فلقد أكسبته لمساتك قداسة٠٠وقد رجوت من أبيك هذا الصنيع٠٠**ان روحى لتحلق محومة فوق لحدى ٠٠ وأرجو أن لا تفتشى جيوبى ، فقد أودعتها حزمة الاشرطة الوردية التى كانت تزين صدر ثوبك فى أول مرة رأيتك ، وقد أحاط بى الاطفال ٠٠ أواه ، ألا قبليهم عنى ألف مرة ، وحدثيهم عن مصير صديقهم الشقى ! ٠٠ أكاد أتصورهم يلعبون حولى ، هؤلاء الصغار الاعزاء ! ٠٠ لشد ما ارتبطت بكم يا شارلوت ٠٠ ولكم وجدت من المستحيل أن أفارقك منذ الساعة الأولى التى رأيتك فيها ٠٠ هذه الاشرطة يجب أن تدفن معى ، فقد كانت هديتك لى فى عيد ميلادى ٠٠ لكم تضطرب كل هذه الذكريات فى ناظرى ! ٠٠ ما كان أبعدنى اذ ذاك عن أن أفكر فى الرحيل وسلوك هذه الطريق ! ٠٠ ولكن اطمئنى ! ٠٠ اننى أضرع اليك أن تطمئنى ولتسكن نفسك !**

« تجاوزت الساعة الحادية عشرة ٠٠ كل شىء صامت حولى ، ونفسى هادئة ٠٠ أشكرك يا الهى ، اذ منحتنى القوة والشجاعة فى هذه اللحظات الاخيرة ٠٠ انظرى ياشارلوت !٠٠ لست أرتجف اذ أتناول الغدارة الباردة ، القاتلة ،

التى سأرشف من كأسها الموت ٠٠ ان يديك تقدمانها لى ، ومن ثم فأنا لا أرتعش ٠٠ لقد تم كل شىء الآن ٠٠ تحققت كل رغبات وجودى وآماله ٠٠ وبيد باردة ، غير هيابة ، أطرق أبواب الموت ٠٠

« ان المسدس محشو ٠٠ والساعة تدق الثانية عشرة ٠٠ وها أنذا أختم صلاتى ٠٠ شارلوت ، شارلوت ! ٠٠ وداعا ، وداعا ! »

★ ★ ★

◆ وفى الساعة السادسة من الصباح التالى ، ولج الخادم غرفة فرتر يحمل شمعة ، فألفى سيده مسجى على الأرض غارقا فى دمائه ، والمسدس الى جواره : ٠٠ فصرخ ، وتناوله يقلبه بين ذراعيه ، لكنه لم يحظ منه بجواب ٠٠ على ان حياته لم تكن قد خبت بعد ، فجرى الخادم الى الجراح يدعوه ، ثم أسرع الى ألبرت ٠٠ واذ سمعت شارلوت رنين الجرس ، سرت فى جسدها رعدة باردة ، فأيقظت زوجها ، وخفا معا من الفراش ٠٠ وأزجى اليهما الخادم النبأ الرهيب بلسان متلعثم ودموعه تغسل وجهه ، فاذا بشارلوت تهوى عند قدمى زوجها ، فاقدة الوعى ٠٠

وعندما خف الجراح الى فرتر التعس ، كان ما يزال ملقى على الارض ، ونبضه يخفق ، ولكن أطرافه كانت باردة ٠٠ كانت الرصاصة قد اخترقت جبهته ـ فوق عينه اليمنى ـ ونفذت فى الجمجمة ٠٠ وانفجر شريان فى ذراعه اليمنى ، انساب منه الدم ٠٠ ولكنه ظل يتنفس ! ٠٠ وكان فى كامل ثياب الخروج !

وسرعان ما سرى الهرج فى البيت والجيرة والمدينة بأسرها ، وأقبل ألبرت فاذا « فرتر » قد نقل الى فراشه ٠٠ وغابت رأسه فى الضمادات ، وكسا شحوب الموت وجهه وجمدت أطرافه ، ولكن أنفاسه ظلت تتردد ، قوية حينا ، وضعيفة حينا آخر ٠٠ وموته مرتقب من لحظة الى أخرى ٠٠

ولن أصف أسى ألبرت ، ولا لوعة شارلوت !

وأقبل البستانى العجوز بمجرد سماعه الخبر ، فاحتضن صديقه المحتضر ، فى فيض من الدموع ٠٠ وسرعان ما وفد أبناؤه فركعوا الى جوار السرير فى حزن عقد ألسنتهم ، وأخذوا يقبلون يدى المحتضر ووجهه ٠٠ وظل أكبرهم ـ وكان أحبهم اليه ـ مرتميا على صدره حتى أسلم الروح ٠٠ وحتى وقتئذ ، لم يقصوه عنه الا قسرا ٠٠

وفى الساعة الثانية عشرة ، لفظ فرتر آخر أنفاسه ٠٠ وحرص البستانى على أن يدفن فرتر فى المكان الذى اختاره لنفسه ٠٠ وتبع وأولاده الجثمان الى مثواه ٠٠ أما ألبرت فلم يقو على أن يصحبهم ٠٠ وأما شارلوت فصارت حياتها كالعدم وحمل العمال الجسد ٠٠ ولم يشيع أحد من القساوسة جنازة المنتحر :

تعقيب على القصة

أثارت فى أوربا موجة من حوادث « الانتحار »

◆ **كتب** جيته عندما تقدمت به السن يقول : « **قد تكون أوربا أطرتنى ، ولكن ٠٠ ما الذى أعطتنى اياه ؟ ٠٠ لا شىء ٠٠ لقد دفعت أنا ثمن أشعارى ، وما كان أبهظه من ثمن ! ٠٠ لقد قلدتنى ألمانيا قلائد المجد ، وتكرمت فرنسا فقرأت انتاجى ٠٠ وأنت يا انجلترا ! ٠٠ لقد استقبلت الضيف الهرم استقبالا وديا ٠٠ ومع ذلك فماذا أجدانى حتى شغف الصينين برسم «فرتر» و «شارلوت» فى ابداع على ألواح الزجاج ؟! »**

٠٠ وباشارة «جيته» فى هذه المناسبة ، ورغم تباعد السنين ، الى « فرتر » و « شارلوت » ، نم عما كان يتملكه من اعتزاز بقصة « أشجان فرتر » الرائعة اذ كانت أول كتبه ، وأكثرها رواجا وخلودا ٠٠ وكان من المستحيل فى العهد الذى أصدرها فيه ، أن يخطر ببال انسان أن كتابا يحمل مثل هذا العنوان « أشجان فرتر » ، يمكن أن يلقى رواجا ٠٠ بيد أن هذا المستحيل كان عين ما حدث ، رغم أن « جيته » لم يكن يومئذ سوى أديب ناشىء لم يتجاوز الخامسة والعشرين !

ولم يقتصر رواج الكتاب على ألمانيا ، بل تجاوزها ، حاملا اسم الشاب الى **كل أرجاء العالم ٠٠ ليس هذا فحسب ، بل لقد أشاعت قصة « أشجان فرتر »** فى أوساط الشباب الاوربى مثلا خاصة ، و « مودات » ونزوات ، أثار بعضها أسى المؤلف نفسه ٠٠ فقد مضى آلاف من الشبان فى تقليد « فرتر » فى كل تصرفاته ، بل حتى ابتدعوا أزياء على نمط تلك التى ورد فى القصة أنه كان يرتديها ٠٠ ومنهم من غالى فذهب فى محاكاته الى درجة الانتحار مثله ، يأسا من غرام فاشل !

نابليون يقرأ القصة ٧ مرات !

◆ **وقد بلغ من اعجاب «نابليون» بالقصة ، أنه قرأها سبع مرات ، وحملها معه خلال حملته الى مصر ـ رغم أن عشرين عاما كانت قد انقضت منذ نشرها ! ـ وعندما قدم اليه « جيته » بعد ذلك باثنى عشر عاما ، لم يكن اعجابه بها قد خبا ، فجعلها المحور الرئيسى لحديثهما ، وأظهر بما أبداه من انتقادات دقيقة مفصلة ، انه قد استوعبها استيعابا !**

ولعل روعة ابداع « جيته » فى « أشجان فرتر » ، ترجع فى أصلها الى أن القصة ليست سوى صور دقيقة انتزعت من حياته انتزاعا ٠٠ بل نقلت نقلا ٠٠ فقد كان المعروف عن « جيته » حرصه على أن يسجل أحداث حياته اليومية فى عناية ٠٠ وعلى أن يصور مشاعره وأحاسيسه لصديقه الحميم « فيلهلم فون

همبولت » فى رسائل متقاربة ، مطولة ٠٠ وأول ما يلاحظ فى قصة « أشجان فرتر » أنها كتبت فى شكل يوميات ورسائل موجهة الى « فيلهلم » هذا ٠٠

والواقع أن « جيته » لم يكن حتى سنة ١٧٧٢ قد كتب أكثر من مسرحية احتذى فيها حذو شكسبير ، وبضع قصائد عاطفية ٠٠ وفى ذلك العام بالذات ، اضطره أبوه الى الرحيل الى « فتزلر » ـ التى كانت قاعدة المحكمة العليا للامبراطورية الرومانية المقدسة ـ ليستكمل دراسة القانون ٠٠ وفى ذلك العام بالذات ، تبدأ حوادث القصة التى هزت عواطف شباب أوربا ٠٠ **كان «جيته»** يومئذ شابا متقد العواطف ، مشبوب الخيال ، ولكنه فطر على القدرة على التغلب **على عواطفه قبل أن تلقى به بين براثن الخطر ٠٠ وهذا ما حدث فى (فتزلر) فقد تورط فى غرام حسناء تدعى « لوت بوف » ـ و «لوت» اسم تدليل لشارلوت ـ ولكنه لم يوغل فى غرامه حتى ينتهى الى مصير « فرتر » ، بل غادر (فتزلر) قبل أن يبلغ مرحلة الخطر ـ وما نظنه كان يتمادى فى غرامه ، حتى لو سنحت له الظروف ، وآثرته « لوت » على خطيبها الرزين ، الثابت ، المتزن « ألبرت كستنر » ـ فأغلب الظن أنه ـ حتى فى هذه الحال ـ كان قمينا بأن يهجر (فتزلر) فى اللحظة المناسبة ، لانه كان ينفر من الزواج ، وقد استطاع أن يظل أعزب حتى بلغ السابعة والخمسين ٠٠ ولم يتزوج ـ حين بلغ هذه السن ـ الا بعد أن احتلت فرنسا مقاطعة (فيمار) التى كان يقيم فيها اذ ذاك ، عقب معركة «يينا» ـسنة ١٨٠٦ـ وكان الدافع له على الزواج احساسه بأن واجب الوفاء يقتضيه أن يخلع اسمه على المرأة التى كان يعيش معها منذ عشرين عاما ، والتى أنجبها ولدا ٠٠**

الخطيبة ٠٠ بين الخطيب و « الصديق » !

◆ **على** أن ذلك كله كان فى طيات الغيب فى سنة ١٧٧٢ حين ذهب «جيته» الى (فتزلر) ٠٠ وكان الملل يتملكه فى بدء اقامته هناك ، الى أن التقى بتلك الفتاة « لوت برف » التى ملكت قلبه وعقله ، وكانت يومئذ زهرة فى التاسعة عشرة ، وكبرى « اثنى عشر » أخا وأختا فقدوا أمهم ، فصارت لهم أما ! ٠٠ والارجح أن ما ورد فى القصة عن أول مرة رأى فيها « فرتر » فتاته «شارلوت» كان منقولا عن واقع لقاء « جيته » بلوت ٠٠

ومضت الحقيقة ، كما تتابعت القصة ٠٠ فان « لوت » ـ مثل شارلوت ـ لم تكن تمتاز بجمال فذ أخاذ ، ولكنها كانت مجرد عذراء ألمانية ساذجة ، **لاتعرف** المكر والعبث ، ويتملكها شعور قوى بالواجب ٠٠ وكان مما يرثى له حقا أن « جيته » لم يعلم ـ حين تعرف اليها ـ أنها كانت مخطوبة الى «ألبرت كستنر» ٠٠ وكان أدعى للاسى أن الفتاة لم تصد « جيته » قبل أن يستفحل ولعه بها ،

فلو أنها فعلت لكان من المحتمل أن توفر على « جيته » ، وعلى « البرت » ـ الذى تزوجت منه فيما بعد ـ كثيرا من المتاعب والآلام ٠٠

وكانت حياة عجيبة تلك التى عاشها ثلاثتهم فى شهور الصيف التى أعقبت ذلك ٠٠ كان « ألبرت » منصرفا الى أعماله ، فى حين كان « جيته » منصرفا عن دراسته ، حريصا على أن يكون فى صحبة « لوت » ومراقصتها ٠٠ وكان خليقا بألبرت أن يستشعر غيرة منه ، اذ كان « جيته » مليحا ، شديد الذكاء ، وكان قد بدأ يظفر بالنجاح والشهرة ٠٠ غير أن ألبرت كان فذا فى كرم نفسه وتسامحه ـ ولعله كما صورته القصة ـ كان يعجب بجيته ويثق بلوت ، ويرى أن التسامح هو أفضل علاج للموقف ! ٠٠ بيد أن « جيته » استعذب الآلام والاشجان ، فراح يضيف اليها ما أوحاه الى نفسه من تصور ضيق « ألبرت » به ٠٠ تماما ، كما فعل « فرتر » !

ودامت هذه الحياة العجيبة ـ لثلاثتهم ـ ثلاثة أشهر تقريبا ، انتزع « جيته» نفسه بعدها من مسرحها ، وعاد الى مسقط رأسه (فرانكفورت) ، وان ظل يراسل «لوت» و «ألبرت» بخطابات كانت تطفح بأساه وأحزانه ٠٠

العاشق الذى أنتحر !

◆ على أن تجربة « جيته » هذه لم تكن تكفى لانتاج رواية ٠٠ ومن ثم أضاف اليها عنصرين آخرين ، من واقع الحياة أيضا ! ٠٠ فقد تعرف فى (فتزلر) الى شاب كان ذكيا ، موهوبا ، يدعى « جيروسالم » ، لم يلبث أن تورط فى غرام خائب ، زاد من مرارته انه صادف فشلا فى حياته العملية ، فلم يحجم عن أن ينتحر ! ٠٠ وساعد هذا الحادث على اختمار فكرة مأساة « فرتر » ، فبدأت تتشكل فى خيال «جيته» ٠٠ ولم يكن ينقصها غير أن يجرب المؤلف الشاب ضيق الزوج بالعاشق المدله لزوجته ٠٠ وقد سنحت له هذه التجربة حين تعرف الى رجل يدعى « بيتر برنتانو » ، لم يستطع أن يحمل نفسه على التسامح والتغاضى عما كان يبديه الشاعر الشاب من تقرب وزلفى الى زوجته الشابة « مكسيميليان » ، فلم يتردد فى أن يطرده من بيته !

اذ ذاك ، اكتملت عناصر القصة فى رأس « جيته » ، فعكف على كتابتها ٠٠ وتمكن من نشرها فى خريف سنة ١٧٧٤

حملة على القصة !

◆ **وأثار** الكتاب ضجة ، تردد صداها الاول فى حياة « لوت » و « ألبرت » ، فقد عمد « جيته » فى خلطه الواقع بالخيال الى ابقاء اسميهما الاولين على حقيقتهما ! ٠٠ ولم يكن فى القصة ما ينتقص من قدر « لوت » ، ولكنه فى

سبيل المبالغة فى تصوير أشجان « فرتر » ، خلع على « ألبرت » الكريم بعض صفات « برنتانو » المتزمت ، مما أغضب الزوجين ٠٠

وكان اسم «جيته» قد بدأ يلمع على أثر ما لقيته مسرحيته «زملاء فى الخطيئة» من نجاح ، فلما صدرت « أشجان فرتر » طار صيته حتى تجاوز كل حد ، اذ جاءت شخصية « فرتر » وأفكاره ممثلة لشباب أوربا فى ذلك الحين ، حتى أن بعضهم اختار خاتمة « فرتر » نهاية لخيبته الشخصية فى الحب ، فأقدم مثله على الانتحار ! ٠٠ **وأدى ذلك الى ثورة المتزمتين من دعاة الاخلاق ، فهاجموا القصة بدعوى أنها توحى للشباب بالانتحار ، وتزينه لهم ، وتمتدحه بدل أن تستهجنه! ٠٠ الامر الذى اضطر « جيته » الى أن يحرص فى الطبعة التالية للقصة على أن يمهد لها بأبيات ساقها على لسان البطل ، يحذر فيها الاحياء من أن يحذو حذوه! ٠٠ بيد أن هذا التعديل لم يخفف من حدة الثورة ، حتى لقد صودرت القصة فى (ليبزيج) ، والدانيمارك ، وحرم دخولها اليهما ، كما أحرقت فى الميادين العامة فى (ميلان) بايطاليا ٠٠ غير أن هذا لم يزدها الا رواجا ! ٠٠ بل ان « جيته » لم يلق نجاحا طيلة حياته قدر الذى لقيه حين أصدر كتابه الاول هذا ٠٠ حتى ليعزى الى هذا الكتاب فضل اعجاب الدوق « كارل أوجست » ـ أمير (فيمار) ـ به ، ودعوته اياه الى بلاطه ، حيث أقام بقية عمره ، وحيث أخذ يرقى المراتب حتى صار الوزير الاول للولاية ٠٠**

ويرى كثير من النقاد أن أسلوب « جيته » النثرى فى هذه الرواية أروع ما كتب فى حياته ، لأنه امتاز بالبساطة ، والوضوح ، وعدم الاصطناع ٠٠ ولأن اقتباس وقائع القصة عن الحياة الحقيقية أضفى عليها واقعية قربتها الى النفوس وزادت من تأثيرها ٠٠



كن متفائلا!

للعالم النفساني الدكتور ڤيكتور پوشيه

سر السعادة !

يتلفت الانسان حوله فى هذه الأيام ، فلا يجد الا نفوسا أرهقتها الأزمات النفسية ، وقلوبا خيم عليها ظلام اليأس ، والشك ، والقلق . واذا ما تلبدت نفس الانسان بالغيوم السوداء ، وأسلست قيادها للظلام يلفها ، ويأخذ بتلابيبها ، فقدت الشعور بمعنويات الحياة ، وبفضائل الحياة ، وبالبواعث على الحياة !

.. اليأس السريع : هذا هو طابع شباب العصر الذرى !.. وهو عدوهم اللدود ، الذى يقطع عليهم الطريق ، قبل ان يقطعوه هم . ولا علاج لليأس سوى : العمل .. والعمل المتواصل غير المنقطع ، الذى يمنح الانسان الثقة بالنجاح ، ويضيف كل يوم الى رأسماله المعنوى ثروات جديدة ، تعينه على متابعة السير ، ومواجهة الصعاب والعقبات ، وتحمل ما يقابله من صدمات !

وهنا ، يدرك التفاؤل العمل ، ليسيرا جنبا الى جنب ، يتبعهما الايمان ، والمحبة ، والايثار ، والتعاطف .. فى طريق غايته السعادة والكمال الانسانى

« كن متفائلا » .. تلك هى النصيحة الكبرى التى يقدمها عالم نفسانى كبير الى زملائه فى الانسانية ، فى الكتاب الذى اقدمه اليك فيما يلى ، كاشفا اللثام عن التفاؤل أو سر ازدهار النفس البشرية !

مقدمة

« من لا يختط لنفسه خطة يحيا بها .. انما يختط لنفسه الخطة التى يموت بها ! »

◆ التفاؤل ، والمزاج الحسن ، والاحساس بلذة الحياة .. كل هذه المشاعر يجب أن تكون الرائد الدائم لنفسك ، وخاصة فى هذه الأيام القاسية التى يشكو فيها البشر من مرارة الوجود !.. فمن الضرورى ، فى العصر الذى نعيش فيه ، ان تحشد لحياتك كل ما تملك من تفاؤل وشجاعة ، وأن توحى لنفسك بأنك اذا لم تستطع أن تقاوم الظروف الخارجة عن ارادتك ، ففى استطاعتك أن تتغلب على بعض متاعبك النفسية . لكنك قد تتساءل : كيف يمكن للانسان أن يكون متفائلا ، وكل شىء حوله على غير ما يرام ؟!.. والجواب عن هذا أن فى وسعك أن تظفر بالتفاؤل ، اذا استطعت الوصول الى حالة نفسية ايجابية تكون فيها دائما على استعداد للمقاومة ، وعلى استعداد لان تكشف عن الخير الذى تنطوى عليه أسوأ المناسبات .. وان تستقبل الحوادث وفى نيتك أن تفيد منها بقدر المستطاع .

ان الشخص المتشائم الذى ما يزال يحتفظ ببعض الارادة ، فى استطاعته ان يظفر بالتفاؤل ، عن طريق العادة التى يروض نفسه عليها ، فيخلق فى نفسه حالة جديدة تتحول فيما بعد الى عادة حسنة . وسوف يستبدل بالمنظار الاسود الذى يرقب به الحوادث وينظر الى الاشياء ، منظارا أبيض يرى الامور خلاله بهدوء ، وسكينة ، واطمئنان ، فيكشف فيها النواة التى تحركها . واذا كان من الضرورى له أن يبذل مجهودا مضنيا فى البداية ، الا أن كلا منا يعلم أنه ليس فى وسع انسان الحصول على شىء ما دون جهد . سل الذين خلقوا شيئا جديدا ، فى أية ناحية من نواحى الفنون أو الآداب أو العلوم أو الصناعة أو التجارة ، كيف أمكنهم أن يحققوا ذلك الخلق الجـديد ؟!.. يجيبوك بأن شعارهم هو العمل اليومى ، المتواصـــل ، غير المنقطع ! ومن أجل ذلك ، كان من الضرورى أن يزيل الانسان من نفسه المشاعر الهدامة ـ كالخمول ، والسأم ، والغيرة ، والغضب ، والشك ، والاضطراب ، والخوف ـ ويطهر نفسه من هذه البذور القاتلة ، ليغرس مكانها بذورا صالحة .. فنعمة التفاؤل هى أنه يحملنا على العمل دون انقطاع نحو هذا الهدف الايجابى .. وان التفاؤل ليحمل بين طياته الايمان ، والثقة ، والامل ، وبمعنى آخر : الشباب والسعادة والحماسة والاستعداد للعمل .. وان الايمان ليدفع بالرغبة تجاه كل ما هو جميل ، وعادل ، ومستحب .. انه يوقظ فينا المجهود المنتج ، ويظهر لنا عالما محدودا غير غامض ، لم نكن نراه من قبل !

فحاذر أن تترك نفسك تتردى فى مهاوى الشك ، والخوف ، والحزن ، فان هذه هى أعداء راحتك . فالحزن هدام وعقيم ، والخوف يشل جهودك ، وهذه كلها احساسات « طفيلية » تنقص من حيويتك ، ومن ثم يتعـين عليك أن تتخلص منها ، وان تواصل عملك بحماس ، فى ظل اعتقاد راسخ بأن النصر سيكون لك فى النهاية !

ان أجدادنا القدماء الذين ظهروا قبلنا على الارض ، قد أدوا نصيبهم من هذا الكفاح أيام أن كانوا يعيشون فى كهوفهم ، ليبقوا بمنجاة من الحيوانات المفترسة ، وحيث اعتادوا أن يوقدوا نارا كبيرة على أبواب مخابئهم . فلما تطور الزمن ، صارعوا أعداءهم .. والخلاصة أن الانسان كان دائما فى عمل وكفاح دائبين ، منذ اليوم الاول الذى وجد فيه على ظهر البسيطة ، وينبغى ان يكون مستعدا دائما للعمل ، وأن يستمر فيه طيلة حياته !

ولست أعنى بالتفاؤل ، ذلك التفاؤل السلبى « الفاتر » ، الذى يملى علينا ألا نعمل شيئا ، وان نرقب فقط مرور الحوادث ونركن الى الخمـول « والاستقرار » .. وانما ينبغى لكى نسعد ونتفاءل ان يكون العمل شعارنا ، وان نكافح لكى نكون بخير ، ولكى نعيش بنظام .. فنستيقظ فى ساعة

معينة وننام فى ساعة معينة ٠٠ يجب أن نبذل الجهد كى نستفيد من الحوادث ونظفر بالنجاح والصحة والسعادة ٠٠

وكل أمر فى الوجود يصبح سهلا لمن يريده كذلك ، ولمن يعتاد أن يحدث نفسه حين يواجه أية مشكلة جديدة : « هذا شىء تافه ٠٠ وسوف يتحقق ما أريده » ٠٠ فمثل هذا الرجل ، تتأهب كل قواه عند أول نداء ، ولا يلبث أن يتفتح أمامه ألف ينبوع وينبوع ، وما عليه بعد ذلك الا أن يستغلها الاستغلال المناسب ، ويستعين ازاء كل مجهود وكل فكرة بالايحاء الذاتى ، كأن يقول لنفسه : « سأفعل كذا وكذا ! » ، ويتجنب الارجاء بغير مبرر ٠٠ فلا تقل أبدا : « سأبدأ يوم الاثنين القادم ، أو صباح غد » ٠٠ بل أبدأ فى التو والساعة تنفيذ كل فكرة منتجة تخطر لك ، وردد فى مزمار نفسك هذا القول : « اننى لست متعجلا ولا متهورا فى هذا الذى أعتزمه ، وانما أنا واثق من الوصول الى الغرض الذى أنشده ! » ٠٠ وفى كل صباح ، ضع برنامجا لأعمال يومك فى خمس دقائق ٠٠ وفى كل مساء حاسب نفسك لترى ماذا فعلت !

٠٠ اضحك ، تضحك لك الدنيا ٠٠ ولا تنس أنك ستجد دائما أمام عينيك صورة ما تحمله فى نفسك : فاذا توقعت الخوف والبغض فانك ستجدهما أمامك : الاول فى صورة وسواس ، والآخر فى صورة الحسد والغيرة والغضب ٠٠ أما اذا كنت من الذين لا تراودهم الا أفكار صحيحة ومثل عليا وهدوء شامل ، فسوف تجد أمام عينيك دائما : الاخلاص ، والشفقة ، والاعتراف بالجميل !

ومن يحمل فى نفسه الجمال والحب ، يرهما فى كل مكان ينموان ويزدهران ٠٠ وحينئذ يسهل عليه أن يتبين طريقه فى الحياة ، كما لو كان فى حديقة مضيئة الأركان !

١ ـ السعادة والأمل ٠٠ فى ركاب المتفائل

« ان الغرض الحقيقى من الحيــاة هو أن تحقق الخير ، وأن تجعل لنفسك شخصية ناجعــة »

« جوفروا »

◆ يستقبل النــاس الرجل المتفائل أينما يحل بالبشر والابتهاج ، اذ يبدو وكأنه يحمل معه النور والسعادة !٠٠ وهناك نفوس كثيرة مترددة ، قلقة ، ليس لديها القدر اللازم من النشاط الذى يكفل لها المضى فى الطريق السوى ٠ ومن دواعى الاسف ان القلق والشــك همــا طابع الكثيرين من الناس ، ممن يمتازون برهافة الحس ، وعلى الاخص فى أوقات الاضطرابات التى تعقبها المصائب والنكبات ٠ ويبدو أن كثيرا من أولئك الذين اعتادوا الحياة الناعمة ، يحسبون ازاء أول صدمة أنهم فقدوا كل شىء ، وتستولى عليهم خيبة الامل ، فلا يخطر ببالهم ان صفاء العالم واقباله لا يدومان بقدر ما يدوم صفاء النفس وراحتها ٠٠ فهؤلاء قد تركوا ما لديهم من القــوى المعنوية يضمحل ، بعد أن وضعوا أنفسهم تحت رحمة المصائب ٠٠ وباتوا يهدمهم الشك ، والسأم ، وتشل نشاطهم الامراض ٠٠

ولمثل هؤلاء ، يجب أن يبين المتفائل قيمة الشجاعة ، ويتقدم بالنصح ، عساهم أن ينظروا للمستقبل بعين الثقة والاطمئنان الى أنه لا مستحيل فى هذا العالم ، اذا صحت عزائمهم وقويت ارادتهم !

انك اذا أصابتك أزمة مالية تجد انها تعكر صفو نفسك ، وقد تجعلك تفكر تفكيرا عميقا تزن به أمورك ٠٠ وسوف ترى بعد ذلك أن كثيرا من الاشياء يبدو لك وكأنك فى حاجة ماسة اليه ـ وقد كان غير ذلك ! ـ عندئذ ، سوف تتساءل : « هل الحياة هى جمع المال ؟ ٠٠ وهل هدفها هو الملذات الدنسة والمتاع الزائل ؟ » ٠٠ وفى هذا الوقت فقط يزداد قدر الروح ، ويظهر مالها من قيمة !

واذن فينبغى ألا نقنط من الناس ، اذ يجب أن نوحى لأنفسنا بأنه سيأتى يوم يحب فيه الناس بعضهم بعضا ، وعندئذ سيدركون أن السعادة مستمدة من خدمة بعضهم بعضا ، وان السعادة الذاتية مستمدة من سعادة الآخرين ٠ وعندما يدرك الناس هذه الحقيقة ، سينعمون ولا شك بحياة أفضل على هذه الأرض ٠ ألم تلحظ مقــدار سرور الاطفال البرىء ، الذى يغمــرك أنت أيضا عندما تقدم اليهم « دمية » ؟٠٠ الواقع ان لا شىء أبدع وأطهر

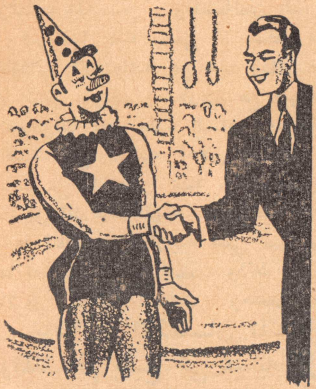
من سرور هؤلاء الاطفال ، الذى تعبر عنه حركاتهم وصيحاتهم ، واعجابهم الذى يذهلنا ٠٠ وان الاطفال لا يدركون آداب المجاملة ، أو واجب الشكر الذى يتعين تقديمه ، ولكن كل شىء فيهم ينطق بعرفان الجميل الصادق الصريح !

المتفائل يسعى الى اسعاد الآخرين !

◆ والشخص المتفائل يبحث دائما عما يسعد به الآخرين ، فهو لا يقنع بعبارات فاترة يوجهها اليهم ، بل يتخير لكل منهم العبارة التى تجلب له أكبر قسط من السرور ٠٠ وفى الوقت نفسه ، يبحث عن الاشخاص الذين يحرصون على ابقاء سعادته هو ، التى يغار على ادخارها لنفسه كل الغيرة ٠٠

فى أحد ايام الآحاد من شهر يناير ، سألنى أطفالى هل يذهبون الى « السيرك » الذى يعمل فى الشتاء ، كى يشاهدوا « جروك » ؟ وكنت أعلم الكثير عن شهرة هذا البهلوان الذى أبرز للعالم « فلسفة » الضحك ! بل انى كنت اعجب بأمثاله من اللاعبين الذين - بغض النظر عن مقدرتهم العضلية ، وسمتهم البهلوانية والفنية المعقدة - يملكون « هبة » جذب أنظار الناس ، فهم يحتفظون بحالة نفسية هادئة ، ومرحة ، بحيث لا تفارق الابتسامة ثغورهم ٠ وفضلا عن ذلك ، فانهم يبرزون للناس - من الناحيتين النفسية والجسمية - فائدة التدريب البدنى ، حين يقومون بتمرينات خطرة ، من ارتفاع شاهق ، دون شباك تحميهم ، الامر الذى يقطع بأن لهم ثقة مطلقة فى توازنهم !٠٠ وقد اعتدت ان أذكر نفسى - كلما شاهدت هؤلاء الاشخاص ، بوجوههم الباسمة ، وأجسامهم الجميلة - بأنهم منذ عهد قريب لم يكونوا بقادرين على القيام بأية حركة من الحركات التى اصفق اعجابا لها ، وربما كانوا فى وقت ما ضعفاء أو متشائمين ٠ أما الآن ، فهم - بعد مرانة عدة سنوات - يقومون بأدق التمرينات فى سهولة متناهية ! ٠٠ تلك التمرينات والحركات التى هى خلاصة كفاح طويل ومستمر ! وكم كان عليهم ان يضغطوا أعصابهم - خلال فترة التجربة - ويبدوا قلة المبالاة بدواعى تثبيط الهمم التى تبدر من الآباء والاصدقاء والزملاء !٠٠ فأى صبر ؟٠٠ وأية مقدرة ابداها هؤلاء ، حتى وصلوا الى حالة الكمال التى صرت أشاهدها !

واذن ، فلكى نحصل على الصحة والنجاح والسعادة ، يتعين علينا ان نبذل مجهودا « بدنيا » لا يقل عن المجهود الذى نبذله فى سبيل اسعاد الروح ، ولقد اعجبتنى القوة والمرونة ، والصحة ، والحياة التى تتفجر من هؤلاء « البهلوانات » ، فأيقنت أن فى استطاعة البشر ، مثلى ، ومثل لاعبى « السيرك » ، أن يحصلوا على الهدوء والوداعة والمرح وحب العمل ، اذا تحلوا



ببعض صفات هؤلاء الناس ·· حتى اذا ما اقبلوا على تمرين يومى ، بدنى أو نفسى ، سعدت الانسانية وتغيرت ··

وقد جمعتنى المصادفة ، فى احدى فترات الاستراحة ، بزميل من زملاء « جروك » ، كنت قد أجريت لزوجته جراحة ما ، فعرض على أن يقدمنى الى ذلك « البهلوان » الكبير · وكان هذا الأخير مصبوغا بالألوان ، وعلى استعداد لان يقوم بدوره فى «السيرك» ، فقلت له : « اننى لا أعرف شكلك الطبيعى ، ولكن دعنى أهنئك لمجهودك الاجتماعى الذى قمت به لاضحاك الكبار والصغار » ·· فأجابنى قائلا : « ان دورى غاية فى الصعوبة ·· فمنذ عامين كنت أشاهد النظارة الذين جئت لأسرى عن نفوسهم ، فاذا بجزء كبير منهم لا يحرك ساكنا ، وكان الأمر يقتضينى فى البداية عشرين أو ثلاثين دقيقة حتى أجعلهم يبتسمون · ولو كان الحال قد استمر على ذلك المنوال ، لما كان فى استطاعتى ان اضحك أى نسان » !

·· تركت « جروك » ورجعت الى مكانى فى « السيرك » ، وأطرقت مفكرا فى هؤلاء الذين لا يعرفون الضحك الا عندما تنفرج أزماتهم الاقتصادية والاجتماعية ·· كم يكون جميلا لو علموا ان فى استطاعتهم أن يكونوا سعداء ، حتى لو تحرج موقف وطنهم ·· اذ يجب أن نروض أنفسنا على التفاؤل والروح المرح كما روض البهلوان نفسه على القفز والدوران !·· ولست أنصح من يعانى آلاما مبرحة أن يظهر بمظهر الشخص المرح ·· ولا أنصح من انتابته نوبة عصبية أو « روماتزم » حاد أن يضحك ·· ولكن ، كمبدأ عام ، ينبغى أن نكون اصحاء كى نستشعر لذة الحياة · فاذا لم نحصل على المرح والسرور من تلقاء أنفسنا ، وفى خلال الاوقات العصيبة ، فليس لنا ان نقنط ، بل يجب أن نتعلم كيف نحصل عليهما · وفى سبيل بلوغ هذه الغاية ينبغى ان تتبع الوسائل الآتية :

أولا — اختر الوسط الذى يلائمك

« قل لى من تخالط من الناس ، أقل لك من أنت ! » ·· فلكى تجلب لنفسك التفاؤل ، ابتعد عمن لا يثقون بأنفسهم ، ومن يترددون فى كل عمل ·

وكذلك الحاسدين ، والمتشائمين الذين يتضجرون دائما لغير ما سبب مفهوم !

قد تقول اننا ينبغى ألا نسقط من حسابنا أصدقاءنا ومعارفنا ، أو نهمل علاقاتنا الاجتماعية مع هذا وذاك ٠٠ نعم ، ولكنى أطالبك بألا تخالط من لا تتفق ميولهم ومشاربهم مع ميولك ومشاربك ، ولا تبحث عن صداقة من يحوطونك بجو ملؤه السأم ٠٠ ولكى لا يحدث ما لا تحمد عقباه ، روض نفسك على دراسة أخلاق زملائك ، وميولهم ، وغرائزهم ٠ وتعلم كيف تقف على ما فطروا عليه ، دون أن يشعروا هم بذلك ٠٠ وأفضل الطرق التى تسهل لك هذه المهمة ، دون مضايقة أحد ، أن تدرس ميول الآخرين وأخلاقهم تبعا لمظاهرهم الخارجية التى تهم من يريد أن يرقبها عن كثب ٠٠ وكذلك ما امتازت به أجسامهم ، وذلك بملاحظة هيئة الجسم ، والوجه وشكل الجمجمة الأعلى ، ونغمة الصوت ، وحظهم ، وكل الحركات التى تكمل بها شخصيتهم !

ثانيا ـ الانسان المتفائل يجمل فى عينيه كل شىء ، والمتشائم يقبح فى عينيه كل شىء ٠٠ وان الروح المرح لجزء من أخلاق الأول ، بينما الحزن والكآبة من طبيعة الثانى !

٠٠ فالمتفائل يملك السرور والحماسة والرغبة فى العمل الدائم ٠ ولكى تتمثل به ، اجتهد ٠٠ فى أن تعرف حقيقة نفسك ، وان تروضها على حب الجماعة والتضامن مع الآخرين ٠٠ كذلك يملك المتفائل أيضا الايمان بالله ، والأمل ، والحب ٠ وهو محب للخير ، يحسن استقبال الناس ، خدوم لهم ، رقيق الشعور حيالهم ٠ وهو لا يحتفظ لنفسه بالسعادة ، بل ينشرها أينما حل ٠ وعلى العكس من ذلك ، المتشائم الذى يملك نفسا منقبضة ، وما يتبعها من كآبة وسأم ، وميل للوحدة والشك والتردد !

يجب أن نوحى الى أنفسنا اذن بأن الامور تسير من حسن الى أحسن ، وسنرى فى النهاية أن كل شىء يسير بالفعل بانتظام ، وانه لم يكن ثمة ما يدعو للتشاؤم !٠٠ أو لم يلحظ الناس ـ بالرغم من الازمات الاقتصادية والانهيارات المالية التى أصابت العالم مرارا ـ انه قد ظهرت اختراعات جديدة بهرتهم ، مثل الطائرات التى قربت بين الامم ، والافلام السينمائية التى استهوت الافئدة ، والعمارات الشاهقة التى ارتفعت على وجه الارض ؟!

ان المتشائمين ليسوا تعساء من الناحية المعنوية فحسب ، بل انهم «مرضى» من الناحية الجسمية أيضا ٠٠ أو هم يسيرون نحو المرض ٠ أما المتفائل فانه يخلق فى كيانه أداة قوية يصارع بها المرض ٠ وقد لاحظت فى السنوات القليلة الاخيرة زيادة محسوسة فى حالات السرطان ٠٠ وهو مرض كلما اسرع المرضى به الى استشارة الطبيب ، كان ذلك ادعى الى شفائهم ، ولكن المتشائمين يترددون ، ويشكون ، وهم لا يعلمون كيف يتخذون قرارا سريعا ،

وبذلك يفسحون للمرض طريقا فى أجسامهم ٠٠ وتكون النتيجة لهذه الحلقة المفرغة من العيوب ، ان المتشائم يجلب لنفسه الكآبة ، وهذه بدورها تجلب له كل الأمراض ، وعلى الأخص مرض السرطان !

فلتحرص اذن على تجنب الانفعالات السوداء والحمراء ، تلك التى تجعل النفس نهبا للبغضاء ، والحسد ، والغيرة ، والسأم ، التى تخلق بدورها مرتعا خصيبا لكل المصائب ٠ أماالانفعالات الوردية والزرقاء ، وهى الانفعالات الايجابية التى تعبر عن الحياة والفتوة وطول العمر ، فلتفسح لها من صدرك المكان الأسمى ٠ وانني لأهيب بك ان تتخير أصدقاءك من بين الأشخاص المتفائلين ، المرحين ، ذوى الطبع الهادىء والبال الناعم ، ومن المتزنين الذين يحسنون قياد أنفسهم ٠٠

احذر اللون الأحمر !

◆ **والاختلاط** بالاطفال عادة طيبة تلمسها عند المتفائل ٠٠ أنظر اليهم وهم ينصرفون من مدارسهم ، أو تأملهم خلال فترات لهوهم ٠٠ وتعلم من ذلك درسا : أن الكبار والصغار ، وكذلك الحيوانات الاليفة ، خليقة بأن تحوطك بجو ملؤه السرور والفرح ٠٠ ولكن على ألا تسقط من حسابك البيئة التى تحيط بك ، أى بجسمك ، لأن كسوف الشمس ، وهطول الأمطار ، ورطوبة الجو ، تجلب دائما المزاج العكر ٠٠ بل ان الالوان الشائعة فى الوسط الذى تعيش فيه ، تلعب فى تكييف مزاجك دورا ايجابيا ! ومن الامثلة التى توضح ذلك ان معامل التصوير التى شيدتها شركة « لوميير » فى (ليون) ، ينفذ اليها ضوء النهار خلال زجاج أحمر ليضيئها ٠ وهذا اللون خليق بأن يستفز شعور العمال والموظفين ، وكثيرا ما قامت بينهم بسببه المشادة والمشاحنات ! ٠ ٠ فكان ان استبدلت باللون الأحمر ألوان أخرى ، كاللون البنفسجى ، فعاد الهدوء يخيم على أركان المعامل ، وحل الوئام بين العمال محل الخصام ! واللون الاخضر لون طبيعى ، لانه لون الخضرة والمزارع ، وهو يدعو الى الهدوء والاتزان، ويؤثر فى الصحة ٠ وفى المسكن الذى تعيش فيه ، ينبغى أن تهتم باللون الازرق والاخضر أكثر من غيرهما - كاللون الاحمر مثلا - وعند حلول الصيف ينبغى ان تختار لاصطيافك البحر والبحيرات - أو الجبال والغابات - حسب استعدادك الجسمى ٠ واذا لم تهيئك ظروفك لتحمل تأثير البحر البديع ، حيث يعمل الضوء الساطع عمله المستمر ، فاحرص على أن تجعل أولادك يعرضون أجسامهم للأشعة فوق البنفسجية ، التى تؤثر فيهم تأثيرا حيويا عميقا !

واذن ٠٠ فلماذا تشعر بالسأم الذى لا مبرر له ؟! ٠٠ لماذا تبدو متكدرا وقد هيأت لك الظروف أن تعيش فى ظل المدنية الحديثة ؟ ٠٠انك تشكو من أن الحياة لم تعد سهلة ، وأن جيوبك أصبحت خاوية مثلا ! ٠٠ لكنك تنسى ان المدنية قد

اتاحت لك ان تعيش وسط عائلتك دون أن تخشى على أولادك ان يخطفهم رجال العصابات ٠٠ وبات فى امكانك ان تتريض على الشاطىء ، وجيـوبك ملأى بالنقود ، دون أن يعترضك النشالون ! ٠٠ وحسبك أن تفكر فى المصير الذى ينتظر مئات الآلاف من سكان البلاد المتأخرة فى الحضارة كى تغبط حظك الذى أتاح لك أن تعيش حيث تعيش الآن ٠٠ فهل فكرت لمدة خمس دقائق فى كيف تجرى الحياة فى بلاد الصين ، التى تضيق بأهلها فيعيشون محصورين فى قوارب متلاصقة على طول الانهار ، بين الفضلات المتعفنة وجثث الأطفال النتنة ؟! ٠٠ ففى تلك البلاد ، تهمل القواعد الصحية ، ويحتمل الناس سموم الطفيليـات والبعوض والقمل والبق والثعابين ، وجميع الأمراض والاوبئة التى لم تعد تجتاح أوربا منذ القرون الوسطى ، كالطاعون والكوليرا والملاريا ! ٠٠ اما فى تلك البلدان النائية من الصين ، فليس ثمة رجل واحد سليم ، وانما الجميع يعانون من ألف مرض جسمى ونفسى ، الامر الذى حدا بهم الى البحث فى مادة الافيون عما ينسيهم آلامهم ! ٠٠ فلتقارن بين أولئك الضحايا من الجنس الاصفر ، أوأمثالهم من الجنس الاسود ، وبينك أنت ، فى ظروفك الراهنة ٠٠ ثم استعرض حالة نفسك ، وعندئذ لن تستطيع الا ان تعترف بأنك أصلح منهم حالا ، بما هيأت لك الظروف من راحة ومدنية ورفاهية ٠٠

٢ ـ تقدير النفس ، والثقة بهـــا

« انى واثق من نفسى ٠ وأعلم علم اليقين ماينبغى على عمله ٠ فلا أنا بحاجة الى الطموح لكى أقدم على عملى ، ولا أنا بحاجـــة الى النجـــاح لكى أثابر عليـــه ! »

◆ اذا أردت أن تنال تقدير الغير فاعرف قدر نفسك ٠ ومعرفة الانسـان لحقيقة نفسه تتنافى مع رغبته فى أن يمدحه الغير ، وما يؤدى اليه هذا المديح من صلف وغرور ، وخوف مما قد يقوله الناس عنه ٠٠ ومما لا ريب فيه ان الانسان الذى يشك فى نفسه انما يوصد أمامه باب الاقدام والنشاط ٠٠ ومن يجهل كيف يوحى الى نفسه بهذا القول : « هذا الشىء استطيع ان أفعـله ، وسأفعله » ، انما يغل يديه وقدميه بقيود الضعف ! ٠٠ وما اشبه فقـدان الانسان ثقته فى نفسه ، وما ينتجه ذلك من ضعف فى النفس ، بالضعف الذى

يصيب غدد الجسم • ويتولد عن فقدان الثقة بالنفس ، فى العادة ، شعور بالحزن ، والتردد ، والخوف •

وللبدء فى العلاج ، ينبغى « أن لا نعتبر أنفسنا أقل من الآخرين » •• وهؤلاء الآخرون هم الذين نراهم فى المراتب الممتازة او الذين يبدو لك أنهم أعلى منك قدرا • ولو تحريت الحقيقة لعلمت أن هؤلاء قد وثقوا فى أنفسهم ، ومنذ اليوم الذى أرادوا فيه أن يظفروا بمنصب يحسدون عليه ، بدأوا يعملون بكل قواهم للوصول الى هدفهم ، مؤمنين بقدرتهم ، وحسن طالعهم !

•• ان « ايمانك بمبادئك وأفكارك الخاصة ، وايمانك من صميم قلبك بأن ماهو عدل لك ،عدل للآخرين » •• هوالعبقرية بذاتها • بشر بما يكنه ضميرك، فاذا به رسالة يؤمن بها الغير • وسوف تسمع فى النهاية صدى أفكارك تلك ، تحملها اليك طبول الرأى العام ، كما يقول « امرسون » !

والشعار الذى يتعين عليك أن تضعه نصب عينيك دائما ، هو : « انك تستطيع وحدك أن تحقق الرجولة الكامنة فيك » •• ولتعلم ان ليست نصائح الاخرين هى التى تشد ازرك فى مستقبلك •• وانما انت وحدك تعرف ما أنت عليه من قوة•• وقبل هذا وذاك ، أجبنى على هذا السؤال : « من يثق بك اذا كنت أنت لا تثق فى نفسك ؟! » •• ان الايمان والثقة بالنفس ، هما أقوى أداة لهدم العوائق ، وتحطيم كل العقبات التى تقف حجر عثرة فى سبيل التقدم •• وان عدو النفس اللدود هو الصوت الذى يهتف بالشك ، ففى نفس كل منا يكمن هاتف سوء يوسوس الى واليك فى الساعات العصيبة بالقول : « ان جهودك غير مجدية ، فاترك الصراع جانبا»!•• ان الشك ، أو الحزن،هو أغنية الشيطان الذى يكمن فيك•• انه الصوت الذى يجب ان تخنقه كى تتوفر لديك الثقة بالنفس والايمان بحسن الطالع ! •• اوح الى نفسك بأنك تملك كل المؤهلات التى تستطيع بها ان تحقق رسالتك ، وأن تكون سيد نفسك •• فتلك هى الفضيلة الاولى !

واذا كنت لم تألف الاختلاط بالغير ، وليس فى استطاعتك ان تواجه قرناءك، اعتقادا منك بانك أقل منهم ، فانك تفقد نفسك الأداة التى تلزمك لتنتصر •• فان كنت بعيدا عن الناس ، فخالط الشجعان والأقوياء ، حتى تصبح مثلهم ، بفضل القاعدة النفسية التى تجعلنا نقلد من نبادلهم شعور الود !

ولا تغتر بالألقاب والمناصب ، ولا بمظاهر الذين يريدون ان يخضعوك لهم ويفرضون ارادتهم عليك ! •• وانما نقب فى نفسك عن القيم الحقيقية ، ونبل المقصد ، والاستقامة ، والبطولة الحقة •• لأن ما تريد ان تتحلى به من الصفات انما هو كامن فيك ! أما الذين يميلون الى الظهور حين يعاملون الغير ويعاملهم الغير ، فهؤلاء يجب ألا تسقطهم من حسابك ، بل على العكس ، ينبغى أن تجعل

من اختلاطك بهم ، باعثا على تقوية الثقة فى نفسك ، لأنك تشعر بحق أنك أعلى منهم ، بفضل ما تحويه نفسك من جوهر !

ولعل فى مخاطبة الجماعات ـ عن طريق الخطابة والمناظرة مثلا ـ مران كاف لتقوية الثقة بالنفس ·· كما انه ليس أفضل ولا أروع ـ فى سبيل الاعتماد على النفس والثقة بها ـ من ان تقنع نفسك بأنك انت الذى تساعد نفسك بنفسك !

ولا تسر على غير هدى ، كالثرثارين والمعتوهين الذين تلوك أفواههم الألفاظ دون تفكير فى موضوع محدد ·· بل فكر وأعد موضوعك فى محل عملك ، ثم واجه السامعين وأنت معتقد أنك تؤدى هذا العمل بوحى من ضميرك ، اذ ينبغى أن تجعل لنفسك طرق تعبيرها الخاصة · وهذه الثقة بالنفس تمنح لك القوى الضرورية للسيطرة على قلوب سامعيك ، وبذلك تنتهى حتما الى الحصول على تأييدها !

ان من يتلعثم فى مثل هذا الموقف ، باحثا عن الكلمات المناسبة ـ لانعدام ثقته فى نفسه ـ سيجرد نفسه من كل سلاح للعمل ، ولن يكسب الا « شفقة » الآخرين عليه ! ·· فلكى توجد الثقة فى نفسك ، ولكى تعزز هذه الثقة ، حافظ على حيوية ذاكرتك ، ولتدخر ذخيرة من الكلمات المترادفة والصيغ المختلفة ، تنقذك من التلعثم فى الكلام فى مثل تلك المواقف ·· وثابر على أن تمرن نفسك كل يوم على كيفية كسب ثقتها ، ولا شىء ـ كالعمل ـ يمنح الثقة بالنجاح ! ·· وليكن هدفك ـ مهما كانت مهنتك ـ هو العمل ·· فان العمل يضيف كل يوم الى رأسمالك المعنوى ثروات جديدة ، تعينك على مواجهة الصعاب والعقبات ،وتحمل ما يقابلك من صدمات ··

·· وبفضل ذخيرة كبيرة من المعلومات التى تحصلها باستمرار ، لا تخش أن تقتحم أى نقاش مهما يكن نوعه ، ولتدل باجاباتك وتسندها بحجج قوية ، وبذلك يكون تأييد سامعيك لك أكبر عون على زيادة الثقة بنفسك ·· تلك الثقة التى يجب الا تفارقك بتاتا !

واذا كان عظماء الرجال الذين تعرفهم قد وصلوا الى المراتب التى يحسدون عليها ، فذلك بفضل ذكائهم وبفضل حماستهم لكل فكرة تخطر لهم ، ويعملون على تحقيقها بسلسلة من الأعمال النافعة ، ومجموعة من الخواطر المنتجة · وقد أدى كل عمل من هذه الاعمال بدوره الى نجاح جديد ، وكل نجاح جديد جر الى حماسة جديدة ·· وهكذا ·· ومن يتتبع حياة العظماء والأبطال ، يجد أنهم حققوا أغراضهم بفضل ما وهبوا من صفات ذهنية كامنة فيهم ! ·· وانك لتلحظ أبطال الرياضة ، عشية مبارياتهم ، وقد ألهبتهم الحمية ، وخلقت فيهم التمرينات التى يقومون بها نشاطا غير عادى ·· وتلك الحالة النفسية ، ولا شك ، ترفع مجهودهم الى الذروة · وبغير هذه الحمية لايمكن ان يتحقق شىء من جلائل

الأعمال فى العالم ٠٠ فانفث من هذه الحمية روحا فى كل أعمـالك ، وفى كل ما يحيط بك ٠٠ وازن بين الأشخاص الكسالى المتراخين وبين ذوى الحماس والاقدام تجد الآخرين يقبلون على عملهم راضين مستبشرين ، فيتفننون فى أدائه ، ويكون النجاح حليفهم حتما ٠٠

الغيرة ٠٠ سر النجاح !

◆ والشخص المتفائل الذى تملؤه الحمية ، يتفانى فى عمله، وهو لايسائل نفسه عما اذا كان سيلقى على عمله جزاء أو شكورا ، اذ لايهمه الا أن يبذل ذات نفسه فى عمله ٠ وما ذلك الا لأن غريزته ـ سواء أكان عاملا أم مـوظفا ـ هى التى تدفعه الى العمل ٠٠ انه فخور بمهنته ، ويبغى أن يدخل السرور على نفس رئيسه، وأن يحصل على رضاه ٠٠ وهو يؤدى كل عمل ـ حتى ما يكلف به دون مقابل ـ والابتسامة لا تفارق شفتيه !

هل سمعت أحد الخطباء المعروفين ، ورأيت أن الفضل فى لباقته وفصاحتـه يرجع الى غيرته ؟! ٠٠ انها تعطيه سحر صوته ، والتأثير الذى يستولى به على سامعيه ٠ وفى المحال التجارية ، نجد ان الغيرة هى التى تدفع البائع الى اتمام الصفقة مع العميل ٠٠ كما ان الحماسة هى التى تدفع الطيار الى اتمـام غارته الجوية بنجاح ، وهى التى تحرك الممثل على المسرح ٠٠ ان هؤلاء جميعا يعيشون لغرض واحد ، ويتركز نشاطهم لتحقيق النجاح ٠٠ وان الرغبات المحركة فيهم هى التى تجعلهم ينتصرون ! ٠٠ ومن ثم فليكن شعارك على الدوام : « انى واثق من نفسى ، وأعلم علم اليقين ما ينبغى على عمله ٠ فلا أنا بحاجة الى الطموح لكى أقدم على عملى ، ولا أنا بحاجة الى النجاح لكى أثابر عليه ! »

وثمة أمر ينبغى ألا نغفل عنه ، وهو ان نضيف حاسة الوعى الاجتماعى الى مزايا التفاؤل ٠ فهذه الحاسة تعبر عن القدرة التى يتمتع بها الشخص الذى يهتم بالآخرين ، ويختلط بهم مختارا ، ويكون لهم نافعا ٠٠ وان نفس هذا الشخص لتمتزج باخلاص مع نفوس الآخرين ، لانه يعرف كيف ينشر حوله السعادة ، وكيف يكتسب محبة الغير ٠ وبذلك تتوافر لديه غريزة التضامن مع الغير ومجاملتهم ٠٠ تلك الغريزة التى بدونها لا يستطيع الشخص النشط أن يفعل شيئا فى الحياة الاجتماعية الحاضرة

على أن « حب الجماعة » يوحى أيضا للشخص الممتاز بأن يقود الآخرين ، ويجعله يهتم بالذين يتعاونون معه ، ويسمح له بأن يختار ـ ممن يحيطون به ـ الاشخاص القادرين على أن يلعبوا دورا للوصول الى غرض معين ٠ أما هو ـ الرئيس ـ فيضع نفسه على رأس قائمة العمل ٠٠ وسواء أكنا فى رأس القائمة أم فى ذيلها ، وسواء لعبنا دور القيادة أم كنا فى مركز متواضع ، فانه لكى ننجح وسط الجماعة ، ينبغى ان نتحرر من حب الذات والرغبـة فى ان

يلتف الغير حولنا . وعلينا بعد ذلك أن نثق بالآخرين أكثر من ثقتنا بأنفسنا، وان نجعل نفوسنا وارواحنا مرنة عادلة ، حتى نقدر قيم الناس والاشياء

وثمة ملاحظة أخيرة .. ان معرفة الانسان قدر نفسه ، كثيرا ماتختلط فى اذهان الجهلاء بالنقائص السيكولوجية ، كالكبرياء والغرور ، مع أن الواقع أنهما ضدان لا يجتمعان !.. والشخص الذى يعرف قدر نفسه لايهمه مايقوله الغير عنه ، لانه يجد راحته الكبرى فى معرفة قدر نفسه ، ويسعد فى اللحظة التى يفوز فيها برضى ضميره !

.. ولكى نصل الى معرفة قدر انفسنا ، ينبغى ان نتأكد من اننا نستخدم مواهبنا على أحسن وجه ، واننا نهب ذات نفوسنا ، ونطيع ضمائرنا .. كما ينبغى ان تكون لدينا الارادة التامة لمواجهة الغرض الذى نسعى اليه . وعلى العكس من ذلك ، الشخص الذى يملؤه الغرور ، فانه يسعى دائما للظفر برضى الآخرين ، لأن حب الظهور يعميه ، ولا يعنيه من أمر الغير ، الا ان يهنئه هذا الغير ويمدحه ، وان يتقبل هو تهانئه ومديحه !

٣ ـ أحبب عملك ..

« أكثر الأعمال انتاجا ، ما كان ثمرة يدين تعملان فى مرح »

◆ ان الشخص الذى يهدف الى السعادة ، والنجاح فى كل مايؤديه من أعمال ، لا يستطيع أن يصل الى هدفه الا اذا أحب عمله ، وأقبل عليه فى مرح وابتهاج ، مدمجا قلبه ونفسه وعقله فيه . ولا ريب فى أن ابدع الاعمال ، ما خرج من بين يدى رجل مرح . ومثل هذا العمل ينال حتما تقدير الجميع واعجابهم ، الامر الذى يضاعف فرحتك بالحياة ..

فلتعشق عملك ، فانك لن تشعر بأعمق من الابتهاج الذى يساورك عندما ترى العمل الذى تقوم به يزداد اتقانا وتحسينا بفضل مجهودك .. وويل للشخص الذى يتنهد فى عمله ، فان فى تنهداته تطويقا لعنقه بالبؤس ، واستئنافا لحياة أشبه بحياة الاشغال الشاقة فى السجون !.. ولن يكون عمل مثل هذا الشخص منتجا ، ولن يصيب هدفا ما ! .. انه قد يستمر بعض الوقت ، ولكن الفشل لن يلبث أن يصيبه سريعا ..

.. ومهما يكن نوع العمل الذى تقوم به ، فلا تؤده بملل ، ولكن أده بكل جوارحك . وسوف ترى كيف يصبح تنفيذه سهلا يسيرا !.. لا تعتقد انك

تبذل مجهودا فوق الطاقة ، فان المجهود ضرورى ولازم للبدء فى كل عمل ٠ واننا لندهش عندما نعرف عدد الساعات التى يكرسها العلماء كل يوم لتأدية عملهم ٠ فلقد أجرى احصاء حديث ، فيما يتعلق بعمل العلماء وأرباب الصناعة والكتاب المعروفين ومشاهير الفنانين ، نستطيع ان نتبين عندما نطلع عليه ، مقدار النشاط الهائل لهؤلاء الرجال ، الامر الذى يؤكد لنا ان نشاطهم هو الثمن الذى يبذلونه فى سبيل شهرتهم !٠٠ من أمثلة ذلك مثلا ان « لويس رينو » ـ من أرباب الصناعة وصاحب سيارات رينو ـ يصل الى مكتبه قبل موظفيه ، ولا يتركه الا بعد انصراف آخر موظف !٠٠ ولنسمع ما يقوله « اندريه موروا » مؤلف مئات الكتب الحافلة بالخيال الرائع ، عن عمله : « اننى أدخل مكتبى فى الساعة الثامنة صباحا ، وأتابع بحثى فى سير الناس ، ونظرياتهم وابتكاراتهم ، حتى الساعة الواحدة ٠ ثم استأنف عملى من الثالثة الى السادسة مساء ٠ لكنى عندما أشرع فى كتابة قصة ، لا أراعى هذا النظام بطبيعة الحال، وانما اسافر الى (فرساى) ، حيث احتل غرفة فى النزل القريب من الحدائق ٠٠ وهناك ، أقوم بعملى دون نظر الى الوقت أو مواعيد الطعام ! »

ومن هنا نرى فى « اندريه موروا » نفسا صبورا يحتضنها العمل الذى يقدسه الى حد ينسيه الوقت والطعام ٠٠ انه حب الكاتب لعمله الذى يتيح له أن يحقق مايصبو اليه !

فلا تتقهقر اذا صادفتك فى بداية عملك بعض العقبات ، ولا تنس ان الحلاوة تطوى بين شهدها المرارة !٠٠ وفى النهاية ، عندما تنظر للنتيجة التى وصلت اليها ، سترى أنك كنت على حق حين أديت عملك بالثقة والحماس اللذين ينبغى أن يكونا دائما فى رفقتك !

٤ ـ احتفظ بالتوازن بين روحك وجسمك

« ان كان لك ما تدخره ، فأودعه أذهان أبنائك وصدورهم وعضلاتهم ٠٠ هنالك أخصب ميادين الاستثمار ، مع مزية الاعفاء من الضرائب ! »

◆ لكى نكون مرحين ، يجب أن تكون أجسامنا صحيحة ، ولكى نحتفظ لعقولنا وأعصابنا وعضلاتنا وأعضائنا الداخلية بحالتها الطبيعية ، ينبغى ان نعمل على صيانتها ، طبقا لنظام صحى مستمر ، وتمرين رياضى كل يوم ،

ولا نحرمها من المزايا الكثيرة التى تكسبها الاجسام نصف العارية ، من الشمس والهواء والماء ، والرياضة عموما ٠٠ فلا ريب ان من يعمل عملا متصلا ، يكون اقل انتاجا ممن يستمتع بجميع منابع الحياة التى سيأتى بيانها ٠٠ وبالجملة ينبغى ان نحتفظ بتوازن الكائن جميعه ـ أى الجسم والنفس معا !

اننا نستمد التفاؤل من هذا التوازن التام ، الذى يجب ان نسعى للحصول عليه ، بين العقل والجسم ٠ ومن المعروف ان بين العقل والجسم صلة مستمرة ، اذ أن جسم الانسان بأكمله يساهم فى عمله وتفكيره ٠٠ فأنت لا تستطيع أن تنكر مدى انشراحك ، حين تبدأ عملك وجسمك مستوف قسطه من الراحة ٠٠ كما لا تستطيع أن تنكر التغييرات التى تحدث فى كيانك ، عندما توحى الى جسمك المكدود ايحاءات تسعده كأن تقول : « اننى فى مقتبل العمر ٠٠ اننى فى أتم صحة ٠٠ اننى فى أطيب حال » !٠٠ فبهذا الاسلوب تبعث فى جسمك حافزا يعيد اليه التوازن الذى ظننت أنه مفقود ٠٠ ولا تبدأ عملا حين يبدو لك انك مريض ، اذ لن يمكنك أن تطلب من جسمك تزويدك بالمجهود اللازم لانجاز هذا العمل ٠٠ كن متفائلا ، وحينئذ ينساق الجسم وراء العقل !

وهناك اعذار واهية تعوق تحقيق هذا التوازن المستمر بين العقل والجسم ٠ فقد يتذرع كل من يشتغل بعقله ، بأنه من الصعب عليه أن يجعل الرياضة تقطع عليه تفكيره ٠ ولكن هذه الاعذار تسقط اذا تعلم مثل هذا الشخص كيف ينظم اوقات راحته ، كما ينظم اوقات عمله ٠٠ فليس اجمل من رياضة السير على الاقدام ، مدة كافية تسمح بتجديد النفس المرهقة ، حتى تستعيد مرونتها وقوتها ٠٠ فكيف تتردد فى أن تمشى نصف ساعة كل يوم بحجة أن لديك عملا عاجلا !٠٠ انك لا تفكر فى الحقيقة الآتية : ان السير فى الهواء الطلق ولو لمدة ربع ساعة قبل الشروع فى العمل ، لهو أكبر معين للعقل والجسم ٠ ولا تتوهم انك تفقد بهذا ربع ساعة ، اذ الواقع انك تكسب أضعاف هذا الوقت ، اذ أن الافكار التى ماكانت تخطر لك بسبب ارهاق نفسك المثقلة ، تواتيك عندئذ سراعا بعد أن يكون السير قد أعاد الى جسمك ونفسك مرونتهما ونشاطهما !

وفضلا عن ذلك ، فان تدفق الافكار يبدو كأبرز مايكون ، عندما نسير فى الهواء الطلق ، الامر الذى يسمح لقوى الطبيعة بأن تؤدى وظائفها وتمدنا بالقوة ٠٠ ان كل عمل تشرع فى أدائه ، مهما كانت مهنتك ، ينبغى أن يعتمد على الطبيعة ، والا كان هذا العمل موقتا ، سرعان ماينهار !

ان الصحة ، كما قال « ابرت هيبار » ، هى أكثر الاشياء صلة بالطبيعة فى هذه الدنيا ٠ ومن الطبيعى ان نكون أصحاء ، لاننا جزء من الطبيعة التى

تجتهد دائما فى أن تجعلنا أصحاء ، لاننا لازمون لكيانها .. انها فى حاجة الى الانسان ، ليكون فى عون اخوته فى الانسانية !

واذا مالاح شبح المرض فى أفق تفكيرك ، فسارع الى استشارة طبيب خبير ، فاذا نفى عنك شبهة المرض ، فاطرد من نفسك كل وساوسها واشغلها بشىء آخر . يقول المتفائل الكبير « اوريزون ماردن » : « اذا كنت تطمع فى الحصول على الصحة ، فلا تسمح لنفسك قط بان تفكر فى ان المرض قد يجد اليك سبيلا .. اتخذ لنفسك دائما سمة الأصحاء .. فكر فى الصحة ، وأوح الى نفسك أن الصحة ملك يمينك »!

ولكن ، ماهو السبيل كى تضمن لنفسك صحة جسدية حسنة ؟.. انك تعلم أن الجسم والنفس كل لا يتجزأ : فلكى نحصل على الاحساس بالتفاؤل، والثقة بالنجاح ، والأمل ، وحب المغامرة ، ينبغى أن نتمتع بصحة جيدة وحيوية قوية . وحيوية الجسد معناها قوة تكوينه . ويجب ، كأساس لها أن تقوم غدد الجسم الداخلية بوظائفها على أتم وجه، كالغدد الدرقية والكبد ..الخ.. والشخص الذى تتعطل لديه وظائف هذه الغدد ، يبدو متعبا ، حزينا ، اذ أن ضعف افرازها يسبب له مانسميه بالانقباض .. وينصح العلامة «لافاستين» بدراسة حالة هذه الغدد عن طريق تحليل خاص لدم الانسان .. اذ لامفر لنا من معرفة بعض المعلومات الحديثة عن وظائف هذه الغدد ، لنتعلم كيف نجعلها دائما فى حالة جيدة ، عن طريق التنفس والهضم والدورة الدموية .. الخ ..

ولتكن المواد التى تتغذى بها غنية بالفيتامينات ، كاللبن الطازج ،والطماطم، والبرتقال ، والليمون ، والخضراوات الطازجة أو المطهية على البخار .. وماشاكل ذلك . ولكى تصون كبدك ، ابتعد عن المواد الضارة بالصحة ، كالمشروبات الكحولية .. وحبذا لو كنت من غير المولعين بالتدخين !

وهنا ، أشعر بأن واجبى يدعونى الى لفت نظرك الى وجود مرض يشكو منه جميع الناس فى هذه الايام ، وهو مرض التهاب الامعاء الغليظة . وسبب هذا المرض جراثيم تسكن الامعاء ، ومنها تسرى الى الدم وسائر أعضاء الجسم . والمصابون به سرعان ماينهكهم التعب فلا ينعمون بأية لذة فى الحياة ، وتتراوح درجة حرارتهم بين ٣٧ر٥ و ٣٧ر٨ فى المساء . ومن النادر حدوث الاصابة بهذا المرض دون أن يعقبها مرض خطر . وهذه الحالة تسمم حياة المصابين بها ، وتقف عقبة فى سبيل توفر النشاط الجسمى الذى هو شرط أساسى للتفاؤل . فاذا لم تؤد الامعاء وظيفتها ببطء فلا مناص من العلاج باتباع نظام خاص للتغذية ..

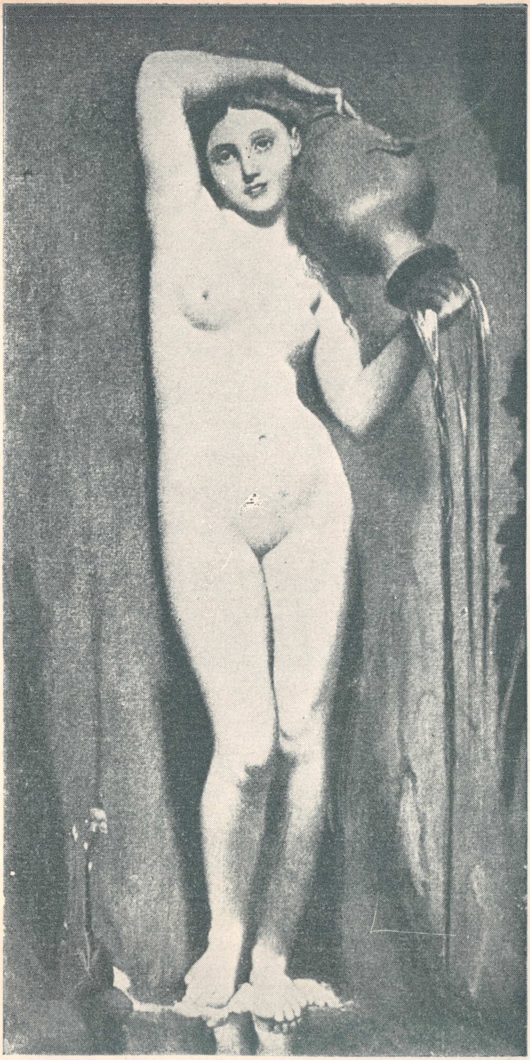
وكل منا يستطيع أن يروض نفسه على اتباع القواعد الصحية - الجسدية

والنفسية ــ اذا رغب فى ذلك . ولكى تصل الى ترويض نفسك بالعلاج ، ينبغى ترويض اللاشعور عن طريق « الايحاء الذاتى » .. فهل تريد ان تعرف الدور الذى يلعبه اللاشعور فى نفسك ؟.. عندما تضع قطعة من الثلج فى كوب من الماء ، تشاهد أن تسعة أعشار القطعة غارق فى الماء ، والعشر الباقى طاف فوقه .. وهذا هو الحال فى حياة الذهن الواعية ، التى يمثلها عشر قطعة الثلج .. أما الجزء غير الواعى ، فيمثله تسعة أعشار القطعة ! ومن هذا الجزء « غير » الواعى ، تنبع حركاتك المعتادة ، وأخلاقك ، وتفكيرك ، ووجودك الكامل . وما يهمنا معرفته وترويضه فى حياتنا هو اللاشعور ، اذ ينبغى أن نعرف أن عقلنا الواعى يمكن أن يؤثر بشدة فى عقلنا غير الواعى . ولنأخذ مثلا من المجرم الحديث السن : انك تسائل نفسك عن الباعث الذى دفعه الى قتل صديق له ؟ .. والجواب : هو اللاشعور .. وسوف يظهر الدفاع عنه أنه غير مسئول ، وهو فى هذا محق وغير محق . فاذا لم يكن هذا المجرم الحديث السن مختل القوى العقلية فهو مسئول ، لان كلا منا لديه من الوقت مايروض فيه نفسه عن طريق عقله الواعى . واليوم الذى ارتكب فيه هذا المجرم جريمته ، ليس هو اليوم الذى يعتبر فيه مسئولا عن فعلته .. وانما ترجع المسؤولية الى الوقت الذى سبق هذا اليوم ، حين كانت لديه الفرصة لترويض عقله الباطن قبل أن يرتكب هذا الجرم !

ان المجرم كثيرا مايفكر فى العمل الشنيع الذى سيقدم عليه ، فيكرر على غير وعى منه العبارات الآتية : « اذا ظهر لى خصمى ومنعنى من السرقة فلأهدر دمه » !.. وتمر الاسابيع والشهور ، فاذا بعقله الباطن يسجل هذه العبارة ، حتى اذا أتى يوم اتيح له فيه تنفيذ السرقة ، لم يتردد فى ان يردفها بالقتل ، اذا اعترض طريقه الخصم الذى تمثله فى عقله الباطن !

فلكى نكون متفائلين ، ينبغى أن نزيد هـــذا التفاؤل ، وان نغرس فى نفوسنا « احساسا لا شعوريا » به . واذا جعلنا النجاح هدفا لنا ، فان سبيل تحقيقه يكون هو الايحاء الذاتى . وفضلا عن ذلك ، يجب على كل منا أن يحصن نفسه بالايمان بالله ، واليقين الذى يحرك الجبال ويؤدى الى النجاح والصحة والسعادة . ولكى نضمن لكياننا الحيوية اللازمة لقوانا الروحية ، يجب أن نحفظ غددنا الداخلية فى حالة جيدة بالشهيق والزفير ،وحمامات الشمس ، ونظام تغذية مفيد ، وألعاب رياضية هادئة تنشط الدورة الدموية .. وفى هذا المجـــال يظهر لنا « اميل كويه » عبقريته ، بهذه النصـــائح التى ينبغى أن نتبعها جميعا :

أ ــ ليكن العلاج للجسم والنفس فى وقت واحد ، وبلا انقطاع ، دون فصل أحدهما عن الآخر ــ فكلاهما مكمل لصاحبه !



النبع : لوحة من أشهر معروضات متحف « اللوفر
بباريس ، وهى من رسم الفنان « انجر »
(١٧٨٠ - ١٨٦٧)



الأشجار المتعانقة تظلل طريق النزهة بالاسكندرية (لوحة فوتوغرافية من تصوير الاستاذ يوسف عبد الشهيد المحامى)

ب ـ كل من يعيش فى الحياة بغير هدف يرنو اليه ، يكتب لنفسه الموت بيديه ..

ج ـ عندما أدعوك للتفاؤل ، فلست أعنى التفاؤل الخامل الذى ينطوى على طرح العمل والجد جانبا ، بل أقصد التفاؤل الايجابى الذى يمكن أن يعبر عنه بثلاث كلمات : الثقة ، والارادة ، والتوجيه الحسن . فكيف السبيل الى تحقيق ذلك ؟

أولا : باتخاذ « النظام » شعارا لك فى كل عمل من أعمال حياتك ، وهذا يتطلب برنامجا صغيرا يضعه الشخص فى خمس دقائق ، عندما يستيقظ فى الصباح ، يشمل ماينوى أن يعمله خلال اليوم كله . وفى المساء ـ قبل النوم ـ يستعرض الشخص حوادث اليوم نفسه خلال خمس دقائق أخرى .. فتكون النتيجة أن كل عمل أو فعل يأتيه الانسان خلال يومه ، يكون قد أقره فى نفسه قبل الشروع فيه ، وأعطيت للعقل الباطن فرصة مناقشته ..

ثانيا : ماهو برنامج ترويض الجسم والنفس ؟

جوهر هذا البرنامج ترويض الشخص لنفسه فى كل ناحية من النواحى : فى حب الخير للناس ، وتقدير الانسان لنفسه ، واتقانه لعمله ، وجعل نفسه نافعا للآخرين ، والسعى لتحصيل العناصر التى تحقق صحة جيدة وحيوية قوية . وقبل ذلك ينبغى على المربين أن يغرسوا فى نفوس الناشئة عادات المرح والبهجة وسكينة النفس .. فالمدرس والمربية اللذان تتجلى فيهما حدة الطبع والغضب أمام تلاميذهم ، واللذان يخاطبانهم بلهجة لاذعة ، انما يقدمان لهم أسوأ الامثلة فى التربية . لذلك يجب على رجل التعليم أن يهتم بتهذيب الخلق قدر اهتمامه بالعقل ، لانه متى انتهت مهمة المعلم ، أصبح التلميذ معلم نفسه ! وهذا التهذيب ينبغى أن يعاصر ويلازم كل مراحل التعليم..

ومن أهم مزايا « مستعمرات العطلات الصيفية » المسامرات الجماعية ، وتناول الطعام فى الهواء الطلق .. كما ان أندية الكشافة والدعوة الى العراء هى معاهد كبيرة للتفاؤل ، وسيكون لها فى الهيئة الاجتماعية الحاضرة والمستقبلة أثرها الحميد ..

واذا كان التطعيم الصحى قد أضحى اجباريا .. فان التفاؤل وتهذيب الاخلاق ، يجب أن يعارا اهتماما أى اهتمام ، كضرورة للصحة العامة ، الجسدية والروحية ، على أن يكونا اجباريين كما هو الحال فى الامصال ضد «التيفويد» و « الدفتريا » .. انها اجراءات عامة ، ضرورية للصحة ، والتوازن ، وسعادة الشعوب !

٥ ـ الحوادث اكبر معين لنـــــا !

« معظم الشرور لا أساس له الا فى مخيلاتنا »
« لامينه»

◆ « ليس فى الحوادث مايمكن أن نسميه بالمصائب ، بل كل ماهنالك أن بعض الحوادث نسىء استقبالها » .. هكذا يقول الكاتب الـكبير « موريس مترلينك » .. فلترقب بانتباه الحادث الذى يعرض لك فى حياتك ، فاذا تبينت مايحمله من خير ، فان الحادث يصير عنصرا مفيدا لك . وهذا يذكرنى بقصة صغيرة أو مثل اضربه لك : سيدة تنتظر دورها فى عيادة طبيب ، وسرعان مايتولاها القلق بعد انتظار عشرين دقيقة .. وفى الحجرة مريض آخـر ينتظر دوره مثلها ، وعلى شفتيه ابتسامة سببها قلق السيدة الأولى ! وبعد مرور خمس وعشرين دقيقة أخرى ، تقوم السيدة القلقة تلعن الطبيب ، واذا بالمريض الباسم يقول لها ضاحكا : « سيدتى .. انك تلعنين هذا الطبيب ، وكان الواجب أن تدعى له بالخير ، لانه سيعلمك كيف تكونين صبورا ! » .. فاذا بالسيدة تبتسم وتجلس فى مكانها !.. نعم ، ان الحوادث تنطوى دائما على شىء من الخير ، وكل انسان يستطيع أن يفيد منها ، متى كان بعيد النظر

تعلم كيف تخضع الحوادث لفكرتك الخاصة ، لان هذا هو سبيل الانسان الى الابقاء على نفسه ، ولأن ابقاء الانسان على نفسه ، فى حدود مايعتقده ، هو الطريق الوحيد لتحقيق شخصيته . استقبل الحوادث فى هدوء ، ولا تجعل للوسواس ، واليأس ، والجبن ، الى نفسك سبيلا ، بحجة أن الحوادث لاتحقق لك ماتريد !.. يقول « ايبكسيت » : « على الانسان وحده أن يجعل من الحوادث معينا له ! » .. فلا تقلق نفسك بما سيحدث فى الغد ، اذ ماذا يهمك ما سيقع غدا مادمت ستحسن استقباله ، بحكمتك ؟ فالعبرة فى اللعب ليست بالورق الحسن الذى فى يد اللاعب ، بل بالورق الردىء الذى يحسن اللعب به !

ولقد علمنا القدماء ان السعادة تأتى ، أول ماتأتى ، من دخيلة نفس الانسان ، ومن ثم علينا نحن ان نبحث عن هذه السعادة الكامنة فى نفوسنا ، مستغلين ـ لتحقيقها ! ـ الحوادث التى تصادفنا !

٦ ـ كن نافعا للآخرين

« ازرع الاحسان ، تحصد السعادة ! »

◆ اليك أيضا احدى الحكم التى تعبر عن عنصر من اقوى عناصر التفاؤل والنجاح ، الا وهى : « كن نافعا لبنى جنسك ٠٠ لا تكن أنانيا ٠٠ كن خيرا ٠٠ كن صاحب مروءة مع الغير ٠٠ كن كريم الخلق »

أما من يظن أنه أوسع حيلة من غيره ، فعلينا أن نسدى له النصح بأن يترك الناس ينتفعون بمواهبه ومزاياه ، ولنقل له : « كن (الكمثرى) التى يسيل لها اللعاب ، واترك لغيرك ان يزيل قشرها » ٠ انه ان فعل ذلك ، فلن يتهم بقصر النظر أو بعدم الفطنة ، لان كل من تضىء نفسه بقبس من حسن الادراك والعواطف الطيبة والسخاء ، يمكنه دائما أن يهتدى الى مواطن الخبث والخسة والخيانة ، فيتجنبها !٠٠

ولا شىء يضيق أفق تفكيرك أكثر من الحسد الذى يجلب السأم ، والمرض ! ٠٠ انه يفسد روحك ، بل ويعدمها !٠٠ واذن ، ما الفرق بين الشخص الذى يحسد غيره ، وذلك الذى يبادل الآخرين محبتهم ويعطف عليهم بكل قلبه ؟!٠٠ ان الاخير يحس بأن جزءا من السعادة التى تنير نفوسهم تنعكس على نفسه ، وبذلك يزداد تفاؤله ٠٠ والخير كل الخير ، لمن يجد من نفسه وازعا لخدمة الآخرين، دون أن يتقاضى مقابلا لهذه الخدمات ، اكتفاء باللذة النفسية التى يستشعرها ، والمستمدة من عرفان الغير بالجميل !

وعندما يذكر أحد زملائك شرا عن جاره ، فانك تتبين ـ اذا ماكشفت قليلا عن دخيلة نفسه ـ انه انما فعل ذلك بدافع الغيرة منه ! فاذا ماتعمقت ووصلت الى منطقة اللاشعور فى نفسه ، فانك قد تجد انه لايحمل له الا كل اعجاب واجلال ٠ ومن هنا ينبغى أن تبذل مجهودا كبيرا فى ازالة الخلاف بينهما ٠ فاذا نجحت ، فما أعظم السرور الذى يغمرك ، لكونك ربطت بين قلبين متنافرين ، وقربت بين نفسين متخاصمتين !٠٠ وماذا تنتظر من جزاء أجمل من هذا ؟٠٠ ان قلبك يرق ، وتفيض بالفرح نفسك آ٠٠ ولا تنس ان الرجل الخدوم ، العطوف ، يجد من يخدمه فى أى مكان يحل فيه ، اعترافا بجميله وخدماته للآخرين !

وثمة مثل رائع على هذا العرفان ، استخرجه من أخلاق الطبيب الجراح « لارى » الذى رافق نابليون فى حملته على روسيا ! فقد قال عنه الامبراطور



فى احدى المناسبات أنه أفضل رجل عرفه !٠ حتى لقد اعتبره الامبراطور مثلا أعلى فى الاخلاق٠ وما ذلك الا لأن «لارى» لم يكن ليتردد مطلقا ـ وسط نيران المدافع ـ فى أن يخف لمساعدة الجرحى والمصابين ! وقد سماه الجنود ب «أبيهم»٠ واليك ما فعلوه من أجله ، وقت انسحاب الجيش الفرنسى من روسيا ، وقد وصفه هو فى خطاب الى زوجته : « فى وسط الجيش وعلى الاخص وسط الحرس الامبراطورى ، كان من المستحيل أن أهلك ! ٠٠ انى أدين للجنود بوجودى ، فلقد أحاط بى البعض لانقاذى حين حاصرنى جنود القوزاق ، وكدت أقتل أو أقع فى الاسر ! ٠٠ بينما سارع البعض الآخر الى نجدتى عندما تركتنى القوات وسقطت وسط الثلوج ٠ وآخرون أعطونى مالديهم من غذاء عندما شاهدونى أعانى ويلات الجوع ٠ وأخيرا حضرت الى معسكرهم ، فاذا بكل منهم يخلى لى مكانه ! »

هنا ، تبرز أجلى صورة لشعور الاعتراف بالجميل ٠٠ وقد احتفظ هذا الجراح الكبير ، فى كل مناسبة بمزاج طيب لم يتزعزع بفضل أخلاقه النبيلة!

ان الشخص المتفائل ، الشجاع ، يطرق أبواب الخير أينما ذهب ٠ ولن يقابل فى أى مكان ، الا بابتسامات العرفان ، وبعطف ملتهب ، ممن يحملون فى نفوسهم حب الخير ، والرغبة فى أن يكونوا نافعين !

وبذلك يزداد تفاؤله ٠٠ والخير كل الخير ، لمن يجد من نفسه وازعا لخدمة الآخرين ، دون أن يتقاضى مقابلا لهذه الخدمات ، اكتفاء باللذة النفسية التى يستشعرها ، والمستمدة من عرفان الغير بالجميل !

٧ ـ تجمل بالايمان ، لتصفو نفسك

« يجب ان نؤمن بالخير لنستطيع فعله »
« دى بونالد »

◆ من الأقوال المأثورة التى تكشف لنا عن خاصة أخرى من خواص التفاؤل ، هذا القول : « ان فلانا له قلب عامر بالايمان » ٠٠ والواقع ان أقوى صفة بين الصفات الخلقية هى الايمان ٠ وما الايمان ، والثقة ، والامل ، الا صفات النفس الطيبة ٠ والذين لا تنطوى نفوسهم على حب المثل العليا ، لن يذوقوا لها طعما مهما يبذلوا فى سبيل الحصول عليها ، لأن الشىء الذى يراه الانسان حسنا ، انما يستمد حسنه من نفس الناظر اليه ، ومن طريقة تفكيره فيه ! ٠٠ ويقول « ريمى دى جورمون » : ان الايمان ضرورى للشاعر كما هو ضرورى لرجل الدين ٠ والمؤمن فى غير حاجة الى عينين مبصرتين ، ليرى بهما جمال ما يعتقد هو فى قرارة نفسه أنه حسن وجميل » !

كثيرا ماقابلت أناسا يبدو أنهم لايهتمون بشىء ولا يتحركون لشىء ، حتى لو وقفوا أمام أجمل الاشياء أو شاهدوا عملا من أعمال البطولة أو المجد ! فاذا ماذهبت بهم الى ريف جميل ، أو وجهت نظرهم الى جمال الغروب ، أو الى جبل غطاه الثلج ، لما تحركوا !٠٠ ان نفوسهم لا تكن أى حب للمثل الاعلى ٠ وان قلوبهم المثلجة لتستحق كل اشفاق !٠٠ انهم يعبرون طريق الحياة دون هزة فرح !٠٠ لايحركهم ، ولا يشغل بالهم ، سوى مصالحهم المادية ٠ فحب الذات يسيطر عليهم ، ويعميهم عن وجود الغير ! ٠٠ قد تظن أنهم سعداء ؟! ٠٠ لا ٠٠ اذ أن قلوبهم دائمة الاضطراب ، خشية أن يفقدوا ماتملكه أيديهم ، ومن ثم فهم لا يسعون الى تحقيق مايصبون اليه !٠٠ هذه المخلوقات الانانية ، لايمكن أن تسعد بمزاج طيب ، مادامت تنظر الى الآخرين بعين الشك والقلق !

وقد صور « موليير » هؤلاء ـ فى روايته « البخيل » ـ بأنهم يعتقدون أن العالم كله يتآمر على ثرواتهم وسعادتهم !٠٠ الا ما أبعد هذه الكائنات التى تعيش عالة على المجتمع ، ماأبعدها عن التفاؤل ، وعن الظفر بعطف الآخرين وحبهم !٠٠ ولا غرو ، فان قلب الانانى لا يخفق بحب الآخرين ، ولسانه لاينطق بكلمة محببة ، الامر الذى ينفر الناس منه ، ويجعله فى معزل عنهم ، فينأون بأنفسهم ، معرضين عنه ، يوم يشعر بالحاجة اليهم !

وعلى العكس من ذلك ، الشخص الذى يبادل الناس الود والمحبة ، ففى كل ظرف ، وفى كل مناسبة ، يستطيع ان يعتمد عليهم اعتمادا تاما ٠ وهذا

ماتمنحه له محبة الآخرين ، ومايجلبه له الفرح ، والرقة التى لاتفارقه ، اذ يحمل بين جنبيه نفسا مضيئة تبعث النشاط ، ويوقظها دائما تفاؤل لا يعرف العثرة ، ومزاج طيب لايتغير !

٨ ـ الارادة ٠٠ والخيال

« حين يكون المرء لنفسه عاداته ،
فهو ينسج رداء مستقبله بيديه »

◆ وهاتان القوتان ، تكمل أحدهما الاخرى ، وتتعاونان تعاونا مشتركا ٠ وهاتان القوتان هما : الخيال والارادة ٠ وقد شرح « أميل كويه » هذه المسألة العملية بقوله : « عندما تتصارع هاتان القوتان ، فان الفوز يكتب للخيال دائما »! ٠٠ وليس لاى متفائل غنى عنهما ، ولكن من الواجب ألا يسيىء استخدامهما ٠

ولا يمكن أن تظهر لتطبيق الايحاء الذاتى أهمية كما تظهر هنا ٠ ولقد أشرنا من قبل الى ذلك « الكائن الحقيقى » الذى يعمل خارج حدود الشعور ، وهو مايسمى بـ « اللاشعور » ٠ هذا الكائن الذى لاتخمد له جذوة فى أعماق نفوسنا له مهمة كبرى لا يدرك مدى أهميتها أكثر الناس ٠ فهذا «اللاشعور» هو ذاتك الحقيقية ٠ وحين تسىء استخدام هذه القوة ، تلحق أكبر الاذى بنفسك ! فان هذه الذات تسجل ـ ودون علمك ـ مئات الوقائع ، والحوادث ، والاقوال التى يفوت عليك معناها ٠ وهى ، اذا ما أحسن توجيهها ، أمكنها أن تعيد اليك ماتفقده من صحة وسرور ٠ ولكن ، ينبغى أن تؤمن أولا بوجودها ، وأن تملك الصبر فى توجيه الاوامر اليها !

خذ مثلا الدور الذى يلعبه اللاشعور فيك قبل أن تنام ٠٠ استعرض حديثا تريد أن تحفظه عن ظهر قلب ٠ وسترى فى اليوم التالى عندما تستيقظ ، أنك تعرفه تماما ٠ واذن ، فهناك « شىء » قد عمل أثناء نومك ٠٠ هذا الشىء هو «اللاشعور»!

وهناك ماهو أكثر من ذلك : اذا عرض عليك موضوع شائك فى حالة اليقظة ، ولم تهتد الى حل له ، فما عليك الا أن تحيله على « العامل الخفى » ٠٠ اى اللاشعور ٠ وفى يوم ما ، ستجد نفسك أمام الحل الصحيح لهذه المسألة الصعبة وغالبا مايكون ذلك فى وقت لا تفكر خلاله فيها ٠ وهكذا تتعدد الادلة والقرائن، على عمل هذا الكائن السحرى الذى لا يهيمن فقط على وظائف جسمك المختلفة ، كالدورة الدموية والهضم ، بل يهتم أيضـــا بالخواطر التى تبعثها اليه ذاتك الشعورية ٠

ونعل من السهل الآن أن ندرك المعونة ذات القيمة القصوى ، التى يقدمها لك اللاشعور ، فى تطور أفكارك المتفائلة ، وكل التغيرات التى يمكن أن تصيب كيانك تبعا للاوامر والتوجيهات الشعورية التى توجهها اليه ! ٠٠ فهنا يلعب الخيال دوره بكلمة « أستطيع » والارادة بكلمة « اريد » !٠٠ ان العالم بأسره لا يعرف مستحيلا ، فى حدود المعقول !٠٠ وتوجد وسيلة نفسية ينبغى أن نعرفها، تجمع بين الخيال والارادة ، كأداة واحدة للعمل ٠ ففى الوقت الذى تقول فيه « أريد » ينبغى أن تتخيل على أية صورة ترغب فى تحقيق هذا الذى تريده !٠٠ ومن ثم فالخيال هو الذى يتدخل ، ويجعلك فى النهاية تكسب القضية وتحقق ماتريد ٠

ويجب ألا نهمل نقطة الابتداء فى هذا الموضوع ، اذ علينا ان نركز جميع قوانا النفسية لتحقيق مانريد ، على ألا نقيم وزنا لكل مايوجه الينا من الملاحظات الساخرة ، أو الارشادات والنصائح التى تعوق هذا الغرض ٠ ولتدرك أن عليك وحدك أن تقوى درع مقاومتك ، لتتحطم عليه تلك النصائح التى تضعف وثباتك وتعدم قواك !٠٠ فعليك أن تحتمى اذن بهاتين القوتين : الارادة والخيال ٠٠ ولا تتوان فى بذل كل مجهود بمساعدة اللاشعور ، الذى يترقب منك أن توحى اليه بخواطر الشباب البهيجة ، وحماسه ، مع وثوقك بأنه سيجيب ماتطلب منه ٠ وسوف تدهش يوما ما ، عندما تلمس فى نفسك التغييرات التى تحدث نتيجة لذلك !

ألم تصادف أشخاصا تمدهم بنصائح التفاؤل ، فيجيبونك قائلين : « ليس هذا من طبيعتنا » ؟!٠٠ لشد ما أرثى لهؤلاء القوم !٠٠ كم كانت نياتهم حسنة ، حين اعتقدوا أنه من العبث أن يقاوموا الصفات الوراثية الكامنة فيهم ، ومن ثم تعين عليهم أن يقبلوا مايمليه القدر عليهم !٠٠ لاشك انها فكرة مريحة تعفى الانسان من أن يخطو خطوة واحدة نحو الكمال بوسائله الخاصة ! ٠٠ وهؤلاء الناس ، اذ يأبون أن يتعمقوا فى دراسة أنفسهم ليتبينوا مصادر التطور الكامنة فيهم ، بفضل قوى النفس غير المحدودة ، انما ينسون أو يتناسون أن أكبر دافع فى اعتداد الشخص بنفسه ، هو أن يخلق منها مايريد أن تكون عليه !

ان الايام الجميلة تنبع منك ، لانك انت الذى تخلقها ، وتخلق من الدنيا الصورة التى تتخيلها ! ٠٠ وان نفسك لتفيض بالتفاؤل الذى تكنه ، وانك على استعداد لان تهب من نفسك نفوسا للآخرين ، وان لديك ، نحو زملائك ، هذا التسامح العظيم الذى يدعوك الى أن تشفق عليهم لا أن تلومهم أو توبخهم ، وانك على استعداد لان تقدم لهم الخدمات ، وأن تحبهم ، وأن تبغى لهم السعادة ٠٠ هذا النوع من الكمال ، فى استطاعة المتفائل أن يحصل عليه بالارادة ، والخيال ، واللاشعور ٠ وهو فى الوقت نفسه سر سلامة الجسم والروح ٠

.. وفى نهاية المطاف

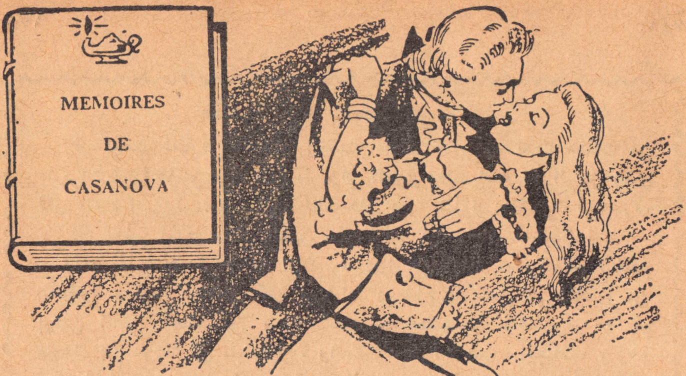
أذكر هذه الوصايا العشر :

- ارسم لنفسك برنامجا صباح كل يوم ، وحاسب نفسك عليه فى المساء
- اتخذ العمل المتواصل شعارا لك ، واقبل عليه بنفس متفتحة
- انظر الى الوجود من نواحيه الجميلة ، وجرد نفسك من كل خبث
- حافظ على حيوية جسمك ، لتؤدى اعضاؤك وظائفها الطبيعية
- ثق فى نفسك ، وثق فى الآخرين ، وتخلص من الشك القاتل
- كن نافعا للآخرين ، ومحبا وخدوما لهم ، عطوفا عليهم
- جاهد فى التوفيق بين نفوس فرقت بينها الخلافات والاحقاد
- اتخذ من ارادتك وخيالك ، وعقلك الباطن ، أسلحة فى كفاحك
- استقبل الحوادث فى هدوء ، وسخرها لخدمة مقاصدك

.. ولتؤمن :

ان الحياة مجموعة ابتسامات

ترجمة :
يوسف عبد الشهيد المحامى


MEMOIRES
DE
CASANOVA



مغامرة ٠٠ داخل عربة !

◆ قدمت لك فى الاعداد الماضية من « كتابى » ثلاث حلقات من مذكرات أجرأ مغامر عرفه التاريخ ، فى الهوى والسياسة ٠٠ الرجل الذى قال عنه « أميل لودفيج » ان « تألقه فاق بريق الملوك والشعراء فىعصره، بل انه يعتبر أشهر رجال القرن الذى عاش فيه ، بعد نابليون ! »

ولقد نقلت لك فى العدد الماضى ما رواه عن نهاية مغامرته مع الخادم الصغيرة « لوسى » التى كان لبراءتها وسذاجتها فضل فى افلاتها من براثن الفتى العاشــق ، واحتفاظهــا بعفتهــا طاهــرة ٠٠ ثم ماروام عن عودته الى البندقية ، واستئنافه غرامه مع « انجيلا » ، وهو غرام تمخض عن مغامرة جديدة مع الفتاتين « نانيت » و «مارتون» ٠٠ وأخيرا ، سفره الى ضيعة الكونتة « مون ريال » ، وانفراده بالكونتة « جودزى » العروس الجديدة ــ فى احدى العربات ــ أثناء نزهة خلوية ٠٠ وما أدى اليه هذا الانفراد من ارضاء لرغبته فيها ، والعربة منطلقة بهما فى الغابة ، وسط العاصفة !

واليوم ، أقدم لك الحلقة الرابعة من تلك السلسلة الطريفة :

درس عملى ٠٠ بأسلوب الشباب!

◆ **عاد « كازانوفا » الى البندقية ، فوجد جدته مريضة ، ومالبثت أن ماتت بين ذراعيه ٠٠ وكتبت أمه من « وارسو » تنبئه بأن أسقف « مونتاريو » سيوافيه ليصطحبه الى « كالابريا » حيث يعنى بتثبيته فى خدمة الكنيسة ٠٠**

وسر مسيو « دى ماليبيرو » ـ عضو الشيوخ ـ اذ علم اننى راحل عن البندقية لأستكمل استعدادى للمستقبل ، فقد رأى بحكمته وحصافته اننى كنت منغمسا فى البندقية فى اللهو والملذات ٠٠ وألقى على درسا فى فلسفة الرواقيين ، قائلا : « أسلم نفسك لما يقدمه لك القدر ، على أن لا تشعر بازورار عنه أو نفور منه » وأسهب فى شرح الفلسفة القدرية ـ اذ كانت كل دروسه ومعرفتهمقتصرة على هذا اللون من الفلسفة !

على أن رضاءه عنى لم يدم اكثر من شهر ، وقع فى نهايته حادث أفقدنى صداقته ، رغم اننى كنت أتبع تعاليمه وأنفذها : كان الشيخ يخال انه أوتى من الفراسة مايمكنه من أن يكشف فى أسارير بعض الناس مخايل تنم عن مدى ايثار الحظ اياهم ٠٠ وكان اذا توهم انه تبين هذه المخايل فى أحد ، أخذ بيده وراح يعلمه كيف يساعد الحظ باتباع المبادىء الطيبة الحكيمة ٠٠ وكان

يقول ان الدواء الناجع قد ينقلب فى يد الغبى أو الاحمق الى سم زعاف ، فى حين ان السم اذا أحسن استعماله بيد عليم مطلع ، ينقلب الى دواء ! وكان لديه اذ ذاك ثلاثة تلاميذ يعنى بتربيتهم على هذا النسق .. فالى جانبى ، كانت هناك « تيريز ايمر » ـ الفتاة التى كان الشيخ مدلها بها على ماوصفت من قبل ـ ثم فتاة تصغرنى بثلاث سنوات ، كانت ابنة مراكبى ، وكان الشيخ يرى ان الحظ قد أعدها لتكون راقصة ، فآلى على نفسه أن يعدها لهذا المصير !

وذات يوم ، تناول ثلاثتنا الغداء على مائدة الشيخ .. حتى اذا رفعت المائدة، تركنا الشيخ لينعم بما اعتاد من قيلولة .. ثم انصرفت الفتاة الراقصة ، ووجدتنى وحيدا مع « تيريز » التى كنت أعجبت بها ، وان لم أحاول قط من قبل ان ابدى لها حبى .. وجلسنا الى احدى المناضد متقاربين ، وظهرانا الى باب الغرفة التى كنا نظن ان راعينا قد استغرق فى النوم فيها .. وبطريقة ما ، راق كلا منا أن يدرس الآخر ، بأسلوب الشباب ! .. وفيما كنا فى عنفوان الانصراف الى هذا الدرس ، اذا بضربة قوية من عصا هوت على كتفى ، وأعقبتها ثانية ..

وكان من الممكن ان تنهال العصا على كتفى أكثر من ذلك ، لولا أننى بادرت الى الفرار تاركا قبعتى وعباءتى !.. ولم ينقض ربع الساعة على استقرارى فى بيتى ، حتى أحضرهما حارس قصر الشيخ مع رسالة منه يحرم على فيها أن أطأ داره .. فرددت فورا قائلا فى رسالتى : « لقد ضربتنى وأنت عبد للغضب ، فليس لك أن تزهى بأنك لقنتنى درسا ، سيما واننى لم أع شيئا يعد درسا . ولكى أصفح عنك ، يجب أن أنسى انك رجل واسع الحيلة ، وهذا مالا أستطيع أن أنساه ! »

وقام « جريمانى » ببيع أثاث دار أم كازانوفا بأمر منها ، فاشتراه جميعه رجل يدعى « انتونيو رازيتا » ، لم يلبث أن كشف غياب بعض تحف منه ، كان «كازانوفا» قد رهنها فى أزماته . ورفع الرجل الامر للقضاء ، فاستعان « كازانوفا » ببعض ذوى النفوذ على حفظ القضية ، مما أحنق عليه « رازيتا » فأخذ يتحين الفرص لايذائه . وفى تلك الاثناء ، ورد نبأ للأب جريمانى بأن الاسقف « مونتانرو » لن يستطيع المجىء قبل ستة شهور ليصحب « كازانوفا » الى أمه ، ومن ثم رؤى أن يقضى الشاب هذه الفترة فى دير

شيطان داخل الدير !

◆ كانت فكرة وضع شاب فى السابعة عشرة من عمره ، له مثل طبيعتى ، فى الدير ، فكرة سخيفة ! وان هى الا أيام حتى ارتديت مسوح تلاميذ الدير ، وأرسلت الى كنيسة « سان سيبريان دوموران » ، فتلقانى رئيس مدرستها فى

عطف ومودة ، لكننى مالبثت أن شممت من حديثه أنه يظننى جئت الى المدرسة عقابا ، أو ردعا ٠٠ فلما اعربت عن استيائى لهذا ، بادر يطمئننى ٠٠ ومن ثم جسنا خلال المعهد : كانت ثمة ثلاث قاعات ، وجدنا فيها ما لايقل عن مائة وخمسين تلميذا ٠٠ فضلا عن عشرة فصول ، ومطعم ، و « عنبر » للنوم ، وحدائق للعب ٠٠ وقد بذلت كل الجهود لايهامى بأن الحياة فى مثل هـذا المكان أسعد ما يمكن ان يناله شاب مثلى !

ولم ألحق بقسم نوم الكبار ، اذ لم أكن ـ رغم نمو جسمى ـ قد بلغت السن المحددة ، كما اننى لم أكن أحلق فودى ، اذ كنت أعتقد أن نعومتهما لاتدع شكا فى شبابى ٠٠ انه سخف ، ولكن ، منذ متى كف الرجال عن السخف ؟٠٠ اننا نتخلص من رذائلنا بأسهل مما نتخلص من حماقاتنا !

ورغبت فى أن ألتحق بمدرسة فقه الدين فى المعهد ٠ ومع اننى كنت أحمل « الدكتوراه فى اللاهوت » ، الا أنهم أصروا على امتحانى ، فشعرت بأن فى هذا اهانة لى ٠٠ وتعمدت أن أسىء الاجابة ، فكان ان وضعونى فى فصل أولى لدراسة النحو والصرف ! فوجدت نفسى فى فصول الدراسة زميلا لعشرين تلميذا تقريبا فى حوالى العاشرة من العمر !

أما فى عنبر النوم ، فكان الامر على العكس ، اذ كان أندادى من الزملاء يدرسون فى فصول متقدمة عن فصلى ، فكانوا يستصغرون شأنى ويزدروننى!٠ ولم أكن راغبا فى أن أطلعهم على مدى علمى ، لولا اننى اضطررت لان أطرح عنى القناع أثر حادث لم أستطع أن أتفاداه : اذ جاء يزور المعهد أب تلقيت عليه العلوم الطبيعية فى البندقية ، فما أن علم بالفصل الذى وضعت فيه حتى تحدث فى الامر الى مدير المعهد ، الذى استدعانى بعد ساعة ليظهر غضبه مما اصطنعت من جهل ! ثم ألحقنى بمدرسة فقه الدين ٠٠ وما أن علم زملائى فى عنبر النوم بالقصة حتى التفوا حولى وأسعدونى بما أولونى من صداقة ومودة ٠

واسترعى انتباهى بينهم طالب فى الخامسة عشرة من عمره ـ ما أحسبه الا أسقفا الآن اذا كان على قيد الحياة ـ فقد اجتذبتنى ملامحه ومواهبه معا ٠٠ وتوثقت بيننا الصداقة فى أقل من أسبوع ، وبدلا من أن نلعب مع الآخرين فى أوقات الفراغ ، كنا نتمشى ونتباحث فى الشعر والشعراء ٠٠ وبلغ من توطد صداقتنا أن أصبح كل منا يغار على صاحبه من تودد الزملاء الآخرين !

وكان عنبر النوم تحت اشراف راهب علمانى ، كان يصحبنا اليه عقب العشاء، فيخلع كل منا ملابسه فى سكون ، ويؤدى صلاته بصوت خافت ، ثم يأوى الى سريره ٠٠ وبعد أن يطمئن المشرف الى وجود كل واحد فى فراشه ، كان يأوى بدوره الى سريره ٠ وكان يضىء العنبر طيلة الليل مصباح كبير ٠٠ وقد صفت الاسرة على مسافات متساوية ، والى جانب كل منها منضدة صغيرة ،

ومقعد وفراغ لحقيبة ملابس الطالب ٠٠ وفى أقصى العنبر قامت الحمامات ، فى حين وضع سرير المشرف فى الطرف الآخر المقابل لها ٠ وكان سرير صديقى مواجها لسريرى ، يفصل بينهما المصباح الكبير

وسبب هذا التقارب متاعب لكازانوفا ، فقد وجد ذات ليلة صديقه الى جواره فى سريره ! ٠٠ وفوجىء الاثنان ٠٠ ومع أن كازانوفا كان بريئا من أى فعل فاضح ، الا أنه اضطر لمغادرة الدير والعودة الى البندقية

« كازانوفا » فى المعتقل !

◆ **ولم أدر أين أذهب وليس معى نقود ٠٠ وفى ظهر اليوم الاول ،** استوقفنى شرطى وطلب الى أن أصحبه الى « جندول » أشار اليه ٠ وأدركت ان ليس فى الامر خيار ٠ ومع أن هذا اللون من « الاعتقال » لم يكن مشروعا فى البندقية اذ ذاك ، الا اننى خشيت الضجة والعنف ٠٠

وفوجئت فى الزورق بعدوى « رازيتا » ! وكان ثمة جنديان يجلسان فى طرف الجندول ـ الذى تبينت انه يخص الاب جريمانى ، والذى بادر متجها الى ضاحية « الليدو » ـ ولم ينبس أحدنا ببنت شفة ، ولم أحاول من ناحيتى الكلام ٠٠ وبعد نصف الساعة ، وقف الجندول أمام مدخل قلعة « سانت أندريه » ، وقدمنى ضابط كان يرافقنا الى قائد القلعة ، ودفع اليه برسالة لم يلبث بعد قراءتها ان عهد بى الى ياوره السيد « زن » ، الذى أعطانى بعد رحيل مرافقى ثلاثة جنيهات ونصف الجنيه ، وأفهمنى اننى سأتقاضى مثل هذا المبلغ فى كل اسبوع ـ وهو مرتب المجند ! ـ ولم استسلم للغضب ، وان شعرت بحنق شديد ٠٠ وقضيت ليلتى دون أن يغمض لى جفن ، اذ كان زملائى المجندون يغنون ، ويأكلون الثوم ، ويدخنون أردأ أنواع التبغ ، ويشربون نبيذا أسود كالمداد !



وفى الصباح الباكر ، استدعانى الميجور «بلودورو» ـ حاكم القلعة ـ وأنبأنى انه تركنى أقضى الليل وسط الجنود تنفيذا لأوامر وزير الحربية ، ثم قال : « اما بعد هذا ، فالاوامر تقضى بأن استبقيك سجينا فى القلعة لا تبرحها ، وسأدع لك حرية التنقل فى أرجائها ، وأفرد لك غرفة لا بأس

بها ، نقل اليها كل متاعك .. فافعل ماشئت ، ولكن تذكر انك لو هربت فسوف تقضى على مركزى .. ويؤسفنى ان الاوامر تقضى بأن لا أعطيك سوى عشرة « صولديات » فى اليوم ، على انك تستطيع أن تكتب لمن ترى انهم على استعداد لأن يمدوك بالمال من أصدقائك فى البندقية ، ولك ان تأتمننى على رسائلك »

تمنحه الحب .. والمرض !

◆ **وكانت** غرفتى فى الطابق الاول ، واسعة ذات نافذتين تطلان على منظر رائع الجمال .. وارتحت اذ وجدت حقائبى الى جوار السرير سليمة لم تمس أقفالها ، وقد تكرم « الميجور » فأعد لى منضدة مجهزة بكل أدوات الكتابة ، وعين جنديا لخدمتى ، على ان أدفع له أجرا من « الصولديات » العشرة التى كنت أتقاضاها يوميا ..

ودعانى حاكم القلعة للعشاء فى تلك الليلة ، فوجدته محوطا بعدد من الاصدقاء . وقدمنى الى زوجته والى الحاضرين ، وكان بينهم عدد من الضباط ، وقس القلعة ــ « باولى فيدا » ــ وزوجته التى كانت اختا لزوجة الميجور ، وكانت جميلة ، وقد اختار زوجها رعاية كنيسة القلعة لانه كان مشبوب الغيرة !.. وكان ثمة عدد آخر من السيدات اللواتى جاوزن مقتبل الشباب ، بيد ان حفاوتهن بى ، جعلتهن يرقن فى نظرى !

وكانت حكومة الجمهورية لا تحتفظ فى القلعة بحامية تزيد على مائة جندى صقلبى ممن يتقاضون نصف مرتب الجنود العاديين ، لكنها فى تلك الايام ضمت ألفى جندى ألبانى جلبهم وزير الحربية ــ الذى كان يدعى « الحكيم الكاتب » ــ من الشرق ، بعد أن أبلوا فى آخر حرب ضد الاتراك .. فوجدت عزاء وتسرية فى الاتصال بهم ، وتفقد أحوالهم ، وسماع أحاديثهم ..

واذا تفقدت محتويات حقائبى ، تناولت من بينها كل ما له علاقة بالكنيسة ، ثم دعوت احد السماسرة وبعته الحزمة كلها غير آسف .. وأرسلت الى السيد « روزا » كل المقالات التى كتبتها ، راجيا اياه أن يبيعها ويوافينى بثمنها ..

وتلقى « كازانوفا » فى يوم عيد ميلاده ــ ٢ أبريل ــ زيارة من امرأة يونانية حسناء ، جاءته محملة بالهدايا .. وكانت زوجة أحد ضباط الحامية ، وقد أسلمته نفسها طيلة اليوم ، مقابل وعده بأن يكتب التماسا باسم زوجها الى وزير الحربية لترقيته .. وفى ثالث يوم بعد ذلك ، تبين « كازانوفا » انها لم تمنحه الحب وحده .. وانما منحته أيضا مرضا اضطره الى أن يتبع نظاما قاسيا للتغذية مدة ستة أسابيع ، حتى شفى

يفر من القلعة لينتقم من عدوه !

◆ وفى منتصف شهر يونية ، أعيد الالبانيـون الى الشرق ، فأحسست بفراغ كبير ٠٠ وكان الصيف شديد الحر ، فكتبت الى السيد « جريمانى » أسأله أن يوافينى بحلتين صيفيتين من المتاع الذى تركته فى دار الاسرة — ان لم يكن « رازيتا » قد باعه — وان هو الا أسبوع ، حتى وجدت « رازيتا » يزور حاكم القلعـــة وفى صحبته مهرج زعم انه أثير مقرب لدى امبراطورة روســيا !٠٠ ودفع « رازيتا » الى بحزمة وهو يقـول : « لقد أحضرت لك أسمالك » ٠٠ فقلت له : « أرجو ان أحضر لك يوما كفنا ! » ٠٠ فاهتـاج الوغد ، ورفع عصاه ، ولكن الميجور اضطره الى ان يهـدىء من سورته ٠٠ وقال زميله المهرج انه كان يتوق الى ان يلقانى فى البندقية لأقوده الى أماكن الفحش التى اعتقد اننى أعلم بها منه !٠٠ فقلت له : « من المحتمل أن تلتقى بزوجتك فى احد هذه الاماكن ! »

وكنت أرتجف غضبا ، وقد شاركنى الميجور فأبدى اشمئزازه من الزائرين ، وعمد الى صرفهما من القلعة ٠ ووعدنى بأن يذهب بنفسه فى اليوم التالى الى وزارة الحربية فيشكو وقاحة « رازيتا »

وكنت اتحرق شوقا الى الثأر ، فخطر لى ان من الميسور ان اتفق مع مراكبى على ان يوافينى فى المساء تحت نافذة غرفتى ، فأتسلل الى البندقية ، ثم يردنى فى الصباح الباكر الى القلعة ٠٠ واستطعت فعلا ان اغرى أحد ملاحى القوارب التى كانت تحمل المؤن الى القلعة ٠٠ وحددت له موعدا ٠٠

وفى النهار السابق لليلة الموعودة ، رحت اتمشى فى القلعة مع ابن « زن » ياور الميجور ٠٠ وبينما كنت أقفز فوق أحد أحواض الزهور ، تظاهرت بالسقوط ، وبأن كعب قدمى قد كسر ، فحملنى جنديان الى غرفتى ، واقبل طبيب القلعة فأعد جبيرة للكعب المكسور ٠٠ وعادنى القس وكل المسئولين فى القلعة ٠٠ فلما كان المساء ، دعوت الجندى القائم على خدمتى الى ان ينام فى الغرفة ليكون قريبا منى ٠٠ وبزجاجة خمر ، اسلمته الى احضان نوم عميق !٠٠ وحوالى الساعة العاشرة والنصف ، تدليت من النافذة الى القارب ٠٠ حتى اذا بلغت البندقية ابتعت هراوة ضخمة ، وتربصت لعدوى فى ركن مظلم من شارع اعتاد ان يسلكه ، تمتد فى نهايته قناة ضيقة ٠٠

وفى الساعة الثانية عشرة الا الربع ، رأيت « رازيتا » يسير وحده مترنحا ، فتسللت محتميا بالجدران ، وانهلت بالهراوة على رأسه ، ثم على ذراعه ٠٠ وبضربة ثالثة طوحت به فى القناة الضيقة وهو يصرخ ويعوى مرددا اسمى !٠٠ وفى تلك اللحظة ، برز من دار الى يسارى رجل من أهل (فورلى) يحمل مصباحا ، وبضربة من هراوتى طار المصباح من يده ، وبادر الرجـل الى



الفرار ٠٠ فألقيت بهراوتى ، وهرعت الى القارب ٠٠ ولم تؤذن الساعة بانتصاف الليل حتى كنت فى سريرى ، أصرخ وأتأوه ، حتى أستيقظ حارسى فأوفدته لاستدعاء الطبيب زاعما اننى أصبت بنوبة مغص تكاد تقضى على !٠٠ وفى الوقت ذاته استيقظ القس على صراخى ، فأقبل ليجدنى أتلوى من الالم٠٠ وأحاطت بسريرى وجوه يعلوها القلق ، الى أن أعلنت بعد نصف ساعة ان الالم قد زايلنى ٠٠

وعاد الميجور فى الساعة الواحدة من بعض ظهر اليوم التالى ، فقال لى وهو يضحك : « لقد ضرب رازيتا ليلة أمس وألقى فى قناة ٠٠ ولم يمت لحسن حظك ، لانه يتهمك ! »

قلت : « لكم يسرنى أن يظننى الناس مذنبا ، ففى هذا بعض الثأر لى ٠٠ ولكن من العسير عليه أن يثبت اتهامه! »

– ومع ذلك فهو يقسم بأنه استطاع أن يميز شكلك ٠٠ وشهد رجل من أهل (فورلى) بأنك ضربته على يده فأطحت بمصباح كان يحمله ٠٠ ولقد تهشم أنف « رازيتا » ، وكسرت ثلاث من أسنانه ، وكادت ذراعه اليمنى أن تتحطم ٠٠ وقد رفع أمرك الى المحقق ، وكتب السيد جريمانى الى وزارة الحربية يشكو من انك خرجت من القلعة بدون علمه وهو المسئول عنك ٠٠ وقد وصلت الى مكتب الوزير وهو يقرأ خطاب جريمانى ، فأكدت لسعادته كذب الاتهام ، وأخبرته بأننى تركتك طريح فراشك كسير الكعب ، وانك فى منتصف الليل كنت موشكا على الموت من نوبة مغص قاسية ٠٠ أى فى الوقت الذى قال « رازيتا » انه تعرض فيه للاعتداء !

وبعد ثلاثة أيام ، أقبل احد المحققين الى القلعة ، يرافقه كاتب من المحكمة ، فشرع فى التحقيق ، وكان الجميع قد عرفوا بكسر كعبى ، وبالمغص الذى أصابنى فى منتصف الليل ، فتأكد المحقق من براءتى ، وقضى على « رازيتا » والرجل الآخر بنفقات التحقيق ، دون أن يمس هذا حقى فى طلب تعويض !

وبعد هذا الحكم ، نصحنى الميجور بأن اكتب التماسا الى وزير الحربية ، حمله بنفسه اليه ٠٠ كما أخطرت الاب جريمانى به ٠٠ وبعد أسبوع ، بشرنى الميجور بأننى غدوت حرا ، وبأنه سيرافقنى بنفسه الى الاب

•• مع فتاة الرابعة عشرة !

◆ **على ان « كازانوفا » لم يبرح القلعة قبـــل أن يخوض مغـامرة جديدة : فقد وصل الى القلعة نبيل مسن يدعى الكونت «دى بونافيدى» ، كان قد تخاصم مع مدير بريد البندقية ، فهدده بأن يثأر لكرامته بحد سيفه ، مما أدى الى الحكم بسجنه فى القلعة لمدة اسبوع**

وقال لى السجين الجديد بمجرد تعارفنا : « لكم سيسعدنى ان أقضى هذه المدة فى صحبتك » •• فأنبأته بأننى اســتردت حريتى ، ولكننى سأمكث اسبوعا لأحظى بشرف صحبته ، تقديرا لما أولانى من ثقة !

وفى عصر ذلك اليوم ، أقبلت زوجته وابنته لزيارته • كانت ملامح الكونتة تنم عن جمال غابر ما تزال بقاياه تلازمها •• أما الابنة فكانت سنها تتراوح بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ، وقد سحرنى منها طراز جديد على من الجمال • كان شعرها أسمر يميل الى الحمرة كالنحاس ، وعيناها زرقاوين جميلتين ، وأنفها رومانيا ، وفمها الدقيق المفتر عن ضحكة دائمة يكشف عن أسنان فى بياض بشرتها •• **والتقت نظراتى بنظراتها ، فخيل الى ان عينيها تقولان لى : « تريث عامين ، وستجد ان كل ما يصوره لك خيالك عنى قد أصبح حقيقة واقعة !»**

وخرجنا جميعا نتنزه •• فسار الاب والام فى المقدمة ، وتأبطت أنا ذراع الابنة ، فأسرعت تسحبها وهى تضحك بصوت عال جعل أمها تلتفت متسائلة ، فقالت اننى دغدغتها ! •• وروعت أنا لقولها ، وارتبكت •• فحسبتنى أجلف « خاما » ، وعمدت الى القاء درس على فى « اتيكيت » التأبط !•• ثم تطرق بنا الحديث الى الرسم ، فقالت الفتاة انها تتعلم الرسم ، ووعدت بأن ترينى لوحة رسمتها لآدم وحواء •• وتمادت ـ مطمئنة الى ظنها فى ســذاجتى ـ فذكرت انها تعتقد ان آدمها أجمل من حوائها ، لانها عنيت برسم كل كبيرة وصغيرة فى جسمه !•• وأثارنى حديثها ، لكننى كنت أسير وكأننى أخطو على شوك ، خشية ان استثير شكوك الكونت والكونتة اللذين كانا يسيران أمامنا •• وزيادة فى الاحراج ، تظاهرت الصغيرة بالتعثر ، فأطاحت بحذائها من قدمها ، ثم رفعت القدم برشاقة لألبسها الحذاء •• وتعمدت ان ترفع طرف ثوبهـــا قليلا ، فاذا المنظر الذى رأيته من ساقيها يطير عقلى !

قبلة بدون تعقيب !

◆ **وفى** صباح اليوم الثامن ، غادر الكونت القلعة •• فرحلت بدورى عنها فى المساء ، على ان التقى بالميجور فى مقهى بميدان « سان مارك » ليصحبنى الى الأب جريمانى •• بيد اننى كنت أكثر لهفة الى رؤية معبودة أحلامى !

ولم يكن الكونت فى الدار حين ذهبت ، لكن الكونتة استقبلتنى فى ترحاب .. واذهلتنى معالم الفقر فى الدار ، ورثاثة ثياب الكونتة ، التى لمحت وجومى فانصرفت لترسل الى ابنتها ..

ولم أجد الفتاة على ماعرفتها عليه فى القلعة !.. كان قبح ثيابها يشوه جمالها . واذ رأت دهشتى ، تبدى عليها أسى أذاب قلبى ، وقالت ان الحكومة لا تمنح أباها الا معاشا ضئيلا يعول به تسعة أشخاص ، ومن ثم فهم يحتفظون بالثياب الانيقة للمناسبات ، كى يبدوا أمام الناس بالمظهر اللائق ، فى حين انهم يعيشون على الكفاف بين جدران دارهم ..

وعرضت على رسومها ، فسألتها ــ لمجرد وصل الحديث ــ لماذا لا تحاول شحذ مواهبها الفنية بالتدرب على الرسم بالطباشير . فقالت ان الطباشير غالى الثمن ، واذ ذاك قلت : « هل تغفرين لى جرأتى اذ أهدى اليك ستة صناديق من الطباشير الملون ؟ »

وعجزت عن كبح دموعها ، فأشاحت بوجهها .. وانتهزت الفرصة ، فوضعت على المائدة المبلغ الكافى لشراء صناديق الطباشير .. ولأجنبها أى هوان أو ذلة ، حييت شفتيها بقبلة .. تركت لها الخيار فى تفسيرها !

(يتبع)



◆ رويت لك فى الاسطورة السابقة ماكان من غرام زيوس ـ رب الارباب ـ بالحسناء « ايو » ، ابنة اله النهر «ايناخوس» ، وما كان من غيرة « هيرا » ، زوجته ، تلك الغيرة التى انتهت بتحويل « ايو » الى بقرة ناصعة البياض ، أخذت تضرب فى الارض ، حتى وصلت الى وادى النيل . وفى مصر ، لحق بهازيوس ، وانجب منها ابنا اسمه «ايبافوس» ثم تربعت « ايو » على عرش البلاد باسم « ايزيس »

وفيما يلى أسطورة جديدة من تلك الاساطير الاغريقية القديمة ، التى لاغنى لمثقف عن الالمام بها كاملة :

غرام زيوس بكاليستو

◆ على أثر انتهاء قصة غرام زيوس بمحبوبته«ايو» ـالتى تولت مع ابنها عرش مصر ـ انتقل زيوس الى حب عذراء أخرى هى الصيادة اليافعة « كاليستو » ـ من اركاديا ـ فلم تنجح بدورها من حقد زوجته هيرا المقيت !.. ثم أنجبت « كاليستو » من زيوس ولدا أطلقت عليه « أركاس » وهو الذى يجاهر شعب أركاديا بأنهم ينحدرون منه ..

وقد بلغ من حقد هيرا على « كاليستو » الجميلة ، وغيرتها على زوجها منها ، انها مسختها الى دبة ، فسلبتها بذلك حياة الحرية التى كانت تحياها كصيادة سعيدة ، وفرضت عليها الاقامة فى غابة مستوحشة لتحيا حياة كلها ضجر وضيق ، يملأ قلبها الفزع من معشر الصيادين كما تخيفها الحيوانات المفترسة التى أصبحت هى الآن صورة طبق الاصل منها !

وبعد أن عاشت سنين عديدة على هذا النحو ، حدث مالم يكن فى الحسبان .. اذ اقترب من كاليستو أحد الصيادين حاملا رمحه فى يده . فلما أبصرته كاليستو عرفت فيه ابنها « اركاس » ، وهمت تضمه بين ذراعيها من فرط شوقها وغبطتها .. الامر الذى أثار فزع أركاس ، فرفع رمحه ليقتل الدبة ـ جاهلا أنه بذلك سيقتل أمه ـ غير أن زيوس تدخل ليحول دون اصابة كاليستو بيد ابنها ..

ولم يكن رب الارباب قد استطاع أن يقضى قضاء مبرما على سحر هيرا ومفعوله الشديد ، حتى يتمكن من اعادة كاليستو الى صورتها الطبيعية ٠٠ كل ما استطاعه أنه حول الدبة وابنها الصياد الى نجمين ، عرفهما القدماء كما نعرفهما نحن اليوم باسم الدب الاكبر والدب الاصغر ٠٠

الموت عند هيرا ٠٠ اعظم هدية !

◆ ذكرنا شيئا عن قسوة هيرا وحقدها،وبقى الكلام عن بعض أعمالها الطيبة٠٠ فقد كان لهيرا كاهنة اسمها «كوديبى»لاحظ ابنها رغبتها الجامحةفى زيارة بلاد (أرجوس)لتقديم فروض الولاء والتبجيل لتمثال هيرا الجديد المصنوع من الذهب والعاج والموضوع بداخل معبدها هناك ٠٠ فما كان من الولدين الشابين الا أن ثبتا نفسيهما موضع الدواب من العربة وراحا يدفعانها دفعا صوب (أرجوس) ، لانه لم يكن فى مقدورهما اقتناء ثورين أبيضين كما كانت تقتضى التقاليد فى مثل هذه الحالة !

وما أن وصلت « كوديبى » الى (أرجوس) برفقة ولديها ، حتى أكرمت وفادتهم ورحب بهم أيما ترحيب ، وزيادة فى اكرام الام اقترح الكاهن عليها الاقتراب من تمثال هيرا الرائع للصلاة فى حضرة الربة ٠٠ فسرت الكاهنة لذلك سرورا كبيرا ، اذ سيصبح فى مقدورها أن تطلب من هيرا منح ولديها التقيين « أعظم الهدايا طرا » ، دون أن تعرف من قبل أن الموت هو أعظم الهدايا فى نظر الربة !٠٠ عندئذ هبطت الربة من السموات وأخذت من الابنين روحيهما، وحملتهما الى حقول (اليوسيس) حيث مقر الاموات السعداء !

رأس زيوس يتمخض فيلد « اثينا » آلهة الحكمة !

◆ ولم يكن الخالدون من الآلهة بمنجى من الآلام الجسدية ، فقد حدث لزيوس ذات يوم ان شعر بصداع أليم فى رأسه ، لايحتمل ، فاضطر الى استدعاء جميع الآلهة الى جبل الاوليمب لمساعدته على ايجاد علاج لصداعه ٠٠ فلما لم يجده مجهودهم المتكاتف هذا فتيلا ، اضطر زيوس ـ لعدم قدرته على تحمل آلام رأسه المبرحة ـ أن يأمر ابنه « هيفايستوس » بأن يضرب جمجمته بمطرقته الهائلة حتى يسكن الالم ٠ وما أن ضرب « فولكان » بمطرقته على رأس كبير الآلهة حتى خرجت من مخه الى الوجود مخلوقة جميلة رائعة هى«أثينا» آلهة الحكمــة (وهى تدعى عند الرومان « بالاس » أو « مينــيرفا ») مرتدية كامل ثيابها ، متدثرة بعدة حربية براقة ، حاملة فى يدها رمحا « ثقيلا » ٠ وكانت تنشد ترنيمة ظافرة من أناشيد النصر

ولقد صور الاغريق الربة أثينا على شكل امرأة جميلة تلبس درعا من قمة رأسها الى أخمص قدميها ، وقد استندت بيدها اليمنى على درع ، وأمسكت

بيدهـا اليسرى رمحـا طويلا ـ وقد كان خيـالا بارعا حقيقـة أن يبتكر اليونان هذه القصـة الجميلة عن « الحكمـة » التى خرجت من « عقل » الاله الاكبر • هذه الحكمة التى تمثلها أثينا ، ابنة زيوس ، نموذج الكمال والجمال التى وهبها أبوها منذ ولادتها القدرة على الاختراع والابتكار فى الفنون الجميلة •• واليها أيضا يرجع الفضل فى اختراع الكتابة والتصوير والتطريز وغيرها من الفنون الجميلة النافعة للبشرية ••

ولم تقتصر اختصاصات أثينا على ذلك ، بل كان لها مع زيوس سلطان على الرياح والاعاصير ، فكانت هى نفسها ربة الحرب أيضا ، تحارب دائما حامية ومدافعة •• كما كانت ربة النصر أيضا ، التى اختصت برعايتها الابطال والمحاربين من أمثال « أخيل » و « أوديسيوس » و « هرقل » وآخرين • وكان ينشرح صدرها لموسيقى المزمار والابواق الحربية ، كما كانت تساعد فى بناء السفن ، وتتولى حماية المدن وخصوصا مدينة أثينا التى سميت باسمها ••

ولكن سلطان « أثينا » ازداد واتسع ، فشمل مهنة السلم وفنه كما شمل فن الحرب تماما •• واليها يرجع الفضل فى اختراع العربة ، والسفينة ومهنة الحدادة، ونحت التماثيل ، وصناعة الاحذية وغيرها •• كما كانت ربة الزراعة وعلم البساتين ، ومخترعة المحراث ، ومانحة الزيتون الى البشر !

تمسخ خصمتها عنكبوتا !

◆ اذن لقد وهبت أثينا جمالا وكمالا وحكمة وعقلا راجحا ، غير أنها مع ذلك لم تخل من نقائص لا تتفق مع ما عرف عنها من حكمة ، فكانت سريعة الغضب اذا ما مستها نكتة أو دعابة ! فمثلا حدث مرة أن عذراء من (ليديا) ماهرة للغاية فى النسيج ، تسمى « أراخنى » ، قالت وهى تمزح انها تفوق أثينا نفسها فى فن التطريز والحياكة • وما أن سمعت الاخيرة ذلك حتى ظهرت أمام « اراخنى » ، قالت وهى تمزح انها تفوق أثينا نفسها فى فن التطريز والحياكة • وما ان سـمعت الأخيرة ذلك حتى ظهـرت امام « اراخنى » متنـكرة فى هيئة عجوز شمطاء وعيرتها ، فاذاعت أراخنى رغبتهـا فى منازلة أثينا • فكشف لها أثينـا عن حقيقة شـخصيتها وقبلت النزال ، ونسجت مفرشا رائعا تصور فيه جلال الآلهة وامثلة من العقوبات ضد الجحود والـكفران •• بينما صورت « أراخنى » بعض الحيل التى كان يقـوم بها زيوس فى دور المحب الولهان ، وبذلك أظهرت وقاحتها •• فاضطرت أثينا أن تعجب بنسيجها ولكنها عاقبتها بأن مزقت مفرشها اربا اربا وحولت أراخنى الى عنكبوت ! وبذلك تركتها معلقة فى نسيجها الى الابد ، ولذلك يضرب اليونان المثل بمهارة العنكبوت فى الغزل !

ولقد حدث نزاع بين أثينا كحارسة للأثينيين ، وبين عمها « بوسايدون » ،

اله البحر ، على أيهما يكون له حق حماية المدينة والاشراف عليها : فبوسايدون يقول انها بنيت قريبة من البحر ولذا يحق له الاشراف عليها . وأثينا تقول انها هى أحق منه لأنه لولا حكمتها لما نجحت المدينة وعم فيها الرخاء ، ولذلك فمن حقها تسمية المدينة باسمها !

واشتد النزاع ، حتى تدخل زيوس بينهما فحكم بأن من يعمل عملا يعود بفائدة أكثر من الآخر ، يكون له حق تسمية المدينة باسمه ! .. واذ ذاك تقدم « بوسايدون » فضرب رمل الشاطىء بصولجانه فخرج منه حصان مجنح قوى ، وتقدمت أثينا بدورها فلمست الارض بصولجانها فخرجت منها شجرة زيتون كبيرة محملة بالثمار الناضجة ، وهنا صاح جميع الآلهة يعلنون انتصار أثينا التى سمت المدينة باسمها . واعترافا بجميلها وفضلها بنى الاثينيون لها معبدا كبيرا هو (البارثينون) تخليدا لاسمها !

أثينا و « ميدوسا »

◆ وقد جمعت أثينا صفات متناقضة ، فبينما كانت حكيمة عاقلة ، كانت الغيرة والغضب ينهشان قلبها نهشا ، وليس أدل على ذلك من قصتها مع « ميدوسا » :

حدث أن « ميدوسا » ، وكانت فتاة حسناء ، أساءت الى أثينا فى معبدها ، فغضبت عليها أثينا وحولت شعرها البديع الى ثعابين وحيات ، ووجهها الجميل الى وجه قبيح شرير يجعل كل من ينظر اليه أن يتحول الى عامود من الحجر ! ولما كثر عدد ضحاياها جاء بطل يونانى يسمى « برسيوسى » ، وبارشاد أثينا وبمساعدتها تمكن من قطع رأس ميدوسا ، ومن دمائها النازفة ولد الحصان المجنح العجيب « بيجاسوس » – وهو المخلوق الذى استفاد منه برسيوس ، الذى سنروى لك فيما بعد مغامراته الشيقة ..

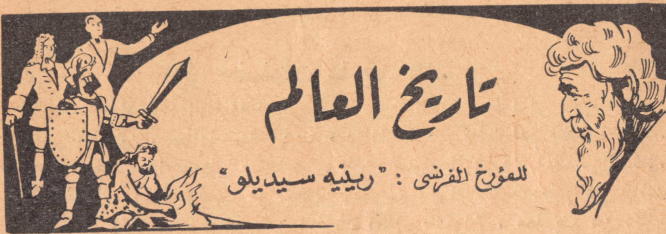
لذلك يصور الاغريق « أثينا » أحيانا وقد وضعت على رأسها خوذة يعلوها طائر البوم ، وفى يدها اليمنى درع ، وفى اليسرى ترس قد نقشت عليه صورة رأس ميدوسا ، تذكارا لانتصارها عليها !

تماثيل اثينا ، واعيادها ..

◆ واشهر تماثيل أثينا جميعا هو التمثال الذى صنعه المثال الذائع الصيت « فيدياس » ، فبلغ ارتفاعه أربعين قدما كاملة ..

أما «الباناثنيا» فهو أعظم الاعياد التى كانت تقام (مرة كل أربع سنوات) لتبجيل الربة أثينا ، هذا عدا أعياد « المنير فاليا » و « الكونيكاتريا » اللتين يحتفل بهما سنويا ..

أمين سلامه



تاريخ العالم

للمؤرخ الفرنسى : " رينيه سيديلو "

الحضارة التى افتتحت سجل التاريخ

◆ هذا هو الفصل الرابع من الفصول التى أنقلها لك عن كتاب « تاريخ العالم فى ٢٤٠ صفحة » .. وهو الكتاب الذى ألفه الباحث الفرنسى رينيه « سيديلو » ، وجنح فيه الى رواية التاريخ فى شكل « قصة » شائقة ، لا مادة « دراسيه » جافة ..

ولقد حدثتك فى الفصول الثلاثة السابقة عن حضارات ما قبل التاريخ ، وأولى الحضارات القديمة التى افتتحت سجل التاريخ ، وهى « حضارة وادى النيل » .. واليوم أروى لك « حضارات » نهرى دجلة والفرات ..

حضارات دجلة والفرات

◆ **كانت** أرض دجلة والفرات ـ أو أرض « مابين النهرين » ـ من أهم البقاع التى تلتقى عندها طرق العالم القديم ، ومن ثم كانت القبائل تترى عليها ، قبيلة اثر قبيلة ، دون أن تستقر ، وكأنما كان حوض النهرين التوأمين محطة للراحة حينا فقط .. **فما ان كانت تنزل فيه قبيلة وتتهيأ للاستقرار ، حتى كانت تغير عليها قبيلة أخرى فتطردها منه لتحل محلها! .. ولم يحاول قط قوم من هؤلاء الوافدين أن يهيئوا لانفسهم فيه موطنا مستقرا لألف سنة ـ مثلا ـ كما حدث فى حوض النيل ..**

على أن حوض التوأمين كان أشد حاجة من حوض النيل الى صنعة البشر وجهدهم ، فبدون ذلك لا يتسنى لشىء نمو ، اذ كانت تتنازع أرضه الرمال ، وسيول الفيضانات ، ومن ثم فالارض تتطلب ريا مستمرا .. والماء الذى يهبها

الحياة فى حاجة دائمة الى يد قوية تسوقه الى شبكة دقيقة مترابطة من الترع والقنوات ٠٠

اولى حضارات ما بين النهرين

◆ **ولقد** أدرك هذه الحقيقة المزارعون الاولون الذين هبطوا فى الجزء الاسفل من حوض النهرين ، حوالى سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ٠ **وكانت لهم حضارة راقية، فاخترعوا العجلات واستعملوا النحاس ـ الذى تسرب اليهم ولا شك من القوقاز، موطن المعادن ـ ولقد وجدت فى حفائر «سوسه» مرايا كانت تقام على قواعد من العظام أو الخشب ، وقطع من الخزف المطلى بالالوان ، مما ينم عن انتاج صناعى كان بدائيا فى طابعه ، ولكنه راق اذا قيس بما عرف فى تلك الازمان**

وفى هذا الاقليم تبين منشئو الحضارة السومرية ـ بعد ألف عام ـ مدى مايدينون به للنهرين التوأمين ٠٠ فانتشرت فى أرض « سومر » ـ عند الدلتا ـ المنشئات المائية التى اكسبت التربة رطوبة ، وملأت الحقول غلالا ٠٠ وقد كان السومريون يعبدون اله الاخصاب ، واله الانماء ، وربة الحبوب ٠٠ وكانوا يبذرون الشعير ويزرعون النخيل ، وتوصلوا الى سر تسميد الارض ، والى استخدام المحراث ٠٠ وسرعان ماتعلموا كيف يقدرون وزن الفضة ، المعدن الابيض الذى جاءهم ولا بد من الجبال التى ينبع عندها النهران ، والذى كانوا يستخدمون سبائكه فى التعامل ، كصورة بدائية للنقود ٠

كبوة الحضارة السومرية ثم نهضتها

◆ **ولقد** كان هؤلاء السومريون شعبا عجيبا ٠٠ ابتكروا الكتابة المسمارية ، واستخدموا المركبات الخفيفة على العجلات تجرها الثيران أو الحمير ٠٠**وخلفوا وراءهم فى المقابر الملكية فى « أور » تحفا بديعة الصنع من المجوهرات ، جمعت بين الاحجار الثمينة والمعادن النادرة الدقيقة النقش والصياغة**

ولقد اجتاح قوم من الساميين ـ انحدروا من « أكاد » فى الشمال ـ حضارة السومريين زهاء أربعة قرون ، وأخذ أقوام من رعاة الجبال يغيرون من آن لآخر فيسلبون وينهبون ويعيثون فى الارض فسادا ٠ **بيد ان السومريين لم يلبثوا أن حرروا أنفسهم حوالى سنة ٢٦٢٢ قبل الميلاد ، وعاودوا نهوضهم ، وأقاموا نظما أصبحت أمثلة للتنظيم الادارى ٠٠ كان موظفو الحكومة يجمعون الضرائب من الناس مواشى وأغناما تستخدم فى القرابين ، أو فيما يعود على الاقتصاد القومى بالنفع ، كتأجيرها للحرث ٠٠ وكان الحاسبون يحصون دخل الدولة ونفقاتها مقدرة بالشعير أو التمر أو الزيت ٠ وعينوا الرسل لحمل الرسائل بين البلدان ، وأرسلوا السفن فى القنوات تنقل الفواكه والغلال ٠٠ فنعمت أرض « سومر » بالرخاء ٠٠**

وعاد الساميون يتسللون فى كيان المملكة ، حتى تسلطوا عليها حوالى سنة ٢٣٥٨ قبل الميلاد ، ومع ذلك فقد ظلت حضارة السومريين قائمة ، تكشف عن وجودها فى منشآت الرى ، والبراعة فى صون القنوات المائية ، والابداع فى قرض الشعر ، وفى نحت التماثيل التى كانت نواة شهرة دولة « بابل » ..

قوانين الملك حمورابى

◆ **وكان** أبلغ مظهر لهذه الحضارة ، القـوانين التى خلدت ذكـر الملك « حمورابى » .. وكان القسم المدنى من هذه القوانين يعترف بوجود ثلاث طبقات : الاحرار ، وانصاف الاحرار ، والرقيق .. ويحدد سلطان الآباء على أبنائهم ، ويقضى على مالك كل أرض بأن يكون مسئولا عن القنوات فى أملاكه .. أما القسم القضائى فقد وضع أسس المحاكم ونظم الاجراءات القضائية وتعيين القضاة ، وحدد قواعد القرائن . كما حدد قانون العقوبات لكل نوع من الجرائم والجنايات عقوباته .. أما القانون التجارى فحدد الاسعار والاجور ، ونظم القوافل فصارت أشبه بشركات النقل ، ونظم القروض وسعر الفائدة

واذا كانت مصر قد جرت على الاشتراكية فى علاج اقتصادها ، فان بابل نهجت سياسة الحرية الاقتصادية ، فاعترفت بالملكيات الخاصة ، وشـجعت المشروعات الفردية ، ووضعت الاسس للنظام الرأسمالى من عقود ، وكمبيالات ، وخطابات ضمان ، وجعلت دور الدولة مقصورا على دور المنظم والحكم الذى يفصل فى المنازعات . وهكذا كانت قوانين « حمورابى » تشتمل ـ قبل مولد المسيح بألفى سنة ـ على كثير مما نسير عليه اليوم !

قيام الدولة الاشورية

◆ **ولكن** أجل الحضارة السومرية لم يلبث أن حان حوالى سنة ١٩٢٥ قبل الميلاد ، حين انحدر الرعاة الرحل من الجبال مرة أخرى ، يتقدمهم « الحيثيون » .. وتوافد الغزاة تباعا ، فأقام « الحوريون » ، ثم « الفريجيون » ثم « الاراميون » ممالك فى بابل .. **وفاضت جحافلهم فاجتاحت الشرق الاوسط بأسره ، حتى قدر لشعب من أهل الوديان ان يسيطر على هذه الفوضى ، وأولئك هم الاشوريون الذين كانت تجرى فى عروقهم دماء الساميين ، والذين اقاموا مملكتهم فى سهل دجلة ـ حوالى سنة ١١٠٠ قبل الميلاد ـ وأقبلوا على حروب أرادوا من ورائها أن يخضعوا العالم القديم بأسره لحكمهم !**

حضارة الحروب والوحشية

◆ **فلقد** أدرك الاشوريون أن رى السهل ليس كل شىء ، بل لا بد من ضمان الدفاع عنه ، ورأوا أن « الهجوم هو خير أساليب الدفاع » .. فسيطـروا على القبائل الرحل فى الجبال وعلى مواردهم من أخشاب ومعادن وأحجار كريمة

ثم أخضعوا بابل وسوريا والسامرة ، وبسطوا ملكهم من البحر الابيض المتوسط الى الخليج الفارسى ، وانتهوا الى الاستيلاء على مصر ‥ وكانت عجلاتهم الحربية، وخيول فرسانهم ، وسهامهم ونشابهم ، تنشر الفزع أينما حلت !‥ كانوا يحرقون القرى ، ويبطشون بالاسرى ، ويبقرون بطون النساء ، ويستعبدون الشعوب ، ويشتتون أقواما بأسرها من مواطنها !‥ كانت حضارتهم تعنى باراقة الدماء أكثر مما تعنى بالخلق والانشاء ‥ وكانت ديانتهم تقوم على تقديس آلهة الحرب . ومع ذلك فقد ضربوا بسهم وافر فى الفلك والعلوم ، وكان طبهم يستند الى التنظيم الغذائى ، كما برعوا فى علاج الجروح ، ومع ذلك فقد كانت تشوب ذلك الطب بعض طقوس الكهانة والسحر . واستخدم القوم نقودا من القصدير المدموغ بخاتم الدولة . وامتازت تماثيلهم بضخامتها واقتصارها على تخليد الحروب والصيد .

على أن سيادة أشور كانت قد امتازت بالوحشية والبعد عن الانشاء ، حتى انهم لم يضيفوا شيئا الى مكتبة (نينوى) – أول مكتبة عرفت فى التاريخ ، وكان قد أنشأها السومريون – وكانوا يقنعون بالعيش فى الماضى ، ويقصرون الحاضر على المذابح الوحشية !

على أن ملكهم لم يلبث أن انهار ، وأعيى الانهاك محاربيهم ، فجاء أقوام من البرابرة – كالميديين والشمريين – واجتاحوا « نينوى » ، وحرروا بابل ‥ وانتشرت فى واديى دجلة والفرات موجة من شعوب جديدة !

وفى العدد القادم أحدثك عن حضارات واديى « الاندوس » و « النهر الاصفر »

اختبر نفسك

أى نوع من الرجال أنت ؟

هل تريد أن تعرف رأى الناس فيك ، وأى نوع من الرجال أنت ؟ من واجبك أن تتعرف على نفسك ، قبل أن تفوتك فرصة اصلاح أى نقص . ولقد وضع أحد الاخصائيين الاسئلة العشرة التالية لمساعدتك على تكوين صورة صحيحة لنفسك ، فأجب عنها بأمانة ، وقدر الدرجات بنزاهة .. وستدهش للنتيجة !

٢ ـ ما الثمن الذى تقدم من أجله على التطوع لمهمة سرية خطرة ، لا تتيح لك فرصة كافية للأمل فى العودة حيا ؟

◆ اذا حددت ثمنا ، فلن يوحى هذا بأنك مخاطر ، وانما هو يعنى انك تقدر المال اكثر من تقديرك للحياة ، وهى دلالة غير طيبة ، على ضآلة سعادتك الراهنة، ونقص شعورك بالمسئولية نحو أولئك الذين يحبونك ، وخطأ فلسفتك العامة . لذلك تستحق لقاء تحديد السعر .. صفرا .

أما اذا كنت ترفض التطوع لمهمة سرية كتلك التى وضعناها ، مهما كان الثمن ، فأنت حكيم ، عاقل ، عملى ، لديك أهداف كثيرة تعيش من أجلها ، وربما دل هذا أيضا على أن لديك ادراكا مناسبا لمسئوليتك نحو أولئك الذين يحبونك، ويعتمدون فى عيشتهم عليك . لذلك فأنت تستحق ١٠ درجات .

١ ـ اذا سقطت زوجتك وأمك من مركب فى الماء ، ولم تكن أى منهما تحسن السباحة ، فأيهما تنقذ أولا ؟

◆ الرجل الذى يحاول ان يروغ من هذا السؤال ، باللجوء الى «اذا» و «لكن»، يوحى بجلاء بأن ثمة تضاربا فى نفسه بين وفائه لزوجته ، ووفائه لامه .. على أن هذا أفضل من الرجل الذى يقول انه يعمد الى انقاذ أمه قبل زوجته .. لان مثل هذا التصرف يشير الى أنه لايزال « ابن أمه » ، متعلقا بها ..

والذى يجيب بأى الجوابين ، أو بجواب «مائع» غير واضح ، لا يستحق سوى .. صفر

أما الرجل الذى يبدى استعدادا لانقاذ زوجته أولا ، فانه يدل على نضوج عواطفه ، وعلى ادراكه أن المرأة التى اتخذها زوجة ، هى أولى النساء بوفائه . فهو يستحق لذلك ١٠ درجات

٣ ـ أيهما تؤثر أن تتزوج : (أ) فتاة ليست جذابة ، بذيئة الخلق ، تكرهها من قلبك ، ولكنها تملك صداقا ـ « دوطة » ـ كبيرا .. أو (ب) فتاة متوسطة

الجمال ، متوسطة الشخصية ، ليس لها أثر خاص عليك ، مع مراعاة ان دخلك لا يتجاوز ١٠٠٠ جنيه فى العام ·· أو (ج) فتاة جميلة ، ذات شخصية رائعة، تشعر نحوها بميل طبيعى ·· ولكن دخلك لا يتجاوز ٥٠٠ جنيه فى العام طيلة العمر ؟

◆ **اذا أبديت استعدادا للزواج من الفتاة غير الجميلة الخلق والخلقة ، لمجرد انها ثرية ، مضحيا بالسعادة الكافية فى حياتك الجنسية ، فأنت بالتأكيد لم تستكمل نضوجك الجنسى ، وتستحق لتفضيلك الثروة على الهناءة الجنسية ·· صفرا**

أما اذا كنت على استعداد لان تتزوج أبدع فتاة فى العالم ، ولو عشت بقية عمرك فى فقر ، فأنت متطرف فى عواطفك الجنسية ، اذ تفضل الجنس على كل ماعداه · فتستحق ·· صفرا ·

ولكنك اذا فضلت الفتاة المتوسطة ، قانعا بحياة جنسية مناسبة وكافية ، وبدخل متواضع ولكنه كاف ، فأنت عادى فى ميولك الجنسية ، وتستمتع بادراك معتدل طيب ·· لذلك تستحق ١٠ درجات

٤ ـ هل تفضل أن تحصل من الآن على ضمان بأن يبقى دخلك الحالى ثابتا بقية عمرك ·· أو أن تحظى بالفرص التى قد يتيحها لك المستقبل ، مهما كانت ؟

◆ **اذا اخترت الحال الاولى ، فقد دمغت نفسك بأنك هياب ، تعوزك شجاعة الرجل العادى فى مواجهة الحياة والمغامرة مع الحظ والمجازفة بامكانياتك ·· ومن ثم فأنت كالفأر تستحق ·· صفرا**

أما اذا كنت راغبا فى أن تواصل الافادة من الفرص ، فهذا دليل على اعتداد بالنفس ، وشجاعة ، وبصيرة تمكنك من أن تتبين ان السلامة المالية ليست سوى مسألة نسبية · وجزاؤك على ثقتك بالمستقبل وجسارتك ١٠ درجات

٥ ـ كيف يكون تصرفك اذا رأيت : (أ) سيدة مفرطة السمنة تدوس على قشر موز فتزل وتقع على درجات المحطة ؟ · (ب) طفلا فى الخامسة من عمره ، يسير خلفك ، ويقلد مشيتك عابثا ؟

◆ **هذا اختبار لروح المرح عندك ومدى ادراكك للفكاهة ، وهى خلة لايستطيع رجل أن يستغنى عنها ·**

اذا وقفت فى الحالة (أ) ترقب المشهد فى استمتاع ، فهذا دليل على انك ذو مزاج « سادى » ، أى تميل الى القسوة وتستلذها ·· فان الحادث قد يكون وخيم الاثر

واذا دل جوابك عن «ب» على غضب أو استياء ، فمعنى ذلك نقص فى تذوقك للفكاهة ·· فان روح المرح لا تبدو الا اذا تعرض الشخص لان يكون موضوع الفكاهة ·

وفى هاتين الحالتين ـ فى «أ» و «ب» ـ تستحق ٠٠ صفرا ٠
أما اذا أوحت اجابتك عن «أ» بأنك تبدى اهتماما ، أو تسارع الى المعونة ، وعن «ب» بأنك تتبسط وتشعر بابتهاج ٠٠ فأنت جدير بأن تنال ١٠ درجات ٠

٦ ـ أى نوع من العمل تحب أن تمارسه مابقى لك من عمر ؟

◆ اذا حدد جوابك عملا فى ميدان غير الذى تعمل فيه الآن ، دل ذلك على انك غير سعيد ـ كما ينبغى ـ بالميدان الذى تعمل فيه ، ومع ذلك تعوزك الجرأة على ترك عملك الى عمل آخر ترغب فيه بحق ٠ أى انك تدع العمل يختارك ، ولست انت الذى تختاره ٠ لذلك تستحق ٠٠ صفرا

أما اذا أشار ردك الى أنك تفضل أن تبقى فى الميدان الذى تعمل فيه الآن ، فمعنى ذلك انك هانىء به ، وانك تبذل جهدك لتمارس العمل الذى تريده وترغب فيه ٠ وللاقدام على تخير العمل الذى يروقك ، تستحق ١٠ درجات

٧ ـ هل تقبل راضيا على العمل مع رئيس فرض عليك فى ظروف كالحروب ، أو مع موظف عملت معه منذ سنوات فأبغضته ؟ ٠٠ وهل تنسجم معه حقا ؟

◆ معظمنا يذكر الرؤساء أو الموظفين الذين عمل معهم قبل سنوات ، أو فى ظروف خاصة ، وكان يكرههم أو ينفر منهم ٠٠ فان كنت تذكر رجلا معينا بالذات، عملت معه منذ سنوات فكرهته ، ولكنك اليوم على استعداد للعمل معه فى وئام، فمعنى ذلك انك تشعر بالحقد ، ولكنك تشعر فى الوقت ذاته بأنك لست على حق فيه ، فتحاول تغطيته ٠٠ وعلى هذا تستحق ٠٠ صفرا

أما اذا كنت تأبى أن «تنسجم» أو تعيش فى وئام مع شخص ، بسبب اساءات لحقتك منه منذ سنوات ، فهذا يدل على نضوج فى شخصيتك ٠٠ لانك غير متقلب فى عواطفك ٠٠ ولهذا تستحق ١٠ درجات ٠

٨ ـ أى جزء من العالم تظن انك استمتعت بالحياة فيه أكثر من سواه ؟

◆ اذا ذكرت أى اسم غير اسم المكان الذى تقيم فيه الآن ، فمعنى ذلك انك غير قنوع ، وانك تميل ببساطة الى أن تعتقد ان الحياة فى أى مكان آخر أفضل منها حيث تقيم ، مهما يكن المكان الذى تقيم فيه ٠٠ ومن ثم فان عجزك عن الرضى بمقامك يرشحك لان تحصل على ٠٠ صفر

أما اذا اخترت مكانا معينا من بلادك ، أو ابديت ان كل الاماكن سواء مادامت تتيح لك الاستمتاع بالحياة ، فانك تستحق ١٠ درجات ٠

٩ ـ اذا ورثت ١٠٠ر٠٠٠ جنيه فجأة ، فأية ناحية تنفق فيها أول مبلغ كبير منها ؟

◆ اذا اتجهت أولى أفكارك نحو بعض الكماليات أو الترف تؤثر به نفسك أولا ، فأنت أنانى شديد الأثرة ، تستحق ٠٠ صفرا

أما اذا كان أول انفاقك يتجه الى اسعاد أحد غيرك ، فاحسب لنفسك ١٠ درجات ٠٠ واذا اتجه الى اسعاد نفسك والغير معا ، فتستحق من أجله ٥ درجات

١٠ ــ اذا فقدت ساقا أو عينا فى حادث ، فهل تفضل أن تموت على أن تعيش بعاهة ؟

◆ ان الرجل الذى يؤثر الموت على الحياة ، رجل سهل القنوط ، يخشى أن يواجه الصعاب ، وتنقصه الشجاعة النفسية ٠ واختيارك المسلك السهل ،السلبى ــ وهو الفرار من الحياة ــ يجعلك تستحق صفرا ٠ أما اذا كنت تختار الحياة فأنت أهل لأن تنال ١٠ درجات

والآن : اجمع الدرجات التى حصلت عليها ، تتيسر لك فكرة دقيقة ، صحيحة، عن أى نوع من الرجال أنت ٠٠

فاذا حصلت على ١٠٠ درجة ، كان معنى ذلك انك حكيم ، عاقل ، عملى ، تقدر المسئولية ، ناضج العواطف ، معتدل فى ميولك الجنسية ، وفى ، معتد بنفسك ، شجاع ، بعيد النظر ، متزن ، جرىء متسامح ، كريم ، على قدر من روح الفكاهة ٠

ولكن حصولك على كل هذه الميزات مجتمعة ، أمر مستبعد ، لذلك يحسن أن تراجع الدرجات التى أعطيتها لنفسك ، وتعرف من الجدول التالى مكانتك بين زملائك من البشر

١٠٠	**رجل كامل**
٨٠ــ٩٥	**رجل ممتاز لطيف**
٦٠ــ٧٥	**رجل جيد**
٥٠ــ٥٥	**رجل متوسط**
٣٠ــ٤٥	**رجل لا بأس به**
١٠ــ٢٥	**رجل سىء الشخصية**
٠ ــ٥	**شخصية ميئوس منها**

الموضوع	الصفحة
افتتاحية العدد	٧
رأيت وسمعت لك فى النمسا: مشاهدات وتعليقات للمحرر	٩
غرام مدام بوفارى : (أقنعة الحب السبعة ، تلخيص وتعليق الكاتب الكبير أندريه موروا)	٣٩
حياة محمد : ملخصة عن أهم المصادر الافرنجية والعربية	٥٥
كريستين .. ملكة السويد : للكاتب الفرنسى الكبير «هنروى بوردو»	٧٩
أشجان فرتر : القصة التى خلدت اسم كاتب ألمانيا العظيم «جان وولفجانج جيته»	١١٥
كن متفائلا : للطبيب والعالم النفسانى الدكتور «فيكتور بوشيه»	١٤٩
مذكرات كازانوفا (الفصل الرابع) : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة	١٧٨
أساطير القدماء : «أثينا» الهة الحكمة	١٨٧
تاريخ العالم ، منذ بدء الخليقة (الفصل الرابع) : للمؤرخ الفرنسى المعاصر «رينيه سيديلو»	١٩١
اختبر نفسك : اى نوع من الرجال انت	١٩٥

مطابع دار النشر للجامعات المصرية
٤١ شارع شريف ، القاهرة



« باخوس » اله الخمر عند الاغريق ، كما تخيله الفنان الخالد
« ليوناردو دافنشى » (١٤٥٢ - ١٥١٩) فى هذه اللوحة المعروضة
بمتحف اللوفر بباريس



صبى وقع عليه عقاب ! : من معـــروضات متحف (ليون) للرسام
« نيكولا برنار ليبيسييه » (١٧٣٥ - ١٧٨٤)



لوحة الغلاف

.. انها احدى روائع الفنان الانجليزى «فرانك ديكسى»، وقد مثل فيها منظر الشرفة الخالد فى مسرحية شكسبير المعروفة «روميو وجولييت»، وهو المنظر الذى تقف فيه جولييت فى شرفة مخدعها تناجى حبيبها، حتى تحس بمربيتها تقترب من المخدع قبيل الفجر، فتهيب بروميو أن يسرع بالانصراف، قائلة عبارتها المأثورة: «أيتها النافذة، دعى النهار يدخل، والحياة تخرج!».. فيجيبها روميو فى وجد وهيام: «وداعًا، وداعًا.. قبلة واحدة، ثم أنصرف!»

وقد كتب الناقد الفنى «هنلى» يصف هذه اللوحة بقوله: «ان تصوير الرسام لمنظر الوداع الرائع بين الحبيبين فى شرفة جولييت، قد بلغ ذروة الابداع الفنى، لاسيما فى طلعة جولييت التى تشرح بالجلال، والرقة والاستكانة للعاطفة الطاهرة..»

.. «وفرانك ديكسى» فنان اشتهر بلوحاته التى تمثل مناظر عاطفية من القصص العالمية، وقد لمع نجمه منذ تخرج فى أكاديمية الفنون الجميلة بلندن عام ١٨٧٨، وفاز بالميدالية الذهبية الفنية عن لوحة تمثل «النبى ايليا يواجه الخاطئة ايزابل فى كرم نابوت اليزراعيلى».. وبعد ٤ سنوات انتخب عضوا فى هيئة الأكاديمية، وهو لم يجاوز السابعة والعشرين، فكان أصغر عضو عرفه ذلك المحفل الفنى العريق!

كتابي

شركة فن الطباعة ٥٨١٤٩